

الكتائب القرآنية
(الجزء الثاني)

الكتاتيب القرآنية الآليات-الأهداف-الآفاق

الجزء الثاني

الرواية المتواترة وآليات الضبط والرسم والقراءة

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



الكتاب : الكتاتيب القرآنية الآليات - الأهداف - الأفاق
الجزء الثاني : الرواية المتواترة وآليات الرسم والضبط والقراءة
منشورات : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية
الحقوق © : جميع الحقوق محفوظة للوزارة
الطبع : دار أبي رقرق للطباعة والنشر - الرباط
الإيداع القانوني : 2009 Mo 1307
ردمك : 978-9954-0-5155-4
الطبعة الأولى : 2009-1430

المحتويات

9	 تقديم
	الكتاب القرآني والرواية
	المتواترة فيه وتطبيقاتها بالوقف الهبطي
	• الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة فيه من خلال أهم خصائصها الأدائية وأثرها في ترسيخ ملامح الهوية
13	 عبد الهادي حميتو
	• الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة المحفوظة فيه
51	 أحمد بودهان
	• خصائص رواية ورش وتطبيقاتها بالوقف الهبطي : القيم المستفادة
87	 محمد علي عطفائي
	• نظرات في وقف الهبطي وآثاره
135	 محمد بالوالي
	• الوقف في القرآن الكريم وأنواعه : وقف الإمام الهبطي نموذجاً
149	 حميد بن الحاج السلمي
	• وقف الإمام الهبطي عند المغاربة وتباين مواقف بعض العلماء منه
173	 أحمد البوشيخي
	الآليات (المساعدة لحفظ القرآن الكريم وضبط الرسم العثماني
	• وسائل تحفيظ القرآن في الكتاب: المراحل والآليات
191	 محمد منكيط

- مراحل وآليات تحفيظ القرآن الكريم في الكتاب
- 205 محمد بن العربي الدويري (شوقي)
- الأنصاف والحطية آلتان مساعدتان لضبط الرسم العثماني في الكتاتيب القرآنية المغربية
- 223 محمد الزباني
- الأنصاف آلة مساعدة لضبط الرسم العثماني عند المغاربة (نصرة الكتاب نموذجاً)
- 247 سيدي محمد واحدي
- الآلات المعتمدة عند المدرسين في كتاتيبهم لإتقان الرسم العثماني: سورة الضحى نموذجاً
- 269 التهامي الراحي الهاشمي
- المنهج المغربي في ضبط الرسم والقراءة
- نظام القراءة والإقراء في الكتاتيب القرآنية بين الأمس واليوم
- 279 محمد الفقير التسماني
- من معالم المنهج المغربي في علمي الرسم والضبط
- 299 عبد الرزاق الوزكي
- علاقة الرسم بالقراءات
- 321 عبد العزيز العمراوي
- نوازل القرآن الكريم في الرسم والضبط والتجويد وما جرى به العمل في المغرب
- 347 عبد العزيز العيادي
- قراءة الإراداف بالمغرب من خلال منظومة الشيخ محمد السريفي الزفري
- 371 عبد اللطيف بن أحمد الوزاني التهامي
- التلاوة والتدبر وتمثل المضامين القرآنية
- 395 عبد الحي عمور

تقديم

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ندوة علمية، أيام 25-26-27 ربيع الثاني 1427 الموافق 23-24-25 ماي 2006، حول موضوع **الكتاتيب القرآنية: الآليات والأهداف والآفاق**.

ونظراً لوفرة المساهمات في هذه الندوة ارتأينا أن نصنفها إلى جزئين، مع الاحتفاظ بالعنوان الرئيسي؛ ويرصد الجزء الأول الذي يحمل العنوان الفرعي: **"الواقع والآفاق"** مكونات فضاء الكتاتيب القرآنية كمؤسسة تعليمية، ويستشف نوعية مشاكلها، ويرسم حدود أهدافها وآفاقها؛ وذلك في ثلاثة محاور تعالج هذا الشأن؛

المحور الأول: الكتاتيب القرآنية وآفاق مستقبلها؛

المحور الثاني: مناهج وطرق التدريس بالكتاتيب القرآنية؛

المحور الثالث: خصوصيات الكتاتيب القرآنية حسب المناطق.

أما الجزء الثاني، وهو المؤلف الذي بين أيدينا، فيحمل عنوان: **"الرواية المتواترة وآليات الضبط والرسم والقراءة"** واختص بما يُلقن ويُحفظ في الكتاتيب القرآنية: رواية ورش وآليات تحفيظها وعلوم ضبطها وقراءتها. وهذا الجزء يضم بدوره ثلاثة محاور؛

المحور الأول: الكتاتيب القرآنية والرواية المتواترة فيها وتطبيقاتها بالوقف المهبطي؛

المحور الثاني: الآليات المساعدة لحفظ القرآن الكريم وضبط الرسم العثماني؛

المحور الثالث: النهج المغربي في ضبط الرسم والقراءة.

المحور الأول

الكتاب القرآني والرواية المتواترة
فيه وتطبيقاتها بالوقف الهبطي

الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة فيه من خلال أهم خصائصها الأولوية، وأثرها في ترسيغ صلاح الهوية

عبد الهادي حميتو

أستاذ بالمركز التربوي الجهوي بآسفي

مقدمة

للكتاب القرآني في المغرب والرواية الرسمية المتواترة فيه، وهي رواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري (ت197هـ) عن الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت168هـ) من طريق أبي يعقوب يوسف الأزرق المدني نزيل مصر (ت224هـ)، شأن وأي شأن حين تذكر المقومات والركائز التي قامت عليها معالم الشخصية المغربية وتمثلت من خلالها ملامحها المتميزة وامتدت آثارها في أعماقها لتلامس جذور كيائها وتندمج في حياتها اندماجا تسهل ملاحظته في مسارها العلمي وتطورها التاريخي، وتفاعله الحضاري مع المحيط والإنسان، وانعكاسها في السليقة الأدبية، ولغة الاستعمال اليومية ولهجة الخطاب الشعبية.

وأهم ما يمكن استجلاؤه من ذلك هذا الحضور الراسخ الذي سوف نراها تمثله وتبلور من خلاله وجودها في الساحة ومثولها في الواقع إلى يومنا، باعتبار أهم المؤسسات التربوية ذات الأصالة العريقة، والتاريخ الضارب في أعشار ماضيها المجيد، والعنصر الأساس الذي تأتي بالبناء عليه قيام صرح وحدتها الحضارية، وأمكن انطلاقا منه النفاذ إلى مخاطبة فطرة ساكنته، ولمس مكانم الشعور الديني عندها لتفجير الطاقات الإيمانية، وتفعيل المواهب الإبداعية، وتحريك إنسانية الإنسان المغربي، وتوجيهها نحو قيم الخير والفضيلة والسمو الروحي، والتعبير عن الإدراك العميق لنبل دعوة الدين الحنيف، وسماحته

التي حملتها إلى البشرية رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ولقد استطاعت الكتابات القرآنية بوصفها مؤسسات تربوية شعبية متجذرة في التاريخ المغربي المذكور أن تتغلغل في الوجود المغربي وأن تهيمن على القيادة الفكرية فيه، وأن تصبغ بصبغتها الحياة العلمية والأدبية، كما تجلى ذلك في نوع الحمولة الثقافية التي ظلت تشكل الطراز المتميز للقارئ المغربي الناشئ في أحضان هذه الكتابات، وأن تترجم عن شخصيته ترجمة تضعه في الطليعة من مجتمعه وبيئته، وهيئة لتقلد المسؤولية في تكوين الأجيال وصنع الإنسان الصالح وتأهيله لصيانة البيضة، والدفاع عن الحوزة والنهوض برسالته الدينية والتربوية، وتحقيق قيم العدل والجمال والفضيلة.

وباعتبار هذه العناصر وغيرها فقد أتيح لهذه الكتابات القرآنية في حركتها الدائبة ونشاطها المتميز، أن تنبؤا مكانتها العالية في عامة الأقطار والأصقاع المغربية، وأن تظل عبر أزمنة طويلة من تاريخها رافدا للمعرفة، ومبعثا للقيم السامية، والأخلاق الإسلامية، فضلا عن مساهمتها الفعالة في بناء المجتمع المغربي المسلم، وصقل شخصيته وتحصينه من كل عوامل الزيغ الفكري والانحراف العقدي، كما أنها ظلت عبر الزمان تمثل الحصانة الروحية، والدعامة الأساسية، للحفاظ على الهوية المغربية، والتمسك بثوابتها الدينية وقيمها الاجتماعية والوطنية، ولا عجب في ذلك طالما أن سداها ولحمتها إنما نشأ من استمساكها بعري كتاب الله تعالى تحفيظا وتلقينا وتعلينا ودعوة وتوجيها، وعلما وعملا، متمثلة في ذلك للمعيار الشرعي الذي جعله عليه الصلاة والسلام مقياس المفاضلة بين أهل الإيمان فقال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" متفق عليه. ومن هنا كانت رسالة الكتاب القرآني جزءا لا يتجزأ من رسالة الإسلام، وكانت

روحُه قبسا من روحه الذي يشير إليه قوله تعالى في نهاية سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوحِينَا إِلَيْكَ رَوْحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾. وهذا سر نجاح دعوته، ومقدرته على الاندماج في واقع الحياة المغربية طوال تاريخها الحافل، وعلى التفاعل مع ظروفها الزمانية والمكانية، واتخاذ الشكل والطابع الذي يتناسب مع واقع الإنسان ويتلاءم مع بيئته، ومستوى معيشته في البادية والحاضرة على السواء، مما مكّنه من بسط أجنحته على أطراف البلاد، وأن يكون قرينا للمسجد حيثما كان، بل جزءا منه في غالب الأحيان، ومكملا لرسالته، إذ منه يتخرج العلماء وفيه يتلقى الأئمة التكوين الأولي والعملي الذي يخول لهم في مستقبل الأيام أن يقوموا بمنصب الإمامة، وفي الغالب بالتعليم أيضا كما هو الحال إلى اليوم في معظم البلاد.

كيف ظل القرآن الكريم محور النشاط العلمي عند المغاربة من خلال الكتاب؟

لقد كان القرآن الكريم عند المغاربة طوال تاريخهم الإسلامي في سائر الأقطار كما قرر ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة محورا للنشاط العلمي، فيه تكون البداية في الحياة التعليمية من جهة، ثم عليه المدار من جهة ثانية بعد ذلك في دراسة سائر علوم الملة من لغة ونحو وبلاغة وأدب وحديث وسيرة وفقه وأصول وتفسير وغير ذلك من علوم الرواية وميادين المعرفة التي عرفتھا الساحة العلمية طوال عهوده التاريخية.

ولبيان هذه الحقيقة واختصاص المغاربة فيها بالموضع الأسمى يقول ابن خلدون في الفصل الواحد والثلاثين من الباب الخامس من المقدمة الخلدونية:

"اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من

آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعد من الملكات"، ثم قال شارحا لهذه الحقيقة:

"وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده، لأن السابق للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه" ثم قال عن اختلاف الأقطار المغربية في هذه المستويات:

"فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبية، وكذا في الكبير إذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم" قال:

وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسسه، ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذاك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العريضة وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبية..... ثم قال: "وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم، وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع

لذلك، وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس¹.

ثم تحدث ابن خلدون عن أثر الاختصار في التعليم على القرآن عند المغاربة فقال:

"فأما أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الاختصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه، فلا تحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي، وحظه الجمود في العبارات، وقلة التصرف في الكلام، وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه.

ثم قال ابن خلدون بعد أن تحدث عن أهل الأندلس وفضلهم في حصول ملكة البيان: "ولقد ذهب القاضي أبوبكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غربية في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس..." ثم قال نقلاً عنه ومنتقداً لتقديم القرآن في التعليم:

"ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، يقرأ ما لا يفهم، وينصب في أمر غيره أهم[...]. هذا ما أشار إليه القاضي أبوبكر رحمه الله— وهو لعمرى مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال. ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن إيثارة التبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن، لأنه مادام في الحجر منقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ وانحل

1 - مقدمة ابن خلدون: 537-540.

من ربة القهر، فرما عصفت به رياح الشبية فألقته بساحل البطالة، فيغتمون في زمان الحجر وربة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلوا منه....².

تلك هي الأنماط الثلاثة من التعليم في إفريقية والمغرب والأندلس، وذلك هو التقويم الخلدوني الحضيف لأثر القرآن الكريم في هذه الأقطار المغربية الثلاثة باعتباره كما قال : " أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وباعتبار ما رتب عليه من الآثار، وهو طغيان ملكة الحفظ للقرآن الكريم وما يتصل به من فروع عند المغاربة " فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم " وضعف ملكة البيان عندهم لاقتصارهم على أساليب القرآن التي صرف البشر - كما قال بناء على نظرية الصرفة النظامية الاعتزالية - عن محاكاتها والنسج على منوالها ليتفرد القرآن الكريم بنظمه وأسلوبه المعجز.

ولسنا هنا بصدد المفاضلة بين الأنماط التعليمية الثلاثة التي ذكرها ابن خلدون، ولا بصدد تقويم نظرية القاضي أبي بكر بن العربي، فلذلك مقام آخر أليق به، ولكننا نسجل تلك الملاحظات القيمة التي سجلها ابن خلدون بفكره الثاقب عن طريقة أهل المغرب في تقديم القرآن وجعله أصلاً لما ينشأ بعد من الملكات، وعن احتياطهم للقرآن حتى لا يذهب الولد خلوا منه بحصول القواطع والآفات. ونسجل معها قوله عن العوائد التي درج عليها أهل المغرب في تعليم الولدان:

"إنها أملك بالأحوال" أي: أنها صاحبة القول الفصل في تحديد الاختيار.

ونحن نرى من وجهة نظرنا أن هذه الإشارات عند ابن خلدون هي المفاتيح التي يتأتى بها الدخول بحق إلى دراسة معالم الشخصية المغربية في أبعادها الدينية والثقافية والاجتماعية والحضارية، ولا شك أن القضية لدى أهل المغرب في شأن

التعليم لم تكن مطروحة فقط على مستوى طلب حصول الملكة البيانية، بل كانت بشكل أعمق مطروحة على مستوى الهوية والانتماء الديني والعقدي، فمن ثم كان التشبث بالقرآن الكريم والترغيب في حفظه والتمسك بمبادئه وحصول الملكة في حفظه، والمعرفة برسمه وضبطه في أعلى درجات الاعتبار. ومن هنا كان القرآن عندهم أصل التعليم في الجملة، وكانت الدول المتعاقبة على الحكم في المغرب والأندلس تجعل أمر التعليم على رأس اهتماماتها الأولى.

وقد عرفت الأندلس على عهد دولة بني أمية بها، وفي أيام عبد الرحمن الناصر (300-350هـ) على وجه الخصوص، بذور حركة رفيعة المستوى تمثلت في قيام الدولة بما يسمى في زمننا بالتعليم الأساسي على مستوى الحواضر، حتى كانت قرطبة وحدها تشتمل على ثمانين مدرسة لتعليم القرآن ومبادئ العربية³.

وحتى إنه كان حول المسجد الجامع بقرطبة وحده - كما يقول المؤرخ ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب - سبعة وعشرون كُتُبا في عهد الحكم ابن عبد الرحمن الناصر (350-366هـ) وفي ذلك يقول الشاعر ابن شخيص الأندلسي مادحا له من قصيدة:

وساحة المسجد الأعلى مكللة مكاتبا لليتامى في نواحيها

لومكنت سور القرآن من كلم نادتك يا خير تاليها وراعيها⁴

سبق المغاربة إلى إجبارية التعليم في الكتاب

ولقد كان لداعية المغرب الكبير وشيخ علمائه الفقيه الجليل أبي عمران الفاسي نزيل القيروان (ت 430 هـ)⁵ شرف السبق إلى الدعوة إلى إجبارية

3- انظر المفرد العلم لأحمد الهاشمي : 182 .

4- البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي : 240 / 2.

5- انظر ترجمته في ترتيب المدارك للقاضي عياض : 243 - 252 ومعاليم الإيمان للدباغ : 159 - 164 .

التعليم الأولي عن طريق الكتاب وإجبارية أداء الشرط للقائم بذلك. وحتمية دفع الصبي إلى الكتاب من جهة ولي أمره. قال أبو عمران الفاسي في كتاب الأحكام: "وسئل عن المعلم إذا شارطه وجوه الناس أو القاضي ليعلم أولادهم الكتاب بشيء معلوم في بلد ليس فيه سلطان، وفي بلد السائبة، فلم يتطوع من كان في ثغر من الثغور ممن يرى أنه مرابط من ذات نفسه لتعليم ولده حتى أخذه الناس كرها، وهل يجبر على ذلك؟ وهل يسوغ للمعلم أخذ أجر من أهل البلد ممن امتنع من إدخال ولده "الحضار"؟

وهل تجوز شهادة من امتنع من تعليم ولده من أهل البلد وأهل الرباط؟ فأجاب أبو عمران الفاسي رحمه الله: "إن ما ذكرت من أمر الحضار" إذا اتفق عليه أهل الموضع، وشارطوا معلما وتعاقدا معه، يلزم من كان في الموضع إدخال ولده "الحضار" فمن امتنع من ذلك فليكلم وليهدد بالضرب إن كان في موضع فيه سلطان، فإن أبي أن يدخله بعد ذلك، فليجبر ويؤخذ منه ما ينوبه من جملة الشرط جبرا، فإن كان عندهم القدرة عليه، فليطرد من ذلك الموضع، لأنه هدم ركنا من أركان الدين، فمن امتنع من إدخال ولده المكتب والتعليم، فقد عصى الله ورسوله، لأن فرائض الله تعالى لازمة للمسلمين كلهم، ثم قال:

"وأما ما ذكرت من أمر المرباط الذي سكن الرباط ويمتنع من إدخال ولده المكتب، فليس بمرباط، إنما هو استفزه الشيطان وأغواه، وينبغي لأهل الموضع أن يكلموه، فإن أبي وتمادى على ذلك طرد من الرباط، ويؤدب أدبا موجعا، وتسقط بذلك شهادته"⁶.

قلت: وقال أبو عمران مثل ذلك في كتاب التعاليق على المدونة في الفقه لسحنون، نقله الشوشاوي في كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجلية، وفيه

6- كتاب الأحكام لأبي عمران الفاسي ص 45 مخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 547.

قوله: " فالشرط لازم لجميع أهل الموضع وينكل بمن يمتنع من تسليم ولده للمكتب، ويجبر على ما ينوبه من أجره المعلم، ومن أبي طرد ونفي إن قدر عليه⁷ .

وهذا التقويم للتعليم القرآني في الكتاب على لسان أبي عمران الفاسي خريج القرويين في القرن الرابع الهجري وصاحب المشروع الحضاري في المنطقة الذي تكلل بقيام دولة المرابطين التي قامت بتوحيد المغرب والأندلس ونقلت قاعدة الحكم في الأقطار المغربية من القيروان وقرطبة واشبيلية إلى مراكش الحمراء، هذا التقويم كان في نظرنا أمتن الأسس التي قام عليها بنیان ذلك الكيان الحضاري الذي عرفته بلادنا خلال أحقابها التاريخية الزاهية على عهود المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والعلويين.

ثم إنه بوصفه هذا هو الإطار الذي عبرت فيه المدرسة القرآنية في المغرب عن نفسها من خلال مؤسساتها التعليمية العتيقة انطلاقاً من الكتاب أولاً، ثم بناء على ما شاع عندها وانتشر من قراءة نافع التي كان دخولها واعتماد المغاربة لها مظهراً من مظاهر الاستقلالية عن المشرق التي ظلت المنطقة تسعى نحوها منذ أيام الفتح الإسلامي، كما أنها كانت أهم لبنات الوحدة العقيدية والفكرية والمذهبية إلى جانب العقيدة السنية والمذهب المالكي، ومن هنا كانت هذه القراءة - وما تزال بحمد الله - صمام الأمن لهذه الوحدة وأهم مياسم الشخصية المغربية ومعالم كيانها ووجودها التاريخي والحالي والمستقبلي.

ومن هنا كان اختياري لإدارة هذا العرض على محاولة استكشاف موضع هذه القراءة في السياق التاريخي طبقاً للمحور المقترح من بين محاور هذه الندوة. والمراد عندي التنويه بالرواية الرسمية المتواترة التي اجتمع عليها أهل المغرب،

7- انظر الفوائد الجميلة : 291 .

وبيان الأثر الحاسم الذي كان لها على مستوى الحذق فيها من جهة، وعلى مستوى التأثير العام الذي كان لها على السليقة اللغوية عند المغاربة، وما هي مظاهر انعكاساتها في الجانب الأدائي على مستوى المحافظة الشعبية ولهجة الخطاب اليومية؟

رواية ورش عند المغاربة:

عني المغاربة عموماً في إفريقية والمغرب والأندلس بقراءة إمام أهل المدينة النبوية نافع بن أبي نعيم، كما عنوا في الجانب الفقهي بمذهب إمام دار الهجرة وفقيهها مالك بن أنس اليحصبي (ت179هـ)، وكان أكثر الراحلين إلى الحج من طلبة العلم يجمعون بين أداء المناسك والرحلة إلى المدينة فتحصل لهم في آن واحد الرواية عن هذين الإمامين الجليلين، إذ كان لكل منهما حلقة مشهورة في الحرم النبوي، كما كان كل منهما شيخاً للآخر، فأخذ مالك عن نافع القراءة، وأخذ نافع عنه فقه مذهبه.

وكان قد رحل من الأندلس إلى المدينة بعد منتصف القرن الثاني رجال من هذا الرعيل من الطلاب، أشهرهم من أهل قرطبة أبو محمد الغازي بن قيس (ت199هـ) فأخذ الفقه عن مالك والموطأ، وأخذ القراءة عن نافع، وهو أول من دخل الأندلس بقراءة نافع وموطأ مالك رواية عنهما⁸ كما عرض مصحفه على مصحف نافع وأهل المدينة ثلاث عشرة أو أربع عشرة مرة⁹.

وفي هذه الأثناء رحل من مصر الراوية أبوسعيد عثمان ابن سعيد الملقب بورش فأخذ بالمدينة عن نافع، وعرض قراءته عليه، ثم عاد إلى بلده فتصدر

8- انظر ترتيب المدارك لعياض : 114/3 وغاية النهاية لابن الجزري 2/2.

9- غاية النهاية : 2/2 رقم الترجمة 2534.

بالفسطاط عاصمة مصر الأولى¹⁰.

وبعد موت نافع أصبحت الرحلة إلى ورش وتلامذته بمصر، ثم تتابعت الرحلة إلى مصر من إفريقية والأندلس، فكان ممن رحل إليها أبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي (ت276هـ) فقرأ بها على أبي الأزهر عبد الصمد ابن الفقيه عبد الرحمن بن القاسم العتقي صاحب الرواية في المدونة عن الإمام مالك، قال الإمام أبو عمرو الداني: "ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش وصارت عندهم مدونة، وكانوا من قبل معتمدين على رواية الغازي بن قيس عن نافع"¹¹.

وظهر في إفريقية الفقيه عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون (ت240هـ) صاحب الرواية في المدونة عن ابن القاسم فتولى القضاء على مذهب مالك وكان له الأثر الأكبر في دخول المذهب إلى إفريقية والمغرب وترسيمه، كما ألف رسالته في آداب المعلمين دعا فيها إلى اعتماد قراءة نافع¹².

وقد أصدر تلميذه عبد الله بن طالب غداة توليه القضاء مرسوما قضائيا إلى محمد بن برغوت إمام مسجد القيروان أن لا يقرئ الناس إلا بحرف نافع¹³ فأصبحت هي القراءة الرسمية في المسجد الجامع بها.

وهكذا تزايد الاهتمام بهذه القراءة وتزايدت الرحلة في طلبها إلى الرواة عن ورش، وفي طليعتهم أبو يعقوب يوسف بن عمرو الأزرق وتلامذته¹⁴.

وكان ممن رحل بعد منتصف القرن الثالث للأخذ عن أصحاب ورش الإمام أبو عبد الله محمد بن خيرون الألبيري (ت306هـ) الذي يذكر عنه أبو عمرو الداني

10- انظر كتابنا : قراءة الإمام نافع عند المغاربة : 6 / 79 - 80.

11- غاية النهاية : 275/2 ترجمة 3518.

12- رسالة سحنون من رواية ابنه محمد، معروفة ومطبوعة أكثر من مرة، انظر رسالة آداب المعلمين: 102.

13- ترتيب المدارك : 313/4.

14- انظر غاية النهاية : 402/2 ترجمة 3934 ومعرفة القراء الكبار للذهبي: 1/ 149.

أنه "كان إماماً في قراءة نافع : رواية عثمان بن سعيد ورش، قدم القيروان واستوطنها وأقرأ بها في مسجده المنسوب إليه¹⁵ وكان قد أخذ بمصر رواية ورش عن أربعة من كبار أئمتها ولاسيما من طريق الأزرق، وكانت الرحلة إليه فيها، ومن طريقه انتشرت في إفريقية والمغرب. قال ابن الفرضي: "قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا خواص من الناس حتى قدم ابن خيرون فاجتمع إليه الناس، ورحل إليه إلى القيروان من الآفاق¹⁶ .

ترسيم رواية ورش وعوامله:

وكان وراء ترسيم رواية ورش عدة عوامل بعضها يرجع إلى علاقته بنافع المدني تلميذ الإمام مالك وشيخه في القراءة، وبعضها يرجع إلى أن رواة روايته عن نافع كلهم فقهاء مالكيون، ومنهم عبد الصمد ولد ابن القاسم¹⁷ ومنهم أحمد بن صالح المصري الفقيه¹⁸ ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدي في آخر أصحاب الرواية عن ورش ونافع¹⁹ .

تضاف إلى ذلك عوامل أخرى منها ما يرجع إلى الاحتكاك وقرب الجوار، ومنها ما يرجع إلى الرغبة في الوحدة المذهبية في القراءة والمذهب، ومنها ما يرجع إلى مزية في الراوي كأبي يعقوب الأزرق، لأنه مدني النسب، فاختيرت طريقه عن ورش على غيرها لذلك²⁰ . ومنها ما يرجع إلى بعض الخصائص في الرواية نفسها ومنها ترك الهمز وتسهيله في كثير من المواضع التي يهمل فيها غيره من القراء كما أشار إلى ذلك الإمام أبو الوليد بن رشد (الجد) (ت520هـ) في

15- انظر كتاب التكملة لابن الأبار: 1/ 260 ترجمة 971.

16- تاريخ علماء الأندلس: 799/2 ترجمة: 1393.

17- انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 44/4 ومعرفة القراء الكبار: 150-151/1 وغاية النهاية: 584/1 ترجمة 2371.

18- ترجمته في معرفة القراء: 152/1 وغاية النهاية: 62/1 وترتيب المدارك: 39/4.

19- انظر ترتيب المدارك: 174-175 والانتقاء لابن عبد البر: 112 وغاية النهاية: 406-407/2.

20- ترجمته في معرفة القراء: 149/1 وغاية النهاية: 402/2 ترجمة 3934.

قوله: "كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا، فكان الإمام في الجامع لا يقرأ إلا بها، لما فيها من تسهيل الهمزات، وترك تحقيقها في جميع المواضع، وقد تؤول ذلك فيما روي عن مالك من كراهة النبر في القراءة في الصلاة".²¹

وقد أشار القاضي ابن العربي إلى بعض هذه العوامل التي أسهمت في ترسيم رواية ورش ومذهب مالك في الأندلس والمغرب فقال:

"ولما ظهرت الأموية على المغرب، وأرادت الانفراد عن العباسية، وجدت المغرب على مذهب الأوزاعي، فأقامت في قولها رسم السنة، وأخذت بمذهب أهل المدينة في فقههم وقراءتهم، وكانت أقرب ما إليهم قراءة ورش، فحملت روايته وألزم الناس بحرف نافع ومذهب مالك فجروا عليه، وصاروا لا يتعدونه"²².

وهكذا تتابع تأثير رواية ورش فالتقى فيه جانب التلقائية المحضة مع جانب التوجيه الرسمي، بل زاد تدخل العامة في فرض نوع من الحصار على غيرها من الروايات، وخاصة في المساجد الجامعة.

يدل على ذلك ما حدث في القيروان وعرضت الفتوى فيه على الشيخ أبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت 403 هـ) فقد سئل -رحمه الله- عن إمام صلى يقوم القيام وقرأ فيه بقراءة أبي عمرو بن العلاء من رواية اليزيدي²³ ولما فرغ عارضه بعض العامة بأن قراءة أبي عمرو لم تكن في أيام النبي ﷺ وإنما تفنن الناس وتطرفوا فقرأوا بها، فأجاب القابسي بالتشجيع على المتعرض لهذه القراءة، وذكر أنه ظن أن القراءات إنما حدثت بعد النبي ﷺ، إلا قراءة نافع، وهذا منه جهل

21- كتاب مسائل ابن رشد : 2 / 974-975.

22- العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي: 2 / 199.

23- هو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ومن روايته عن أبي عمر واشتهرت قراءته من طريق أبي عمر الدوري وأبي شعيب السوسي، وهي المعروفة في عامة كتب القراءات كالتبصرة لمكي، والتيسير للداني والشاطبية وغيرها.

وتكلف لما لا يعنيه²⁴.

ولا يخفى أن سبب هذا الاعتراض على القارئ بقراءة أبي عمرو إنما يرجع إلى قراءة القارئ في الحراب بغير الرواية الرسمية التي ألفوها واعتادوا على سماعها وهي رواية ورش من طريق أبي يعقوب يوسف الأزرق.

وقد جاء عن أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي (ت408هـ) صاحب كتاب المنتهى في القراءات الخمس عشرة قوله عن إجماع أهل هذه الجهات عليها: "أدركت أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب الأزرق لا يعرفون غيرها"²⁵.

وقال ولد ابن الجزري في شرح طيبة النشر لوالده: "كان يعني أبا يعقوب الأزرق — عدلاً أستاذاً محققاً ضابطاً، قام بالقراءة بعد ورش بمصر وتلقى الناس روايته بالقبول، وأجمع أهل مصر والمغرب والأندلس عليها"²⁶.

وقال الإمام المنتوري: "وهذه الرواية يعني رواية الأزرق — خاصة هي التي ذكرها الداني في إيجاز البيان والتلخيص، وعليها عول في الاقتصاد والتيسير، وهي التي اشتهر بها العمل، وأخذ الناس بها في قراءة ورش، وصنفوا في رواية ورش من طريقها، وعلى هذا جرى ابن الباذش في الإقناع والشاطبي في قصيدته والناظم — يعني ابن بري — في هذا الرجز وغيرهم من المصنفين" قال الداني في التمهيد: "وإلى أبي يعقوب الأزرق صارت الإمامة في القراءة بعد ورش، وعنه أخذها أكثر المصريين، وإليه يسندونها"²⁷.

قلت: وعليها نظم أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري الضير القيرواني

24- انظر الفتوى في المعيار للنشر يسي: 1/ 216-217.

25- انظر شرح الإمام المنتوري على الدرر اللوامع لابن بري: 1/ 98.

26- معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/ 150.

27- انظر شرح المنتوري: 1/ 98.

نزىل سبتة المتوفى بطنجة سنة 468هـ قصيدته الرائية في قراءة نافع، وفيها يقول
في المقدمة:

أعلم في شعري قراءة نافع رواية ورش ثم قالون في الإثر ويقول في دواعي
نظمه لها:

"ولم أرهم يدرون ورشا قراءة فكيف لهم أن يقرأوا لأبي عمرو قلت: ومن
طريق أبي يعقوب الأزرق أسندها المتأخرون من قراء المغرب كابن القصاب في
تقريب المنافع وابن آجروم في أرجوزة البارع وابن بري في أرجوزة الدرر
اللوامع وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي في الزهر اليناع وأبو
وكيل ميمون الفخار في تحفة المنافع وأبو زيد الجادري في أرجوزة النافع وغيرهم
كثير.

وبها صدر المغاربة في العشر الصغير في طرق قراءة نافع في رموزها المستعملة
فيها وهي قولهم: "جيتص .محق سود لفر".

فالرمز الأول، وهو "جيتص: الجيم فيه لورش والأحرف الثلاثة على التوالي:
الياء ليوسف الأزرق والتاء لعبد الصمد العتقي، والصاد لمحمد بن عبد الرحيم
الإصبهاني" ²⁸.

التحام رواية ورش في التلاوة بالشخصية المغربية:

ولقد كنت في إطروحتي للدكتوراه توقفت في المقدمة عند هذه الخطوة
الفريدة التي لقيتها قراءة نافع عند المغاربة ولاحظت "كيف تغلغت وأرست
جذورها في البلاد، وبسقت فروعها فأزهرت" ²⁹ وازدهرت وأثمرت في كل

28- انظر في الطرق العشر عن نافع كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ولامية الصفار المسماة بتحفة الأليف
ولامية العامري ولامية الوهراني تقريب المنافع، وأرجوزة تفصيل عقد الدرر لابن غازي .

29- كان بعض أساتذتنا من أعضاء اللجنة التي ناقشتني قد اعترض على قلبي " أزهرت ، وذكر أن الصواب "زهت"
ثلاثيا، وليس كما قال: وإنما وردت بالوجهين وفي الحديث: نهى رسول الله ﷺ عن بيع التمر حتى يزهي.

الجهات، وكيف كان لرواية ورش من بين رواياتهما المتعددة الحظوة الكاملة، والمكانة البارزة التي لم تزاحمها عليها قراءة ولا رواية، وتبين لي كيف وشجت هذه الرواية في الكيان المغربي فأصبحت جزءا لا يتجزأ منه، حتى اشتقت منها الأسماء والألقاب، فقليل لمن يتقن بعض الروايات عن نافع "نافع"لقبا عرف به³⁰.

ولمن يغلب عليه الاشتغال بروايتها أوقرائها "الورشي" كما عرف بذلك من قراء قرطبة القارئ محمد بن أحمد بن عبد الأعلى³¹.

ولمن يتقنها وحدها "وراشي" وكذلك يقال للماهر فيها رسما وضبطا.

وبلغ الغلو مداه عند بعضهم حتى زعم أن قراءة أهل اللجنة برواية ورش³²، وزعم آخر أنه رأى الطلبة مناما يقرأون القرآن جماعة برواية ورش بين يدي الله تعالى في اللجنة³³.

وما تزال "توراشيت" تعني عند طلبتنا التلاوة بهذه الرواية ومما خاطب به بعض ظرفاء الطلبة جماعة من تلاميذ الكتاب القرآني يستحثهم على القراءة المعروفة بالتحزيب "تحزابت" قوله:

تجمعتم مثل الفواكه في "المرشي" فحياكم أزكى التحيات ذو العرش

دعوا عنكم أهل العلوم وعلمهم ولا تذكروا الخطاب عندي ولا الخرشي

فما قصدنا إلا التقوس³⁴ وحده ومن أجله جئنا ومن أجله نمشي

فيحافظي ورش بكل تجمع أقيموا وغى القراء يحافظي ورش

30- عرف به سعيد بن سليمان التغري الأندلسي القرطبي، (غاية النهاية:306/1).

31- انظر نفح الطيب للمقري:413/2.

32- انظر في ذلك حاشية الشيخ يوسف بن سعيد السقطي المالكي على متن الجواهر الزكية في حل ألفاظ العشماوية، وكذا إتحاف القراء المتحزبين للحسن بن محمد البعقلي السوسي : 36.

33- انظر إتحاف القراء المتحزبين:56، يمكن الرجوع إلى مقدمة كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 1/ 13.

34- التقوس في مصطلح طلبة القرآن : المشادة والمنافسة في القراءة .

ومن غشنا في رفعه الصوت تالياً فإن نصوص الشرع تنهى عن الغش³⁵

وهكذا أحرز ورش كما قال بعض الباحثين على "الجنسية المغربية" يعني من خلال هذا التغلغل في وجدان القارئ المغربي، والتوغل في واقعه اليومي بصورة لافتة للنظر هي التي أملت علي هذا العرض الذي لا أرى الفائدة منه تكتمل إلا باستعراض أهم الخصائص الأدائية التي أمكن منها لهذه الرواية أن تنفذ إلى أعماق الكيان المغربي لتفرض في سليقته اللغوية ولهجته الشعبية أنماطاً من التعاطي مع مؤثرات هذه الرواية بكيفية غير شعورية تهيمن على القاموس اللغوي، تارة على مستوى المتعلمين، وتارة على مستوى غير المتعلمين مما تأدى إليهم بفعل الاحتكاك مع هذه المؤثرات وإملاءاتها على الطبع بطول الاستعمال واتصال السماع.

عوامل مساعدة على توحيد القراءة على طريق الأزرق وسيادتها

وقد ساعد على ترسيخ هذه المؤثرات من جانب القراءة المتواترة في التلاوة المغربية ثلاثة عوامل أساسية تنفرد بها إلى اليوم مدرستنا المغربية:

العامل الأول: أخذ المغاربة قديماً وحديثاً بأسلوب القراءة الجماعية أي: اشتراك أكثر من واحد في الأداء بصوت واحد، وهو نمط قديم العهد في الاستعمال في ميدان التعليم، وقد ظهر أول مرة في حلقة الصحابي الجليل أبي الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري (ت32هـ) وكان يعلم القرآن بالمسجد الجامع بدمشق في خلافة عمر ثم في خلافة عثمان، فكثرت غاشيته من الطلبة حتى بلغ عددهم فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ألفاً وستمائة، وقد ابتدع نظاماً فريداً لإدارة شؤونهم فجعل على كل عشرة عريفاً منهم، وعلى كل مائة عريفاً

35- من قطعة للفقهاء الموثق الخطيب بأحد مساجد أولاد تايمة بهوارة بنواحي أكادير، ويدعى محمد بن عمر الحاحي. (انظر المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة للأستاذ إبراهيم إذربراهيم التامري: 389/2).

فكان إذا صلى الصبح جلس إلى سارية من سوارى المسجد، فجاءه العرفاء على المائة فعرضوا عليه كل صباح جزءاً من القرآن دفعة واحدة، حتى إذا انتهوا انصرف كل عريف منهم فعرض عليه عرفاء العشرة، فإذا فرغوا من العرض على هذه الشاكلة انصرف كل عريف إلى عشرته يقرئها ويستعرضها محفوظها، وكان ذلك نوعاً من السياسة التعليمية التي ابتكرها هذا الصحابي الجليل للتغلب على مشكلة الاكتظاظ العددي³⁶.

وذكر الإمام النووي بسنده عن ابن أبي داود أن أبا الدرداء كان بالمسجد الجامع بدمشق يقرأ معه جماعة من أصحابه بصوت واحد³⁷.

وكما هو الشأن في كل جديد فقد لقي هذا الأسلوب الذي فرضته المصلحة واقتضته الضرورة معارضة من بعض السلف باعتبار أنه من المحدثات وقد سئل الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - عن هذه القراءة الجماعية، وكانت تسمى "الدراسة" فكرهها وقال: " لا كما يفعل أهل الإسكندرية، هذا مكروه، لا يعجبني"³⁸.

ثم ما لبث هذا النمط من الأداء الجماعي أن انتشر في الكتاتيب وخاصة في إفريقية واستحسنه المعلمون وأفتى بجوازه العلماء، واعتبره الإمام أبو الحسن القابسي كبير فقهاء المالكية بالقيروان في آخر المائة الرابعة أمراً مستحباً لما فيه من التعاون على البر والتقوى قال: وإنما كرهه مالك خوف الجحارة في حفظه يعني الرياء به³⁹.

ومهما يكن فقد عرف طريقه إلى الكتاب المغربي لهذا العهد، وأمسى جزءاً

36- انظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 1/80-81.

37- وعبارته في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن : 57: "كان يدرس القرآن معه نفر يقرأون جميعاً".

38- انظر المعيار المعرب للونشريسي : 11 / 169 ونحوه في رسالة آداب المعلمين لابن سحنون : 105.

39- انظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة : 1/ 84- 85.

من العملية التعليمية فيما يعرف بقراءة "الأسوار" بحيث يتأتى للمعلم فيه أن يجمع مجموعة من تلامذته ليراجعوا بين يديه بصوت واحد مقداراً معيناً من المحفوظ مما لا يتأتى له الإشراف عليه لو عرض عليه كل واحد على حدة.

فكانت القراءة الجماعية في الكتاب ثم فيما بعد في الحزب الراتب وسيلة تعليمية ناجحة تساعد على سرعة الحفظ والتحصيل، كما تمكن من المراجعة للمحفوظ والمراقبة المستمرة تحت إشراف شيوخ الإقراء وأئمة المساجد.

وكان من آثار ذلك وأزكى فوائده توحيد الأداء على صيغة ونمط واحد، سواء من جهة الرواية المقروء بها، أو من جهة الأحكام الأدائية أو من جهة التوافق في مواضع الوقف والابتداء، وذلك ما أدى إلى توحيد القراءة على رواية ورش وطريق الأزرق عنه.

العامل الثاني: إحداث الحزب الراتب الذي بموجب الأخذ به يكرر القارئ القرآن الكريم بالمدارس الجماعية مرة كل شهر، ويتأتى للمبتدئ وغير المتعلم أن يستمع إلى جميع القرآن مرة كل شهر كذلك، أو أن يتابع التلاوة في مصحفه مع القراء في كل صباح ومساء دون انقطاع.

وقد ظهر الحزب الراتب في افريقية على يد الشيخ محرز بن خلف القارئ التونسي (ت413هـ)⁴⁰ وهو أول من سن الحزب الراتب بعد صلاة الصبح يقرؤه طلبته بشكل جماعي كل صباح⁴¹، وله ألف الفقيه ابن أبي زيد القيرواني كتاب الرسالة في الفقه المالكي لتكون مادة علمية لكتابه⁴².

40- انظر ترجمته في ترتيب المدارك: 264/7-269.

41- كتاب قراءة الإمام نافع عند المغاربة : 80-81.

42- وقد أشار ابن أبي زيد إلى ذلك في مقدمة الرسالة بقوله : " فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة " انظر كتاب الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني : 1/ 23 وانظر في صلة محرز بصاحب الرسالة كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ : 116-117.

وبظهور دولة الموحدين في المغرب في صدر المائة السادسة من الهجرة ظهر الحزب الراتب في مجموع مساجد المغرب والأندلس، وصارت قراءته إجبارية في سائر المساجد التابعة للدولة، وحتى في قصور الخلفاء والأمراء، وكان للموحدين بمراكش رياض خاص يسمى رياض الحزب⁴³.

ويصف عبد الواحد المراكشي عناية الموحدين بقراءة الحزب فيذكر أنه "كان شعار دولتهم في حلهم وترحالهم وفي مساجدهم ومجالسهم ومواكبهم بل حتى في أسفارهم لا يزال يقرأ القرآن بين أيديهم بالغدو والعشي ركباناً"⁴⁴.

ويقول ابن صاحب الصلاة في كتاب "المن بالإمامة"، وهو يتحدث عن يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي: "وألزم الحفاظ من الموحدين وغيرهم عند المساء وعند الفراغ من صلاة الصبح بقراءة الحزب، واشتد عليهم في ملازمة ذلك بأعظم الاشتداد والأرب"⁴⁵.

ونقرأ في أواخر دولة الموحدين هذا المرسوم الخلافي الصادر عن الأمير الموحيدي يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور في مخاطبة عماله في المغرب والأندلس قوله: "وخذوهم باعتياد المساجد، فإنها الشاهد الأركى بشهادة خاتم النبيين وسيد المرسلين"⁴⁶ واطلبوهم بقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق، فإنه الخير المألوف، والشعار المعروف، والرسم الذي عليه العمل، والعهد الذي لا يجب فيه التغيير والخلل"⁴⁷.

43- انظر تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة : 232 والبيان المغرب لابن عذاري - قسم الموحدين - : 465.

44- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي : 845.

45- تاريخ المن بالإمامة : 232.

46- يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" رواه أبو سعيد الخدري. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : 2/ 326: أخرجه أحمد في مسنده والترمذي وابن مردويه والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن وهب به".

47- البيان المغرب (قسم الموحدين) : 267- 268.

ولا يخفى أن المواظبة على قراءة الحزب وسيلة في غاية الأهمية سواء في توحيد القراءة والأداء، وتعليم مواضع الوقف والابتداء، أو في المساعدة على الحفظ والمحافظة على المحفوظ بالمداومة والاستمرار.

ولقد سهرت الدول المتعاقبة على هذا الشعار فأمرى شعارا وطنيا ومعلما من معالم التمايز في جميع الجهات المغربية، كما دخل ضمن وظائف المسجد ومسؤوليات الإمام، ورتب للقائمين به العطاء في بيت المال ووقفت على أهله الأوقاف تحت إشراف القضاة والنظار والأمناء طوال التاريخ المغربي وإلى اليوم.

العامل الثالث: اعتماد وقف الإمام محمد بن أبي جمعة الهبطي (ت930هـ) وهو من تلاميذ الشيخ أبي عبد الله بن غازي المكناسي (ت919هـ)، وهو نظام تأتي به للقراء الاشتراك في القراءة والأداء على نمط موحد، كما يسر على المتعلمين حفظ مواضع الوقف.

وعلى الرغم مما وجه إلى هذا الوقف من انتقاد، فإنه قد حقق الهدف منه بما أتاحه من إمكانية لتوحيد القراءة وتوافق القراء على أداء واحد منضبط يكفل للمتعلمين تجنب الإخلال برونق التلاوة بمعرفة مواضع الوقف ومراعاتها، كما يعني المعلمين من المتابعة الدائمة للعارضين عليهم بالإشارة بالأصابع إلى مواضع الوقف السليم.

ولقد آتت هذه العوامل الثلاثة أكلها في تيسير سبل التعليم في الكتاب القرآني، كما كان لها الأثر البعيد في توحيد القراءة والرواية وفق أصول وقواعد مدروسة متفق عليها، ومن ثم كان لابد من أن تترتب على ذلك آثار حاسمة في التكوين العام المشترك للقارئ المغربي وللمستمع أيضا بفعل الاحتكاك، وأن ينعكس منه على الحياة العامة نصيب يصل الناس بالقرآن الكريم وقراءته بصفة دائمة من جهة كما يتجلى من جهة ثانية في هيمنة الأسلوب المتبع في القراءة

الرسمية على الاستعمال اللغوي عند المتعلمين، بحيث كان لا مفر من انتقال العدوى من الأداء القرائي للقرآن طبقاً لقواعد الرواية والتجويد، إلى الأداء العادي للخطاب الأدبي والاستعمال اللغوي بوجه عام، سواء ذلك على المستوى الفصيح أو على المستوى العامي والشعبي.

وذلك شيء لا مناص من حدوثه عادة بطول التعامل مع أصول رواية ورش في الرواية الرسمية ؛ وهي رواية تخضع لاختيارات في الأداء القرائي تجري على وفق بعض اللغات العربية والوجوه الواجبة والجائزة في أحوال المد والقصر والهمز وتركه والإظهار والإدغام والتفخيم والترقيق والإمالة وتركها وغير ذلك مما يمكن أن يكون له انعكاس على المتكلم في خطابه اليومي ومخارج حروفه وأصواته، والأحكام الأدائية التي تنسحب آثارها على منطقته وسليقته اللغوية عن وعي أو عن غير وعي، مما قد يكون دخل في لغته أو لهجته بفعل الاحتكاك، ولقفه سمعه عن اعتاد سماعه منهم وإن لم يكن معدوداً من أهل القرآن.

وقد نبه العلامة ابن خلدون في مقدمته على تأثير نوع المسموع من الكلام على نشأة الذوق الأدبي حتى اعتبر حاسة السمع عند البشر أم الملكات اللسانية⁴⁸.

ولاشك أن من أدمن على الاستماع إلى قراءة معينة أو كان يقرأ بها لمدة طويلة سرعان ما تنطبع آثارها في نفسه، وتعلق بلسانه ولغته علوقاً لا انفصام له منه، وقديماً أشار نقاد الأدب إلى أثر المجاورة والاحتكاك على الذوق وصفائه واللسان وفصاحته، فقال شاعرهم:

إن الحمار والحوار سيقا علمه الشهيق والنهيقا

خصائص المدرسة المغربية وخصائص الرواية والطريق الرسمية المعتمدة في الإقراء

استطاعت المدرسة المغربية في مجال التأديب والحياة التعليمية بوجه عام المتصلة بكتاب الله تعالى أن تحافظ على استقلاليتها وطابع شخصيتها ومعالم هويتها وطرزها العلمي والحضاري الخاص دون ذوبان في غيرها، وأهم ما تمثل فيه هذا التمايز عبر القرون:

1- احتفاظ المغاربة بشكل الحرف المغربي في الخط، ويمتاز برشايقته الخاصة ومرونته الكبيرة كما عرف ذلك له الخطاطون وفضلوا استعماله في الزخارف والنقوش على الآثار.

2- ترتيب الحروف الهجائية ترتيباً خاصاً يختلف عن الترتيب المشرقي ابتداء من حرف الزاي.

3- نقط بعض الحروف بطريقة مغايرة لنقط أهل المشرق كما نبه على ذلك الإمام أبو عمرو الداني⁴⁹.

4- استقلال المصحف المغربي برسمه الخاص وضبطه اعتماداً على رواية المغاربة⁵⁰.

5- احتفاظ المغاربة بروايتهم التي وصل إليهم القرآن بها إلى اليوم على عكس ما وقع في المشرق⁵¹.

6- اختصاص المغاربة بالطرق العشر النافعية فيما يعرف عندهم باسم "العشر الصغير" ولم يعد له اليوم وجود في غير المغرب من بلاد الإسلام، وهذه

49- انظر كتاب المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني : 27- 28- 31- 32.

50- الاعتماد في ذلك على كتاب المقنع لأبي عمرو الداني وكتاب التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح تلميذ الداني ثم على عقيلة الأثراب للشاطبي والمنصف للبلنسي ومورد الظمان للخراز الشريشي.

51- سادت رواية حفص عن عاصم في المشرق كله، ولم يعد يقرأ في مكة والمدينة والشام وغيرها بقراءات أئمتها على عكس ما جرى عندنا من استمرار قراءة نافع منذ دخولها إلى اليوم.

مزية عظيمة ومفخرة لبلادنا أن تحافظ على قراءة نافع من رواياتها وطرقها العشر المشهورة. بينما نجدها قد انقطع سندها بالقراءة عند المشاركة منذ قرون، حتى في مقرها "الأصلي" وهو دار الهجرة النبوية الشريفة.

أهم سمات التلاوة المغربية في طريق الأزرق عن ورش وظواهرها اللغوية، وأثرها على السليقة الأدبية، ولغة الاستعمال اليومية واللهجات الشعبية:

1- الظاهرة الأولى:

الأخذ بمرتبة التحقيق في الأداء على مذهب ورش المفضل، وهذه المرتبة هي إحدى المراتب الثلاث التي هي: الحدر والتدوير والتحقيق.

2- الظاهرة الثانية:

- تمكين المد تمكيناً زائداً بمقدار ست حركات في الإشباع على وفاق مذهب ورش في التحقيق.

وتتجلى هذه الخصوصية في طريق الأزرق عن ورش عند ملاقة حرف من أحرف المد الثلاثة، وهي الألف والواو والياء لسبب من أسباب المد الثلاثة وهي الهمزة والسكون والتشديد فتمد مداً مشبعاً وطويلاً.

ومن المعلوم عند القراء أن أطول القراء مداً ورشاً وحمزة، بل ذكر بعض الأئمة أن ورشاً أطول القراء مداً على الإطلاق⁵².

فإذا قرأنا لورش مثلاً قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁵³ فسوف نرى أن الزمن الذي يحتاج إليه القارئ لورش لاستيفاء أحكام القراءة والتجويد فيها

52- انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي بن بن الباذن: 469/1 وفيه قول الأهوازي: مد ورش أطول من مد حمزة وقال ابن شنبود عنه: مثل مد حمزة أو أطول.

53- سورة الأحزاب: آية رقم 56.

أطول من زمن أي قارئ آخر من القراء السبعة من طرقها ورواياتها المشهورة، وذلك لأنه يقرأ بالتحقيق فيمكن الحركات والمدات فيها أكثر مما يفعل غيره.

- ففي قوله: "وملائكته" يمد الألف المدية بسبب الهمزة بعدها مدا مشبعا بمقدار ست حركات من نسبة حركاته المعتبرة له في مرتبة التحقيق.

- وكذلك يمد الياء قبل الهمزة في قوله: "النبى" مدا مشبعا بمقدار ست حركات، ولا يماثله في ذلك من القراء السبعة أحد، لأنهم يقرأون "النبى" بالإدغام لا بالمد. قال الإمام الشاطبي:

وجعا وفردا في النبى وفي النبوة الهمز كل غير نافع أبدا

- وفي قوله تعالى: "يا أيها" نجد الأزرق عن ورش يمد "يا" مدا مشبعا بمقدار ست حركات، وذلك بسبب الهمزة في أول قوله: "أيها" ولا يلتفت إلى كونها منفصلة عن حرف المد ويخالفه غيره في ذلك إما بترك المد بالمرة اكتفاء بالمد الطبيعي الذي هو القصر، وإما بالمد المشبع، إلا أنه أقل من المقدار الذي للأزرق عن ورش، لأن مده من نسبة حركاته، وحركات ورش وحمزة أطول من غيرهما.

3- الظاهرة الثالثة:

- تمكين المد بقدر أربع حركات في ما تقدمت فيه الهمزة على حرف المد من كلمة، وذلك في مثل آمنوا وآدم وأوحي والأولى والإيمان وإيماننا مع إيمانهم، وقد انفرد الأزرق عن ورش بهذا المد عن جميع الرواة عن السبعة بمقدار التوسط أي أربع حركات وفي مذهب الحصري وأهل القيروان ست حركات كما قال أبو الحسن الحصري في رائيته في قراءة نافع:

وإن تتقدم همزة نحو آمنوا وأوحي فامدد ليس مدك بالنكر

ولوسهلت إلا مواضع أهملت لهم علل فيها حوى علمها صـدري

يوأخذكم ءالان مستفهما به وقوله "الأولى" وصف عاد ذوي الخسر

وقد دخل مذهب الأزرق عن ورش فيما تقدم في السليقة اللغوية في الأقطار والجهات المغربية، عن وعي أو عن غير وعي، في بعض صور الاستعمال الفصيح وغيره ؛ فأنت مثلا تستطيع أن تميز بين المغاربة وغيرهم من المشاركة في صف الصلاة الجهرية عند ما يصل الإمام في سورة الفاتحة إلى قوله تعالى : ﴿ **ملك يوم الدين** ﴾ فيقرأها تبعا لقراءة نافع "ملك" دون ألف بعد الميم، والمشاركة يقرأونها: ﴿ **ملك يوم الدين** ﴾ وإنما قرأها بالألف من السبعة عاصم والكسائي، ولجريان القراءة عندهم على رواية حفص عن عاصم فهم يقرأون "مالك" بالألف، كما قال الشاطبي في حرز الأمان:

ومالك يوم الدين راويه ناصر وعند سراط والسراط قنبلا⁵⁴

وإذا بلغ الإمام في الصلاة إلى قوله: ﴿ **والضالين** ﴾ وقال المأمومون جهرا "آمين" نطق بها أهل المشرق بالقصر تبعا لقراءتهم برواية حفص، ونطقها المغاربة بالمد المتوسط، وربما أطالوها حتى بلغوا حد الإشباع تبعا لرواية الأزرق عن ورش في ما تقدمت فيه الهمزة على حرف المد واللين كما ذكره الإمام الحصري.

وكذلك يفعل المغاربة في دعاء الختم فإننا نسمع حتى العامة يقولون: "اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما، فيمدون "النبيء" مد الإشباع طبعا لقراءة نافع كما تقدم، كما يمدون همزة، "ءاله" بالتوسط أو الإشباع جريا على السليقة اللغوية التي نشأت عندنا من الممارسة

54- انظر متن الشاطبية : البيت رقم 108.

أوالاحتكاك بالتلاوة الرسمية، في حين يقرأ المشاركة كل ذلك حسب قراءتهم بترك المد في الموضعين.

وكذلك يفعل القراء والعوام عندنا في الصلاة الإبراهيمية في قوله: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد".

- وعلى حسب قراءة نافع وروايي ورش وقالون، عنه يقرأ المغاربة لفظ النبي والنبوّة والنبيّين والأنبياء كلها بالهمز حيثما جاءت في القرآن خلافا لقراءة أهل المشرق في رواية حفص وغيرها فكلها بالإدغام.

ثم انتقل الأثر عندنا من القراءة إلى الاستعمال اللغوي الفصيح وغيره، فوجدنا أبا الحسن بن بري يقول في "الدرر اللوامع" وهو يتحدث في مقدمته عن شمائل النبي ﷺ في أرجوزته في المقدمة:

جاء بختم الوحي والنبوّة لخير أمة من البريّة

فهمز النبوءة والبريّة في البيت تبعا للمعهود فيهما في القراءة الرسمية عندنا. وكثيرا ما نسمع طلبة الجنوب المغربي يفتتحون قصيدة الهمزية "البوصيري فيهمزون لفظ الأنبياء في قوله:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

كما يهمزون لفظ النبي في قوله:

النبي الأمي أعلم من أســــ ند عنه الرواة والحكماء

ومن الطريف ما كنت ألاحظه في الدروس الحسنية الرمضانية التي كان يلقيها الشيخ الفاضل بن عاشور التونسي رحمه الله بين يدي الملك الراحل جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، فإنه كان يلتزم فيها ذكر لفظ "النبي" حيثما ورد

في محاضراته هكذا بالهمزة تأثرا بالقراءة التي يقرأ بها في تونس وهي رواية ورش أوقالون عن نافع، وقد اقتفى أثره في ذلك الشيخ الحبيب بلخوجة، إلا أنه لا يلتزمها مثل سلفه.

وقد حافظت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في طبعها لمحاضرات الشيخ ابن عاشور على هذه الظاهرة اللغوية فرسمت لفظ "النبيء" حيثما جاء في كلامه هكذا بالهمزة بعد الياء كما تتبعتها في الدروس الحسنية المطبوعة.

هكذا انتقل الهمز من لفظ القراء إلى سليقة الخطباء والأدباء، ولقد وقفت على قول أحد شعرائنا القدامى في وصف الصحابة:

"هم الوارثو العلم النبيئي بعده" فقال: "النبيئي" بالهمز، ولم يقل "النبوي".

4- **الظاهرة الرابعة:** تخفيف الهمزة الساكنة لورش إذا كانت في مقابل فاء الكلمة، وذلك بإبدالها حرف مد ساكنا بحسب الحركة التي قبلها، وذلك أصل من أصول رواية الأزرق عن ورش في مثل ياخذ ويامر وتاكلون وناقي ويستأخرون ويستأذنونك وتستانسوا، وكذلك فيما قبلها ضم مثل يومنون ويوتون وتوترون والمومنين والمومنات والموتفكات ويقول ايذن لي.

5- **الظاهرة الخامسة:** وكذلك يبدلها واوا إذا تحركت وانضم ما قبلها وكانت في فاء الكلمة، وذلك مثل "يوفر" و"يوفره إليك" و"يؤلف بينه" و"فأذن مؤذن" و"المولفة قلوبهم".

6- **الظاهرة السادسة:** وكذلك يبدلها ياء إذا سكنت بعد الكسرة وكانت عينا للكلمة، وذلك في لفظ "الذيب" في المواضع الثلاثة في سورة يوسف، وكذلك في لفظ "بيس" حيثما وقع في القرآن، وفي "عذاب بيس" و"بير معطلة". قال ابن بري وهو يتحدث عن ورش:

وأبدل الذيب ويريسا ورش ورثيا بإدغام عيسى⁵⁵

وقد تلقفت لغة الاستعمال عندنا في المغرب هذه الأصول من تخفيف الهمزة بالبدل، فشاعت في كلام المتعلمين والعامة على السواء، فأدبوا ينشدون قول الفرزدق هكذا بإبدال همزة الذئب:

عوى الذيب فاستانست بالذيب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيروا
وأستاذتنا في النحوينشدون هذا الشاهد في باب النعت:

حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذيب قط؟
وهكذا يتلفظ بلفظ "الذيب" في لغتنا الدارجة إذا سمي به الحيوان المعروف
أو سمي به الإنسان، وكذلك نقول في الجمع "الذباب" بالياء، وفي التصغير
"الذويب" بالواو "وفي الفعل" فلان كيستذيب "أي: يتشبه بالذيب.

وكذلك نقول في البئر "البير دون همز، ونجمعها في لغتنا الدارجة باعتبار
ذلك على الایبار" ونقول "فلان بيار" لمن كانت حرفته، أولمن كان يتعامل بنوع
من الخداع، وكذلك تنطق بها العامة في أسماء الأماكن مثل بئر أنزران وبئر
الرامي والبئر الحديد وبئر قاسم، وهكذا يغلب إبدال الهمزة عندنا في لغة
الاستعمال اليومية تأثراً منا برواية ورش في كل همزة ساكنة مما ذكرناه وما
شابهه، فنقول: فلان ياكل ويوكل ونقول: "الماكلة" و"المامونية" و"المومن يامن"
والكافر ياخذ فيه الله الحق، ونقول: "لا تامن لاتستامن في بلاد الامان" ونقول:
"الله يدير تاويل الخير" وفي الألقاب المشهورة: "التاويل" جريا على قراءتنا في
سورة يوسف: 6 قوله تعالى: ﴿ويعلمك من تاويل الاحاديث﴾ وكذلك نقول:
دراسة التاريخ والتأليف.

55- المراد بعيسى: قالون الراوي الثاني عن نافع.

وكذلك نبدل الهمزة واوا على طريقة الأزرق عن ورش فنقول: "أذن الموزن" و"دراسة المولفات" و"اللي حصل يودي" ونقول في الأمير الموحدي: "عبد المومن بن علي"، وفي السد المعروف في سوس: "سد عبد المومن" وفي الموضع المعروف: "عوينة علي ومومن".

وكذلك نقول في ترك الهمزة الساكنة وإبدالها بعد الكسرة ياء في مثل: "محكمة الاستئناف" ولفظ "الاستيناس" والاستيمارة" ويخطئ فيها الناس فيحذفون الياء فيها، وهي بدل من الهمزة الموجودة في فعلها: "استأمر" وكذلك نبدل الهمزة الساكنة ألفا حين نقول: "المامون العباس" و"المامون بن ذي النون بطليطلة" وكذلك يفعل مؤرخ الأدب عندنا حينما يذكر قصة إسلام كعب بن زهير، وكيف كان يعيب على أخيه بجير قبوله لدعوة رسول الله ﷺ وذلك قبل إسلامه، فينشدون مما خاطبه به قوله :

سقاك بها المامون كأسا روية فأنهلك المامون منها وعلكا

وينشدون قول كعب بن زهير أيضا في قصيدته المشهورة بإسم "باتت سعاد":

نبئت أن رسول الله أوعديني والعفو عند رسول الله مامول

7- الظاهرة السابعة:

ظاهرة حذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن الصحيح قبلها، وهذه الظاهرة خاصة برواية ورش عن نافع ويشاركه فيها حمزة في حالة الوقف.

ومثال ذلك أننا نقرأ في الرواية المتواترة عندنا: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ و﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ و﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾

آل عمران:193، وفي كل ذلك ننقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها.

ونقرأ بنقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها في قوله تعالى:
﴿وَالْأَرْضُ وَهِيَ لِلْإِنْسَانِ﴾ الرحمن:10، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ النساء:125، وقوله: ﴿وَلَا يَبَايِعُ الْأَحْزَابَ يُوَدُّوهُمُ
بِأَدْوَانٍ فِي الْأَعْرَابِ﴾ الأحزاب:20، ولو قرأها قارئ برواية حفص لقرأها جميعا
بالحمزة المحققة تبعا لهذه الرواية.

وقد انتقل هذا التأثير إلى لهجتنا الشعبية كما انتقل إلى سليقتنا اللغوية بصفة
عامة، فنحن نقول تأثرا بذلك : الامان والامانة والآخرة والاربعاء والايام
والاخذ والاذن والابرة والاشفة والافادة والاجابة والاجازة والامام، ونقل
الأدب العربي والآثار القديمة وننشئ بيت طرفة في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وننشئ مطلع القصيدة الشمقمقية لابن الونان هكذا:

مهلا على رسلك حادي الينق ولا تكلفها بما لم تطق

كما نقول في همزية البوصيري:

الآمان الآمان إن فؤادي من ذنوب أتيتهن هواء

8- الظاهرة الثامنة:

في رواية ورش من طريق الأزرق وفي لهجتنا تبعا لها: ظاهرة ترقيق الراءات
في مواضع مخصوصة، وقد انفرد بذلك ورش عن جميع القراء والرواة. ومن
ذلك:

1- إذا تقدمت قبل الراء كسرة لازمة متصلة بها ولم يات بعدها ما يمنع من

ترقيقها أو تكن أعجمية كإسرائيل، وسواء كانت الكسرة موالية للراء أو منفصلة عنها بحرف ساكن ليس من حروف الاستعلاء، إلا الخاء، وذلك نحو مرء وسراجا وتنتصران وتوثرون وتتكبرون وأسرؤا قولكم، وكانوا يصرون على الحنث العظيم، وكذلك المفصولة بحاجز غير حصين نحو إكراههن، وإجرامي وإسرافنا، والحراب، وسدرة المنتهى، وقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

2- إذا تقدمت قبل الراء ياء ساكنة متصلة بها، سواء كان السكون حيا أو ميتا، وذلك "نحو خبيراً" و"بصيراً" و"المغيرات"، و"يسارعون في الخيرات"، و"فيهن خيرات حسان"، و"قالوا لا ضير"، و"لدار الآخرة خير".

وقد انعكست آثار الالتزام بمذهب ورش فيها على سليقتنا اللغوية ولهجة الخطاب الشعبية، فاستوى فيها المتعلمون وغيرهم من عامة المغاربة، وشاع هذا الاستعمال في الأسماء والألقاب وإنشاد الأشعار، ودخل في أدب الأدباء وخطب الخطباء، وتدریس المدرسين في المدارس والمعاهد، ولبیان ذلك نسوق هذه الأمثلة.

- ففي سنة 1993 سافرت مع وفد يتجاوز المائة من الفقهاء وأئمة المساجد إلى الحجاز موفدين إلى الحرمين الشريفين من لدن جلالة الملك الراحل الحسن الثاني - رحمه الله - لأداء العمرة وطلب الغيث بصلاة الاستسقاء في جبل عرفات وجبل أحد، ففعلنا ذلك، وكان بعض الموكلين بصحبتنا لأداء الطواف: مرشد سعودي من وزارة الأوقاف السعودية، فكان في أثناء الطواف يلقننا الأذكار التي يسن للطائفتين الدعاء بها، فكان مما لقننا: ما يقال بين الركن اليماني والحجر الأسود: وهو قول الله تعالى: ﴿وَبِئْسَ أَقْنًا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَبْلَ عَذَابِ النَّارِ﴾ البقرة: 201، فكان ينطق بها على حسب الرواية السائدة عندهم، وهي رواية حفص عن عاصم فيقول: ﴿وَبِئْسَ أَقْنًا﴾ فيقصر المد في الكلمتين،

فيرددها طلبتنا لكن بزيادة المد. فإذا قال «وفي الآخرة حسنة» قالها بهمز
الآخرة وترك المد فيها، وتضخيم الراء، فأجابه المغاربة بعكس ذلك فتركوا
الهمزة ونقلوا حركتها إلى اللام، وزادوا في الألف المد، ثم رققوا الراء
من "الآخرة" وكنت خلال ذلك أستمع بهذا التباين الملحوظ في كيفية النطق بين
المطوف المشرقي والطائفين من أهل المغرب، وكيف أنه أصر على الأداء وفق
روايته، وأصروا على مخالفته على غير قصد منه ولا منهم إلى المخالفة، وعلمت
أن لكل وجهة هو مولياها بفطرته وحكم سليقته ولغته وقراءته.

ومن تتبع أثر رواية ورش على منطقنا نحن المغاربة فسيكتشف من ذلك
أمثلة زاخرة عجيبة، وسوف يجد أن التأثير فيها عام ومشترك بين سائر الفئات
المثقفة وغير المثقفة على السواء.

فأهل الأدب القديم عندنا إذا أنشدوا معلقة امرئ القيس الكندي من شعراء
الجاهلية قالوا:

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

فهم يقولون: "ذكرى حبيب" فيرققون الراء على موافقة قراءتهم، بينما
لو أنشدوها المشاركة لفخمو الراء.

وكذلك نحن نقول: "فتوضح فالمقراة" بترقيق الراء، بينما يقول المشاركة:
"فالمقراة".

ونحن ننشد أول بيت من بردة المديح للبوصيري فيقول:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم؟

ففرق الرء من "جيران" و"جرى" موافقة لقراءتنا على مذهب ورش في أمثالها.

وكذلك نسمع المنشدين عندنا ينشدون بالترقيق الرء من "معذرة" في قول البوصيري:

بالائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك، ولوأنصفت لم تلم
وهكذا كنا نسمع أساتذة الآدب العربي عندنا يقولون في قصيدة أبي فراس
الحمداي، فيرققون القوافي في قوله:

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر
إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذلت دمعا من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصباة والفكر

ولوأنشدها منشد من أدباء المشرق لأنشدها بالتفخيم جميعا.
وفي نظير ذلك كنا نسمع أساتذتنا ينشدون قول أبي الطيب المتنبّي في مدح
سيف الدولة الحمداي فيقولون:

أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

ولوأنشدها على الطريقة المشرقية المتأثرة بأصول رواية حفص التي يقرأون
بها لفخمننا ألفاظ "شعرا" و"غير صوتي" و"الطائر المحكي" و"الآخر الصدى".

وسيراً منا على هذه القاعدة -ولاحظوا قولي: "سيرا" فإن أهل المشرق
يقولون: "سيرا" - على وفق أصوات قراءتهم -أقول: سيرا منا على هذه القاعدة
ننطق بالراءات مرققة فيما يلي:

"كان الشاعر يقول الشعر بالسليقة" و"يعجبني الشعر الأندلسي" و"شعر المهجر" وكثيرا ما نسمع من يقول: "الفكر الإسلامي" و"دراسة المؤلفات" و"السيرة النبوية" و"ذكرى الاسراء والمعراج" ودائرة المعارف، والبيع والشراء، وكراء المنزل، وتعجبني مسائل علم الميراث، وكلها بترقيق الرائ.

والفقهاء عندنا يتحدثون في باب الطهارة عن الاستبراء والمسح على الجبيرة وأحكام العقيقة والوكيرة. وأساتذة النحو عندنا يذكرون باب النكرة والمعرفة، وينشدون بالترقيق قول ابن مالك في أول الألفية في النحو:

والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة

وكذلك ينشدون قوله:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد كعند زيد غمرة

وهكذا ينطق الحجاج عندنا هذا الاسم حين يتحدثون عن الجمع بين الظهر والعصر في مسجد غمرة.

وفي وسائل الإعلام عندنا نسمع عن برنامج "ذاكرة المدن" و"ذكرى المسيرة" و"قسم المسيرة" و"سمو الأميرة"، و"قناة الجزيرة"، وشعار "من طنجة إلى الكويرة".

وفي الاستعمال الشعبي نسمع عن الحرية والخميرة والمديرة والكوميرة والتقسيرة والتكبيرة.

كما نسمع في الأسماء والألقاب ترقيق الرائ في سميرة وكبيرة وكديرة وحجيرة ونويرة وبنميرة وفي أسماء البلدان مثل الجزيرة الخضراء والبحيرة وحويرة وهزميرة وودغيرة وأولاد عميرة، وفي أسماء الكتب مثل التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، والتذكرة في الطب للأنطاكي، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتري. وكذلك ترقق الرائ عندنا بعد الياء الساكنة

أو الكسرة في مثل: الجيران، والغيران، والفيران، والنيران، والثيران، وبنكيران وبني خيران، ودويران، والخزيرات، والصخيرات، والبويرات، والنعيرات، والسديرات، وفي مثل إفران والعراق، والقاهرة والقيروان وبيروت، والخيرالد.

وتحتفظ الأمثال الشعبية بهذه النبرة فتقول: "اللي ماشرى يتتره" وتقول: "الماء بلا شرا، والقبلة بلا كرا" وتقول "سرى وطاح في السدرة" وهكذا.

ونقول في الأذكار: "الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا" وكان المطوف ينطقها بالتفخيم ونحن نردها بعده بالترقيق، وكان عند جبل الصفا يقرأ الآية المعروفة ويقرأ في ختامها: ﴿ومن تصوم خير فإن الله شاكر عليم﴾ البقرة : 158 فكان يفخم "خييرا" و"شاكر" ونحن نرققهما، وكل ذلك إنما هو أثر من آثار القراءة الرسمية عندنا.

9 - **الظاهرة التاسعة:** ظاهرة تفخيم اللامات بعد الصاد والطاء والظاء بشروطها، وهي من خصائص رواية ورش في القراءة الرسمية عندنا، وذلك في الألفاظ التي تأتي فيها اللام مفتوحة وقبلها مفتوحة أو ساكنة أحرف الصاد والطاء والظاء نحو صلح والصلاة وظلم وأظلم وأطلع ومطلع. ويمكنك ملاحظة ذلك في قراءتنا إذا قارنتها بقراءة المقرئين من أهل المشرق.

وقد انتقل ذلك عندنا من القراءة إلى ألفاظ الأذان وإقامة الصلاة، فأنت تسمع المؤذن عندنا يفخم اللام تفخيما واضحا في قوله: ﴿حي على الصلاة﴾ وكذلك حين يذكرها في الإقامة.

وهكذا يمكنك أن تعرف جنسية القارئ والمؤذن والإمام والمأموم والمنشد للأشعار من مجرد ملاحظة النطق بهذه الأحرف، وهذا هو الملحظ المشترك بين هذه الأمثلة التي مثلت بها، وذلك هو المعنى الذي بنيت هذه العرض المتواضع

عليه، والغرض هوبيان مقدار هيمنة نوع الرواية السائدة في البلاد على الظواهر الصوتية، ومقدار تأثيرها على الجهاز الصوتي وتكوين العادات اللغوية، ولقد رأينا من خلال هذه الظواهر التسع التي وقفنا عندها مقدار سيطرة رواية ورش وهيمنتها في الساحة، وكيف استطاعت عبر القرون أن تتغلغل في الأوساط وتنغمر في أداء الناطق للغة فتدخل بأصواتها ضمن مكونات بنيته اللغوية، وأن تطبعه بطابعها الخاص والتميز، وأن تخلق داخل هذه البنية انسجاما تاما مع جهازه الصوتي، سواء على مستوى الأداء العادي، أم على مستوى الأداء الفصيح في الآيات القرآنية، والنهوض الشرعي، والخطب المنبرية، والإنشادات الشعرية، والأمثال العامة، والأعلام البلدانية والجغرافية، والبشرية، مما ييلور بوضوح أثر القراءة الرسمية عندنا في رسم المسار اللغوي للناطق المغربي، وتشكيل النبرات الصوتية عنده لدى سائر الطبقات الاجتماعية، وهو مظهر من مظاهر التمايز والخصوصية التي أسهمت من خلالها هذه القراءة في رسم الهوية وتشكيل سمات ومظاهر الشخصية المغربية طوال العهود التاريخية التي أعقبت استقرار الدولة وقيام الوحدة الفكرية والمذهبية، كما استطاعت أن تشكل أحد أهم المقومات والعناصر الأساس التي ارتكز عليها هذا الكيان، وعبر من خلالها عن متانة أركانه ووثاقة بنيانه، ورسوخ قواعده رسوخا استعصى به على عوامل الانفصام عبر القرون بحمد الله.

خاتمة

ومن هنا نتبين الأهمية القصوى التي ظل يكتسيها الكتاب القرآني في مسار الحياة المغربية، وكيف كان له مقام الريادة وموضع القيادة التاريخية، إذ إليه يرجع الفضل في نشأة الدولة، والحفاظ على نسيج الوحدة الفكرية والمذهبية، كما كان المنطلق لظهور كثير من الزعامات فيها، وبه ترسخت روح الإيمان في

أجيالها فأثمرت حضارة متميزة ونتاجا فكريا وعلميا ووجدانيا حفظها من التذبذب والزيغ والانحراف، وتلك هي الرسالة المنوطة بالكتاب والمدرسة القرآنية، وما تزال لهما القدرة على الاستمرار في العطاء إذا أحسنا توجيههما التوجيه الرشيد الذي يلائم العصر ويستفيد من الإمكانيات المتاحة فيه لتحسين الأداء وتيسير العمل مع المحافظة على الجوهر والروح لتحقيق الأهداف، والله سبحانه ولي التوفيق وهونعم المولى ونعم النصير.

الكتاب القرآني بالمغرب والرواية المتواترة المحفوظة فيه

أحمد بودهان

رئيس المجلس العلمي المحلي بالناظور

أولا- مدخل حول الثوابت المغربية

إن كل أمة من أمم الأرض، لها ثوابتها، ممثلة في مقدساتها الروحية، وفي رجالها الذين صنعوا تاريخها، وممثلة كذلك في أصالتها وثقافتها وهويتها وشخصيتها المعنوية التي تعتز بها تحت الشمس، كذاكرة محفوظة في فم الزمان، ولا خير في أمة تجهل ذاكرتها...

والمراد بالثوابت عند المغاربة، هي تلك القيم والمثل والظواهر الروحية والاجتماعية والتاريخية والثقافية والوحدوية والالتحامية التي دأب المغاربة على الحفاظ عليها، والتمسك بها، والتي لا يرضون بديلا عنها ولا محيدا ولا تبديلا ولا تحويلا ولا تغييرا، وذلك على أساس أن ما هو ثابت، يبقى ثابتا خالدا، وما هو قابل للتغيير يخضع لسنة التغيير تمشيا مع مواكبة الحياة في تطوراتها مع الزمن حسب ما تقتضيه الظروف والأحوال...

وتتجلى ثوابتنا الروحية والوطنية والثقافية في تلك الرموز الإيمانية المقدسة، وفي تلك العلاقة الالتحامية المتجذرة بين القمة والقاعدة، وفي روح الوطنية السائدة، انطلاقا من ديننا الإسلامي الحنيف، ممثلة في عقيدتنا الأشعرية التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي شريعتنا السمحاء الممثلة في مذهبنا المالكي، وفي سلوكنا الروحي الصوفي السني الجنيدي المعتدل، وفي نظامنا الملكي الديمقراطي الدستوري المعاصر، القائم على عهد البيعة «إِنَّ الْخَيْرَ يَبَايَعُونَكَ إِنَّمَا

يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفِرْ لَّهُ فَنُصْرَتِي لَهُ فَسَيُتَوَكَّلُ [الفتح: 10]

وفي وحدتنا الوطنية الترابية، وفي كل ما جرى به "العمل" عندنا نحن المغاربة من أعراف وعادات وتقاليد أصيلة، وسنن حميدة تخدم ثوابتنا وتحافظ عليها. وإذا كان ابن عاشر، رحمه الله، قد أشار في بداية منظومته الشهيرة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) إلى الثوابت الثلاثة من ثوابتنا المذكورة وهي: العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والطريقة الصوفية الجنيديّة، في قوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيدي السالك

فإننا بدورنا سنتمم نظاما ما تبقى من الثوابت على منوال منظومته فنقول في البيت التالي بعد قوله في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريق الجنيدي السالك:

وفي نظامنا الملكي الثابت - والوحدة الترابية تنمة الثوابت.

والذي نريد أن نخلص إليه في هذا المدخل حول الثوابت كتذكير، هو أن ثوابتنا تلك، ورموزنا المقدسة المشار إليها، عقيدة ومذهبا وسلوكا ونظاما ووحدة وعملا، هي كلها راجعة إلى مصادرها الأسنى، وأساسها الأسمى الذي تستمد منه مصداقيتها، وهو القرآن ...

وعلى ذكر القرآن، باعتباره مصدر تلك الثوابت كلها، تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان كل قطر من أقطار الأمة الإسلامية يولي عناية كبرى للقرآن، وهذا أمر بديهي ومعروف لأن القرآن هو دستور الأمة الإسلامية - فإن المغرب، قد حاز قصب السبق أيضا في هذا المجال.. مجال العناية الفائقة بكتاب الله،

وبشكل منقطع النظير، وبشهادة الجميع...

وقصة المغاربة مع القرآن قصة طويلة، والحديث عنها يحتاج إلى أسفار ومجلدات، وقد تحدث عنها ابن خلدون في "المقدمة" وتحدث عنها الناصري في "الاستقصاء" وتحدث عنها عياض في "المدارك" والمقري في "النفح" والمعاذري في "العواصم..." والكنوني في كتابه "المدرسة القرآنية في المغرب" وعبد الحى العمراني في كتابه "هذا القرآن"، وناهيك عن شراح "الشاطبية"، وشرح الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع" لابن بري، إلخ.

وإذا نحن استثنينا القصة أو الحكاية أو الأسطورة التي تقول: إن المغاربة زاروا رسول الله ﷺ في حياته ضمن وفد خاص، وتحدث معهم بلغتهم البربرية الأمازيغية قبل رحلات الحجاج، ثم دعا لهم بخير، ثم تكررت هذه الزيارة في عهد عمر بن الخطاب، الذي أخبرهم أن الرسول ﷺ سبق وأن أوصاه بهم خيرا في زيارتهم الأولى له عليه الصلاة والسلام...

أقول... إذا نحن تجاوزنا هذه الرواية دون تمحيصها من حيث الصحة أو عدم الصحة، والتي أوردتها الناصري في "الاستقصاء" (ج الأول ص74). والتي ذكرها أيضا واستشهد بها أحمد عصيد تعليقا في كتابه "الأمازيغية في خطاب الإسلام السياسي" ص88...

إذا سكتنا عن مناقشة هذه الحكاية تحفظا، وعدنا إلى قصة دخول القرآن إلى المغرب تاريخيا... والتاريخ رائد لا يكذب أهله، نجد أن قصة المغاربة مع القرآن تبدأ قبيل نهاية القرن الأول الهجري، زمن الفاتحين العرب، وزمن عهد الولاة بالمغرب قبل أن يستقل هذا الأخير سياسيا عن الخلافة المشرقية بعد بيععة المغاربة للمولى إدريس الأكبر...

ومنذ يومه، أي منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، زمن عقبة ومن جاء بعده من الفاتحين، إلى يومنا هذا والمغاربة لا يزدادون إلا حبا وتمسكا وتعلقا بالقرآن، ويواصلون عنايتهم الفائقة به، ويتفننون في ابتكار العديد من الوسائل للحفاظ عليه... فبعد توزيع مصاحف عثمان على الأمصار والشعوب والأقطار بما في ذلك الغرب الإسلامي الذي يقوده المغرب، ومنذ أن اصطحب معهم الفاتحون هذا القرآن إلى المغرب مدونا في تلك المصاحف، ومحفوظا في الصدور، ومنذ أن اعتنق المغاربة الإسلام على أيديهم بسبب سماعهم لكتاب الله يتلى ويشرح، ويحفظ شفويا وتلقينا قبل أن يتعلموا العربية والكتابة...

أقول.. منذ يومه إلى الآن، والمغاربة يتنافسون في الحفاظ على هذا القرآن إلى درجة أنه من النادر أن تجد أسرة أو عائلة أو شخصا لا يقتني المصحف في داره، وأخرى في المساجد والرباطات والزوايا والثغور الجهادية...

إن التاريخ يروي لنا أن ملوك المغرب كانوا وما زالوا منذ دخول الإسلام إلى المغرب، وهم يعتبرون المصحف الشريف كترا وذخيرة في قصورهم كما أنهم كانوا يتبركون به بأخذهم معهم في جل رحلاتهم، وأحيانا حتى في بعض غزواتهم، مع احتياط شديد ألا يقع في يد العدو إذا كان غير مسلم. كما أن التاريخ يحدثنا أن معظم الملوك المغاربة كانوا يكتبون ويستنسخون المصاحف بماء الذهب، ويأمرون أطفالهم بتعلمه داخل القصور، قبل مواصلة دراستهم، وذلك تبركا بكتاب الله.

ويحدثنا التاريخ في المراجع التي ذكرتها أعلاه، أنه حتى الرعاة كانوا يحملون معهم المصاحف للتبرك والتعبد والقراءة.

وناهيك عن "الوقف" وقف المصاحف في المساجد والمعاهد، وقف الرباع

والدكاكين والممتلكات على طلبة القرآن، وقراءة الحزب، وتخريج السلكات والختومات القرآنية وما يسمى بالفدية ترحما على الأموات وأهل الصلاح... ويروي لنا التاريخ أيضا أن المغاربة كانوا يطلبون من ملوكهم عند البيعة مواصلة عنايتهم بالقرآن صيانة وتعلّما وتعلّما وقراءة، وذلك منذ البيعة الأولى للمولى إدريس إلى يومنا هذا، فبقى العهد قائما بين الراعي والرعية للحفاظ على هذا الموروث المقدس - الذي هو القرآن - وهكذا حافظ المغاربة على كتاب الله عبر التاريخ، ونشروه في الأقطار المجاورة والبعيدة وخاصة في تخوم إفريقيا السوداء والأندلس - وذلك عن طريق نشر الإسلام في تلك الربوع -.

ويحدثنا التاريخ أن المغاربة لم يكتفوا باعتناق الإسلام، بل إنهم اعتنقوه ثم حملوا السيف للدفاع عنه، ونشره خارج المغرب بالأندلس وإفريقيا...

وأخيرا قرر المغاربة تلك السنة الحميدة التي حازوا فيها قصب السبق بالمقارنة مع أقطار أخرى، والتي عرفوا بها أكثر من غيرهم، ألا وهي ظاهرة "الكتاب القرآني بالمغرب" كوسيلة أساسية ومستمرة وخالدة للحفاظ على كتاب الله بعد تلك المراحل السابقة لهم عبر التاريخ منذ الفتح الإسلامي مروراً بمراحل الدولة المغربية إلى زمن الكتاب القرآني... وقصة "الكتاب القرآني بالمغرب" قصة أخرى، وهوبيت القصيد في العنصر الموالي بعد هذا المدخل..

ثانياً - حول الكتاب القرآني بالمغرب ودوره في الحفاظ على هذا الموروث الروحي العظيم:

إذا كان المغرب قد حاز قصب السبق بخصوص ثوابته الروحية تلك التي عرف بها عقيدة ومذهباً وسلوكاً ونظاماً ووحدة وعملاً بالمقارنة مع الشعوب الأخرى في ثوابتها، وإذا كان أيضاً له الريادة بخصوص عنايته الفائقة بالقرآن، قياساً على باقي الشعوب الإسلامية - فإنه كذلك يعتبر النموذج الأمثل لظاهرة

الكتاتيب القرآنية، حيث يمكن القول إن الكتاب القرآني أخذ الجنسية المغربية على حد تعبير الدكتور عبد العزيز العيادي العروسي في كتابه [الأنصاف القرآنية: (رواية ورش) الجزء الأول مطبعة سبارطيل طنجة سنة 1996 ص 94] حين كتب عنوانا يتحدث فيه عن رواية ورش عنونه هكذا "ورش يأخذ الجنسية المغربية"، ونظرا للعلاقة بين الكتاب القرآني ورواية ورش بخصوص ظاهرة الأنصاف القرآنية، التي تعتمد ورشا عند المغاربة فأنا أيضا أقول هنا عن الكتاب القرآني أنه أخذ الجنسية المغربية ، وذلك على أساس أنه إذا كان الكتاب القرآني موروثا ثقافيا لدى معظم الشعوب الإسلامية ، فإن المغرب له الريادة وله قصب السبق فيه أكثر من غيره...

لكن ما معنى مصطلح "الكتاب القرآني"؟

ما معناه في المبنى اللغوي؟ وما هو معناه الاصطلاحي؟

وما هي الدلالات المرتبطة بالاصطلاحات الأخرى المتفرعة عنه؟

وما هي وظيفة الكتاب القرآني بالضبط؟

وكيف ومتى ظهر في المغرب وانتشر حتى أخذ الجنسية المغربية كما قيل؟

وما هي مراحل تطوره من الكتاب التقليدي العتيق إلى عدة مؤسسات؟ وما دوره في الحفاظ على هذا الموروث الروحي العظيم (القرآن) عند المغاربة؟

تلكم كانت هي التساؤلات المطروحة هنا، والتي سنحاول الإجابة عليها بخصوص هذا العنصر الثاني في الموضوع ككل والخاص بالكتاب القرآني بالمغرب.

ولنبداً بمسألة مصطلح الكتاب القرآني فنقول : لفظ: "كتاب" بضم

الكاف وتشديد التاء روعي فيه معنى الكتابة، أو تعليم الكتابة للمبتدئين الصغار خاصة، حيث يقال: كتبه بالفتح والشد يكتبه تكتيباً. بمعنى علمه الكتابة عن طريق التهجي والنطق بالحرف وكيفية رسمه، وبهذا يكون لفظ "كتاب" مشتق من التكتيب أي تعليم الكتابة...

وإذا بقي لفظ "الكتاب" منفرداً ومستقلاً دون إضافته إلى وصف بجانبه، يكون معناه تعليم مطلق الكتابة، إملائية، عربية، أجنبية، إلخ. أي مجرد محو الأمية حتى يعرف المتعلم القراءة والكتابة وبغض النظر عن تعليم القرآن، وإن وجد ضمن المواد فلا بأس، وكذلك بغض النظر عن مكان "الكتاب"، أين يكون، وفي الغالب لا يكون في المسجد ولا في المسجد، وإنما يكون في محل عادي.

أما إذا أضيف إلى لفظ "كتاب" صفة "قرآن" ليصبح مركباً من الصفة والموصوف هكذا "الكتاب القرآني" معرفاً أو نكرة "كتاب قرآني" فحينئذ يكون مبناه اللغوي في الاصطلاح خاصاً بالمكان الذي يعلم فيه القرآن: كتابته - رسمه - قراءته، وتهجي حروفه والنطق بكلماته ثم تحفيظه وعليه، فإن "الكتاب القرآني" الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذا العنصر والمركب من الصفة والموصوف، معناه في الاصطلاح: المكان الخاص لتعليم كتاب الله للمبتدئين نطقاً ورسمًا وتحفيظاً وبالرواية المتواترة المختارة عند الشيخ أو الفقيه أو المدرس المعلم في هذا الكتاب، والذي هو بدوره يشترط فيه أن يكون حافظاً لكتاب الله ومتخصصاً في رسمه وفي الرواية المتواترة التي تخصص فيها، حتى لا يحرف كلام الله، وهذا هو الفرق بين مطلق الكتاب لتعليم محو الأمية وبمجرد الكتابة والقراءة الإملائية، والكتاب القرآني الخاص بتعليم كتاب الله.

ومن خصوصيات الكتاب القرآني ومميزاته عن مطلق الكتابات المجردة من القرآن، أن الكتاب القرآني يمكن له أن يعلم لمتعلميه المواد الأخرى بجانب المادة

الأساسية التي هي القرآن، رسماً ونطقاً وتحفيظاً، إذا كان الفقيه يرغب في ذلك، وكان متمكناً من المواد الأخرى كالحساب ودروس الدين الخ. أما الكتاب المجرد من تعليم القرآن، فإن معلمه لا يمكن له أن يجمع بين التعليم المطلق وتعليم القرآن، لأنه يجهل هذا الأخير، وفاقد الشيء لا يعطيه. وبناء عليه، فإن كل كتاب قرآني يمكن أن يكون كتاباً قرآنياً وفي نفس الوقت كتاباً تعليمياً، عكس مطلق الكتاب التعليمي الذي لا يمكن له الجمع بين النوعين ما دام معلمه أسس كتابه مسبقاً للتعليم أو محو الأمية.

والملاحظ أن هناك أكثر من مصطلح بدأ يتداول في السنوات الأخيرة، في هذا المجال التعليمي الأساسي للصغار، حتى كاد الأمر أن يختلط بين ما هو كتاب قرآني أصيل وموروث، وما هو شيء آخر غير ذلك.

ومن هذه المصطلحات المزاحمة للكتاب القرآني مثلاً، مصطلح التعليم الأساسي، التعليم غير النظامي، التربية غير النظامية، الكتاب التعليمي دون تعليم القرآن، محو الأمية، تعليم الكبار، الخ.

كما يلاحظ هذا الخلط أيضاً في المكان المختار لهذا النوع أو ذلك، بينما هو كتاب قرآني أصيل، وما هو مجرد كتاب تعليمي عادي دون قرآن للصغار أو للكبار، وما هو خليط يجمع بين النوعين دون مراعاة خصوصيات وضوابط وشروط مصطلح "الكتاب" القرآني الأصيل. لذا ينبغي التنبيه إلى هذا الخلط، حتى يبقى هذا الموروث الذي هو الكتاب القرآني على أصالته وخصائصه ومميزاته وقداسته وبركته.

فوظيفة الكتاب القرآني تنحصر أساساً، في تعليم الصغار كتاب الله بالتدرج، من التلقين الشفوي لحروف الهجاء، والتأمل في شكلها ورسمها والنطق بها، ثم تلقين شفوي لبعض السور القصيرة كالفاتحة مثلاً، ثم التدريب والاندماج مع

جوالكتاب وسط الصغار، ثم الانتقال إلى مرحلة تعلم القرآن خطا ورسمًا بالتدرج بعد مرحلة التحنيش المعروفة للتدرب على مسك القلم، الخ. من المراحل المعروفة في هذا الشأن، وسوف يأتي الحديث عنها بتفصيل في المحور المخصص لذلك ضمن محاور هذه الندوة. أما محورنا هنا فخاص بمفهوم المصطلح وتاريخه والرواية المتواترة المختارة والمعتمدة المحفوظة فيه.

والكتاب القرآني في وظيفته هاته، يستقبل الصغار من ثلاث سنين أو أربع سنين، وبعد وصولهم سن التمدرس في التعليم النظامي يلتحقون بالمدرسة بعد أن يكونوا قد تبركوا بنصيب من كتاب الله، وانغرس ذلك في ذاكرتهم حتى نوقش عليها منذ صغرهم، حتى قيل "إن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر".

وقد تحدث العلماء والباحثون كثيرا عن السر أو عن الحكمة في التحاق الصغار من أبناء المسلمين بالكتاب القرآني كعادة وكعرف وكتقليد موروث، أو كسنة من السنن الحميدة، وخاصة عند أبناء المغاربة، كما تساءلوا: لما ذا المغاربة يكتفون في الغالب بتعليم القرآن فقط في هذا الكتاب دون العلوم الأخرى، الخ.

ولنذكر على سبيل المثال هنا، لا على سبيل الحصر والإحاطة، بعض آراء ابن خلدون بخصوص ظاهرة "الكتاب القرآني" عند المغاربة بالمقارنة مع غيرهم من شعوب المشرق وإفريقيا والأندلس، وقد سماه "تعليم الولدان القرآن".

فقد ذكر ابن خلدون في المقدمة [في الفصل 31 والفصل 32 من صفحة 537 إلى صفحة 541 الطبعة الثانية. دار القلم بيروت. لسنة 1981م] أمورا كثيرة في موضوع الكتاب القرآني، وركز على طريقة المغاربة في ذلك، مشيرا إلى أهميته وأقدميته وحكمته، واهتمام المغاربة به أكثر، وعنايتهم الخاصة بحفظه أي حفظ القرآن كله عن ظهر قلب كظاهرة استثنائية... كما أشار ابن خلدون إلى ظاهرة انفراد المغاربة بتخصيص القرآن وحده لتعليمه لأبنائهم الصغار في

الكتاب دون العلوم الأخرى في الغالب، عكس شعوب المشرق وإفريقيا والأندلس في ذلك العهد مثلاً، ثم ناقش ابن خلدون موقف القاضي أبي بكر بن العربي الذي انتقد المغاربة لما لاحظ أنهم أبعدوا العلوم الأخرى عن الكتاب القرآني، ورد عليه ابن خلدون رداً مهذباً ومعللاً منتصراً لموقف أهل المغرب مشيراً إلى الحكمة في ذلك، رغم أنه أي ابن خلدون انتقد سلبياً نوعاً ما ملكات المغاربة في قدرتها المحدودة على الفهم واستيعاب المعارف، اللهم إلا التلقي التقليدي للحفظ القرآني شفويًا، دون القدرة على كسب المهارة في علوم أخرى بسبب لسانهم البربري كما يرى ابن خلدون...

وفي هذا الموضوع أيضاً، موضوع الكتاب القرآني عند المغاربة خاصة وتعليم الولدان عامة نبه ابن خلدون المعلمين وحذرهم من استعمال العنف مع متعلميهم، وأورد في ذلك كمثال يحتذي قصة هارون الرشيد مع معلم ابنه الأمين الخ. ويشير ابن خلدون إلى الحكمة من تعليم الولدان الصغار للقرآن قبل العلوم الأخرى واختلاف الطرق في تعليم الولدان القرآن في الكتاب، وقد أشار إلى هذا الموضوع قبلي، وضمن هذا الكتاب، الأستاذ عبد الهادي حميتو فلا داعي للتكرار.

هذا عن مصطلح الكتاب القرآني وأبعاده الفلسفية والاجتماعية والثقافية والحكمية وطرق ممارسته في التعامل بين الولدان وشيوخهم من المعلمين والمدرسين والفقهاء والمقرئين....

أما كيف ظهرت هذه الظاهرة - ظاهرة الكتاتيب القرآنية في العالم الإسلامي عموماً وفي المغرب خصوصاً - فنقول باختصار. إن الرواية التي وصلت إلينا عن عمر بن الخطاب في موضوع تأسيسه الأول لموضوع الكتاب القرآني تعتبر وثيقة هامة في تأصيل وقدم وأهمية الكتاتيب القرآنية ومشروعيتها

حيث جاء في كتاب "أليس الصبح بقريب" للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ص55: "وإن أول من جمع الصبيان في المكتب (أي الكتاب القرآني) هو عمر بن الخطاب، رضي الله عنه الخليفة الثاني، حيث أقام ابن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل له رزقا من بيت المال، وأمره أن يجلس للتعليم بعد صلاة الصبح، إلى الضحى العالي، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ويستريحون بقية النهار، وكان المكتب يقام بجانب المسجد متصلا به أو مفروقا عنه..." قارن (بكتاب "الأنصاف القرآنية" للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي ج الأول ص 24 الطبعة الثالثة 2000).

وإذا كانت ظاهرة الكتاب القرآني بدأت مع ظهور الإسلام زمن عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة بعد أبي بكر فإنها بالنسبة للغرب الإسلامي والأندلس كان ظهورها زمن الفتح الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وذلك بالتدرج الذي يساير بناء المساجد باعتبار أن الكتاب القرآني في بدايته ارتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد ودور المسجد في تاريخ الإسلام دينيا وعلميا واجتماعيا وثقافيا وجهاديا وتربويا، حيث كان المسجد هو كل شيء..

وبداية ظهور المساجد بالغرب الإسلامي كانت زمن عقبة بن نافع الذي بنى مسجد القيروان بتونس سنة 50هـ. وبعده بنى موسى بن نصير مسجد تلمسان بالغرب الإسلامي سنة 89هـ ثم جامع قرطبة سنة 170هـ وجامع القرويين بفاس سنة 263هـ. وخلال هذه الفترة من 50هـ إلى بداية القرن الثالث الهجري كانت هناك مساجد صغيرة قد انتشرت في البوادي والقرى والمدن الصغيرة بالمغرب؛ وانتشار المساجد يعني انتشار الكتاتيب القرآنية في الغالب وخاصة في الفترة التي كان الكتاب القرآني ملازما للمساجد قبل "المسيد" أو المعمورة أو المحضرة أو ما شابه هذه المصطلحات كما سبق.

وبالرغم من تطور الكتاب القرآني في شكله المؤسسي من المسجد إلى المسيد الذي يكون ملاصقا له إلى المكتب المنعزل عن المساجد إلى المدرسة القرآنية الموسعة إلى المعهد الذي يدرس القرآن والعلوم إلى غير ذلك من الأسماء التي أخذت تطلق على هذا الموروث، فإن المسجد يبقى دائما هو الأم الحاضنة والأصيلة للكتاب القرآني حتى الآن في أغلب المساجد، ولا سيما في البوادي...

وتبقى مسألة اختلاط الجنسين الذكور والإناث في سن الطفولة في "الكتاب القرآني" بالمغرب، فنجد أن هناك من الباحثين والدارسين من يرى أن هذا الاختلاط لم يحصل وأن "الفقيهة" هي التي كانت ولا تزال تعلم البنات الصغيرات القرآن في الكتاب، كما ذكر الأستاذ عبد الحفي العمراني في كتابه "هذا القرآن"، في حين أننا نرى أن عدم الاختلاط هذا ربما كان قاصرا على بعض الجهات الخاصة في المغرب، وليس عاما، بدليل أننا كلنا عشنا طفولتنا في هذا الكتاب، ونذكر الاختلاط الذي كان سائدا في الكتاتيب، هذا بالإضافة إلى القلة الملحوظة والنادرة للعنصر الأنثوي الذي يتوارد بقلة على الكتاتيب القرآنية، كما هو معروف وخاصة في البوادي...

والخلاصة أن المغاربة حافظوا على هذا الموروث الروحي القرآني كظاهرة يكاد المغرب ينفرد بها بالمقارنة مع غيره من الشعوب الأخرى، وها هي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب تعمل بجد من أجل المحافظة على (الكتاب القرآني) وتفعيله وتطويره وتدعيمه ماديا ومعنويا، وأكبر دليل على ذلك هذه الندوة التي نظمتها في موضوع: "الكتاتيب القرآنية: الآليات - الأهداف - الأفاق"

ثالثا - الرواية المتواترة المحفوظة في الكتاب القرآني عند المغاربة

الرواية المقصودة هنا من بين الروايات المتواترة، "رواية ورش" عن نافع لأن

هذه هي التي اختارها المغاربة في قراءتهم للقرآن ، وهي التي تحفظ لأبنائهم في الكتاب القرآني منذ قرون، حتى قيل: "إن ورشا أخذ الجنسية المغربية"، رغم أنه مصري الأصل (كتاب الأنصاف القرآنية، للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي، ج. الأول الطبعة الثالثة 2000 ص94)، وعنه نقلت العبارة أعلاه، ورش أخذ الجنسية المغربية! والحديث هنا في هذا العنصر الثالث والأخير عن رواية ورش عن نافع، لا يمكن الدخول فيه مباشرة دون ربطه بما قبله باختصار، وهو علم القراءات وما يتعلق بمفهوم القراءات ومشروعيتها ومصدرها ومنشئها والحكمة منها، وتواتر قراءات أصحابها بما في ذلك قراءة نافع المدني، التي رواها عنه قالون وورش خاصة، ومن هونافع؟ وورش؟ وكيف دخلت هذه الرواية الورشية عن نافع إلى المغرب، والطرق التي نقلتها إلينا بخصوص أساطينها من القراء المغاربة خاصة، وأخيرا ما هي أصول هذه الرواية الورشية عن نافع وما خصائصها ومميزاتها بالمقارنة مع القراءات الأخرى وكيف حافظ عليها المغاربة، الخ.

للإجابة على هذه الأسئلة، وقبل التركيز على بيت القصيد، أقول إن علم القراءات يندرج - كما هو معلوم - ضمن علوم القرآن.

وعلوم القرآن تعد بالملآت، إن لم نقل هي غير قابلة للعد، حتى قيل: أن كل كلمة في القرآن لها من الأسرار ما لا يحد (الزركشي، ج. الأول، البرهان) وقد عد من هذه العلوم القرآنية 31 نوعا، في حين عدها السيوطي في الإتقان 80 نوعا... والمرجح ما ذهب إليه ابن العربي وغيره من السلف من كون علوم القرآن لا تحصى وأن كل كلمة من كلماته تحمل أكثر من علم وأكثر من سر (الزركشي في البرهان ص16 فصل في علوم القرآن).

وقد عرف العلماء القراءات عدة تعريفات، منها أن مصطلح القراءات في

علوم القرآن يعني "معرفة كيفية أداء القراءة القرآنية من حيث النطق بكلماته ومخارج حروفها مع معرفة الاختلاف في بعض وجوهها منسوبة إلى أصحابها القراء الذين صح سند قراءتهم إلى الرسول فجبريل فرب العزة. أما الأصل في هذه "القراءات" بخصوص مصدر مشروعيتها فحديث الرسول ﷺ في الصحيحين وفي سنن الترمذي عن ابن عباس وغيرهما أنه قال:

"أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف". وبالرغم من الخلاف المشهور في معنى سبعة أحرف، فإن المرجح في ذلك قول الجزري والرازي، وكلاهما واحد تقريباً، حيث إن المراد بسبعة أحرف سبعة أوجه من الاختلاف، وهي: 1- الاختلاف في الحركات دون تغيير في المعنى والصورة، مثل: يحسب بالفتح والكسر، 2- الاختلاف في المعنى فقط، مثل رفع آدم ونصب كلمات أو العكس في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة، 37] 3- الاختلاف في الحروف والمعنى مثل تتلوا- تبلوا في قوله تعالى: ﴿هَٰنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ﴾ (تبلوا) [سورة يونس 30]. 4- الاختلاف في الحروف والصورة مثل كلمة "الصراط"-السرط" بالصاد والسين دون تغيير في المعنى، 5- الاختلاف في الحروف والصورة مثل "يأتل" ويأتل بتشديد اللام. 6- الاختلاف في التقديم والتأخير في قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا" و"قَاتِلُوا وَقَاتِلُوا" [آل عمران 195]، 7- بالزيادة والنقصان مثل "ووصى" و"أوصى" في قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة 132].

والحكمة من وراء هذا التغيير والاختلاف في الوجوه السبعة، بما في ذلك الوجوه العشرة كذلك هو التخفيف على الأمة بتسهيل القراءة على أي وجه ما دام ذلك ثابتاً بشكل متواتر. وأن الرسول أقرأ الصحابة هذه الوجوه كلها،

واشتهر بالقراءة منهم : عثمان بن عفان، وعلي، وأبي، وأنس، وابن مسعود، والأشعري، وعنهم أخذ القراءة التابعون؛ منهم بالمدينة ابن المسيب، وابن يسار، والزهري؛ وبمكة مجاهد، وطاوس، وعكرمة، وابن أبي مليكة الخ؛ وبالبحر وبالبصرة أبو العالية، وابن سيرين، وابن عبد القيس وغيرهم؛ وبالكوفة النخعي، وابن جبير، وابن قيس وغيرهم؛ وبالشام أبو الدرداء، والمخزومي، وغيرهم ...

وهؤلاء القراء التابعون تفرقوا في الأمصار والبلدان المذكورة، وأخذ عنهم غيرهم من تلاميذهم الذين أصبحوا يحملون القراءات السبع، أو العشرة، ويطلق عليهم القراء، السبعة أو العشرة، وهم 1 - نافع المدني وستأتي ترجمته والذين رَوَوْا عنه منهم "ورش"، 2- ابن كثير المكي، 3 - أبو عمرو البصري، 4 - ابن عامر الشامي، 5- عاصم الكوفي، 6- حمزة الكوفي، 7 الكسائي الكوفي، 8- أبو جعفر المدني، 9- يعقوب البصري، 10- خلف العاشر. وكل واحد من هؤلاء القراء العشرة له رواته الذين سمعوا منه قراءته ونقلوها إلى البلدان بواسطة ما يسمى بالطريق، مثال ذلك: نافع صاحب القراءة : مقرأ نافع، قالون وورش من الرواة الذين سمعوا منه وتعلموا القراءات على يده، وخاصة ورش الذي هو الشاهد عندنا كما سيأتي، ويبقى "الطريق" والمراد به أحد الرواة الذين نقلوا قراءة ورش عن نافع مثلاً إلى البلدان التي حلوا فيها كالداني عندنا مثلاً، الذي يعد من أحسن القراء الذين نشروا قراءته.

وقد وضع العلماء ضوابط لمعرفة صحة القراءة المقبولة من غير المقبولة، وهي الأركان الثلاثة:

1- التواتر بحيث يرويهما جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب من رب العزة إلى جبريل إلى الرسول ﷺ.

2- موافقة رسم الكلمة أو الحرف لمصحف عثمان،

3- موافقة وجه من أوجه اللغة...

وإلى هنا ننهي هذا التمهيد لهذا العنصر الأخير حول الرواية المتواترة والمختارة عند المغاربة لتحفيظ القرآن لأبنائهم فيها، بعد أن ذكرنا باختصار الربط بين الرواية وعلم القراءات بما في ذلك قراءة نافع برواية ورش حيث وقفنا، وندخل الآن في صلب الموضوع لتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الرواية المتواترة التي اعتمدها المغاربة لتحفيظ القرآن فيها لأبنائهم في "الكتاب القرآني في المغرب..." وهي رواية ورش طبعاً عن نافع، وبما أن رواية ورش فرع، وقراءة نافع أصل، فإننا سوف نبدأ الكلام عن الأصل الأول، أي عن نافع ومقرأ نافع، وبعد ذلك يأتي الكلام عن بيت القصيد عن رواية ورش عند المغاربة.

الإمام نافع ومقرؤه

أولاً - نسبه: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي الأصفهاني الأصل، المدني النشأة حتى عرف بـ "نافع المدني" وتوفي سنة 169هـ، ودفن بالبقيع حسب بعض الروايات.

ثانياً - شيوخه: تلقى نافع القراءة عن التابعين الكبار المشهورين بالقراءة والإقراء في وقتهم، حتى روي أن نافعاً كان له سبعون شيخاً من التابعين، منهم على الخصوص: ابن القعقاع، وابن هرمز، وابن نصاح القاضي، وابن جندب الهذلي، وكل هؤلاء تلقوا هم بدورهم القراءة مباشرة عن الصحابة، ولا سيما على: أبي هريرة رضي الله عنه وعبد الله بن عباس، وابن أبي ربيعة المخزومي، وهؤلاء سبق لهم أن تلقوا القراءة عن أبي بن كعب الذي بدوره تلقى القراءة عن الرسول الأعظم كما هو معروف، والرسول تلقاها من جبريل، وجبريل عن رب العزة...

ثالثا - تلاميذ نافع

تصدى الإمام نافع للقراءة والإقراء وهو بالمدينة المنورة أزيد من أربعين سنة، وذلك منذ عهد شيخه أبي جعفر المتوفى سنة 128هـ إلى أن توفي هوأي نافع سنة 169هـ. لذا أخذ عنه القراءة خلق كثير خلال هذه المدة التي تصدر فيها للإقراء، حتى قيل عنه إنه كان كعبة الطلاب على حد تعبير الدكتور محمد المختار ولد أباه في كتابه: ("ملاحم عن قراءة أهل المدينة" مطبعة الكرامة 2001 ص 12).

ومن تلاميذ نافع: ابن العلاء، والأصمعي، وخارجة، وابن سلامة، والآودي، وهم من العراق، كما أخذ عنه ابن ذكوان، والمري، وابن مسلم، وابن سعدان، وأبومشهر، وأبوقرة اليميني وكلهم من الشام، وأخذ عنه من مصر: ابن دحية، وابن سعد، وابن وهب وأشهب وورش وسيأتي الكلام عليه، وأخذ عن نافع أيضا ابن قيس الأندلسي، وكردم المغربي، وأخذ عن نافع كذلك عدد كثير من طلاب المدينة، منهم: ابن جعفر، وابن وردان وابن جهمز والإمام مالك، وأبناء أويس: أبوبكر وإسماعيل، وقالون المشهور، والمسيبي، والمشهور عند الباحثين من تلاميذ نافع: ورش وقالون خاصة كما سيأتي ، في مكانه من هذا العرض الخاص بالإمام نافع ...

رابعا: مكانة الإمام نافع عند القراء والعلماء في مجال الورع والتقوى والفضل والسلوك

يعتبر الإمام نافع رحمته الله عند الباحثين والدارسين لأصحاب القراءات المتواترة وكذلك عند الفقهاء والعلماء والقراء -رجلا نموذجا في الأخلاق الفاضلة بتحليله المعروف بالتواضع والورع والتقوى والزهد والعبادة، زيادة على اتساع معارفه في علوم الشريعة وعلوم القرآن والقراءات خاصة، حتى قيل: "إن الحديث

عن نافع لا يحتاج إلى التعريف به، لأنه العلم الذي أجمعت الأمة على إمامته، وسنية قراءته، مع ورعه وعلمه وسلوكه وتقواه، وكثرة عبادته" (المصدر السابق للدكتور ولد أباه).

ويروى في العديد من المصادر التي تعرضت لترجمة الإمام نافع نظما ونثرا، أنه رحمه الله، كان مشهورا عند معاصريه ومجالسيه برائحة الطيب التي تفوح منه حيث يجلس للإقراء والمذاكرة والقراءة، فلما سئل عن ذلك قال: لم أمس طيبا، وإنما رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فتفل في، فلزمني الطيب منذ ذلك الحين. (كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي).

وكان مالك ابن أنس رضي الله عنه - وهو تلميذ نافع في القراءة وشيخه في الفقه - يقول عن نافع: إن قراءته سنة، وإنه إمام الناس في القراءة... (كتاب السبعة لابن مجاهد).

ومن المعلوم، أن نافعا اختار المدينة المنورة مسكنا له ، كما فعل مالك ، كما أن نافعا تولى إمامة هذا المسجد النبوي سنين عديدة ، وصلى خلفه الأئمة الأجلاء، وقال الدكتور ولد أباه في كتابه المذكور: " وذكر أن بعض الصحابة ائتم به في الصلاة... " وكانت قراءته معتمدة بإجماع الأمة... " ص 12.

وذكر الذهبي في كتابه المذكور (معرفة القراء..) عن الأصمعي عن قال إنه أدرك المدينة سنة ستة عشر بعد المائة فوجد نافعا إمام الناس في القراءة لا ينازع. ورحم الله الشاطبي حين قال في منظومته "حرز الأمان"، وهويشير إلى أسماء القراء السبعة يتصدرهم نافع الذي عرف برائحة الطيب ببركة الرسول، والذي اختار المدينة مسكنا، يقول الشاطبي:

"وأما الكريم السر في الطيب نافع" فذاك الذي اختار المدينة منزلا"

ونقل عن أحمد بن حنبل قوله: "إن أحب القراءة إليه قراءة نافع ، التي هي قراءة أهل المدينة " (المصدر السابق للدكتور ولد اباه).

وقد تحدث عن الإمام نافع، وعن سيرته العطرة ومكانته العلمية، وعن شهرته في القراءة والإقراء كل من "ابن الجزري" في كتابه (النشر في القراءات العشر) والذهبي في كتابه المذكور، والزركلي في (الأعلام)، والدكتور شعبان في (القراءات) وناهيك عن شراح الحرز، وشراح الدرر للشاطي، وابن بري، وغيرهم.

خامساً: مقرأ نافع وانتشاره في البلدان عموماً وفي الأندلس والمغرب خصوصاً

كانت قراءة نافع منتشرة في البلدان شرقاً وغرباً ثم بعد ذلك اشتهر كل بلد بمقرئه :

فاشتهر أول ما اشتهر مقرأ نافع بالمدينة المنورة خاصة، كما اشتهرت مكة بمقرأ ابن كثير، واشتهر الشام بقراءة ابن عامر، والبصرة بقراءة أبي عمرو، والكوفة بقراءة حمزة وقراءة عاصم ، وقراءة الكسائي، ولكل واحد من هؤلاء راويان كما سبق...

وحسب ما حققه ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر) وكذلك عياض في (ترتيب المدارك)، إن غازي بن قيس (تـ199هـ) كان أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس، وأول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس كذلك (الموطأ)، وقبل ذلك كان الناس على قراءة حمزة.

أما إدخال القراءات ككل إلى الأندلس والمغرب بغض النظر عن هذا المقرئ أوذاك فمعظم الباحثين يرون أن "الطلمنكي أحمد بن محمد بن عبد الله

(ت 440 هـ) كان أول من أدخل القراءات إلى الأندلس وإفريقيا والمغرب، واختارت هذه البلدان في البداية قراءة حمزة ، ثم حصل التحول إلى قراءة نافع بفضل عمل ابن قيس المذكور الذي أدخل موطأ مالك إلى الأندلس والمغرب، ولما علم الناس أن مالكا كان تلميذا لنافع، وأن العلاقة بينهما كانت قوية لكونهما معا عاشا بالمدينة ، وكذلك دور المولى إدريس الأول الذي شجع المغاربة على اعتناق مذهب مالك بعد أن بايعوه ؛ كل هذه الاعتبارات ساعدت على انتشار مقراً نافع بالمغرب والأندلس، إلا أن المقرئ في (نفع الطيب) ذكر أن ابن خيرون (ت 306 هـ) هو الذي أدخل قراءة نافع إلى المغرب مع بداية القرن الرابع الهجري.

والخلاصة أن هناك تكاملاً في العمل بين ما قام به ابن غازي في إدخال الموطأ، وما قام به الطلمنكي في إدخال القراءات، وما قام به مؤخر ابن خيرون (ت 306 هـ) في إدخال مقراً نافع إلى المغرب، نظراً لتلك الرابطة بين المذهب وقراءة نافع عند المغاربة. وكيفما كان الحال بخصوص صحة هذا القول أوذاك فإن قراءة نافع صارت موروثاً مغربياً، كما صارت رواية ورش عنه موروثاً مغربياً تبعاً لذلك، حيث الفرع (الرواية) يتبع الأصل (قراءة نافع) وسبق القول، بأنه إذا كان الدكتور العروسي قال: ورش أخذ الجنسية المغربية، رغم أنه مصري الأصل ويقصد الرواية...رواية ورش لا ورش نفسه - فأنا أقول: إن نافعاً أخذ الجنسية المغربية قبل أن يأخذها ورش، وبالتالي فإن كلا من الأصل (نافع) والفرع (ورش) تجنسا بالجنسية المغربية.

هذا عن دخول مقراً نافع إلى المغرب ، وسيأتي الحديث عن دخول ورش بعد الكلام على أسس وأصول مقراً نافع بالمقارنة مع المقارء الأخرى، ثم خصائص ومميزات قراءة نافع .

سادسا: مقارنة بين بعض أصول مقراً نافع ومقارء الآخرين:

في الحروف والكلمات المختلف في قراءتها مع التحليل كأمثلة وكدراسة مقارنة لتوضيح الفروق.

إننا نعني بأصول مقراً نافع ما يتعلق بموقفه من التعوذ والبسمة، وطريقة النطق بميم الجمع في عليهم - لديهم، الخ، والنطق بالراءات من ترقيق وتفخيم، وهاء الضمير مثل أرجه، والمد والقصر المفتوح والممال، والإظهار والإدغام، وياءات الإضافة واللامات ترقيقا وتفخيما مثل: يصلى، فصلى، والنطق بالهمز أو حذفه ونقله.

وهذا ما نعنيه بأصول مقراً نافع، وتوسع في هذا في كتاب "قراءة أهل المدينة" للدكتور ولد أباه وقد حاول حصرها مشكورا، ولكن بلا مقارنة بينها وبين مقارء الآخرين لمعرفة وجه كل قارئ في مقرئه، لذا فإنني سأحاول هنا أن أورد بعض الأمثلة لوجوه الاختلاف في قراءة بعض الكلمات والحركات بالنسبة لكل المقارء انطلاقا من قراءة نافع وقراءة غيره مع التعليل للمقارنة بأمثلة فقط، وسأعتمد في هذه المقارنة على كتاب "الحجة في علل القراءات السبع" لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (288-367) هـ من تحقيق علي النجدي، وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلي.

وموضوع الكتاب بابه واسع وواسع جدا، وأهميته عظيمة في حصر وجوه كل مقراً من المقارء مع التحليل لقراءته تلك بالمقارنة مع الآخرين في قراءتهم المخالفة وتحليلاتهم بذكر الكلمة وآيتها وسورتها وكيف ترسم وتنطق شكلا وصورة كما يلي:

المثال الأول من سورة الفاتحة، والكلمة - ملك - والآية ملك يوم الدين

"قرأها عاصم والكسائي"مالك" بالألف وقرأها نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وأبوعمر و"ملك" بلا ألف بدليل "ملك الناس" أما دليل عاصم والكسائي فهو "قل اللهم مالك الملك..." والحديث عن تعليلاتهم واستشهاداتهم من القرآن والشعر حديث طويل، علما أن كلا القراءتين صحيح، وقيل: الأصح عن الرسول "ملك" بلا ألف... أما معنى الكلمتين "ملك - مالك" فالحديث طويل، توسع في الكتاب المذكور، وقارن ب "النشر".

المثال الثاني من سورة الفاتحة، والكلمة...عليهم" والآية... أنعمت عليهم..."قرأها نافع"عليهم" بكسر الهاء وسكون الميم، ما لم يصادف هذا الأخير (الميم) ألفا أصلية بعده، فحينئذ يضم مع المد مثل "سواء عليهم - عليهموا - أنذرهم..." البقرة 6 - ولم يعب نافع ضم الميم، لذا قرأ بعض رواته عليهم بالكسر والضم، وبالكسر والجزم كشيخهم نافع وهم : إسماعيل بن جعفر وابن حمّاز، والمسيبي وكلهم تلاميذه ، وقالوا بالتخيير (الحجة للفارسي) وقرأ "حمزة"عليهم" بضم الهاء وسكون الميم، وكذلك قرأ "لديهم إليهم" بالضم والسكون. وتبع "ورش" شيخه نافعا وقال: الهاء مكسورة والميم موقوفة ساكنة ما لم تصادف ألفا... وقرأ ابن كثير بالوجهين: بضم الهاء والميم تارة، وكسرها مع ضم الميم تارة، وكذلك قرأ: قلوبهموا، أبصارهموا، سمعهموا... وقالوا: كل هذه القراءات ثابتة بالتواتر وصحيحة.

المثال الثالث من سورة البقرة الآية 36 ﴿فَأَرْزَلْهُمَا الشَّيْطَانُ...﴾ قرأ نافع بتشديد اللام وكذلك ابن كثير، والكسائي، وأبوعمر، وابن عامر، وعاصم، أما حمزة فقرأ وحده فأزلهما بزيادة الألف من الإزالة والإبعاد أما فأزلهما من الزلة والعثرة والخطيئة، والكل صحيح.

المثال الرابع من سورة البقرة، الآية 58 ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ قرأ نافع

يغفر... " بضم الياء بالبناء للمجهول، وقرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو، وابن كثير والكسائي "نغفر لكم" بالنون المفتوحة للبناء للمعلوم، وقرأ ابن عامر "تغفر لكم" بالتاء للبناء للمجهول، أما خطاياكم فلم يختلفوا فيها في هذه الآية، ولكل تعليله وحجته والقراءات ثابتة.

المثال الخامس من سورة آل عمران الآية 97 ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...﴾ بنصب الحاء وكسرهما، قرأ نافع بالفتح "حج البيت...." وقرأ كذلك بالفتح أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير؛ وقرأ بكسر الحاء "حج البيت...." حمزة والكسائي وحفص عن شيخه عاصم، والقراءة صحيحة.

المثال السادس من سورة البقرة الآية 48 ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾ بالتاء والياء: قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحمزة "يقبل" بالياء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بالتاء، والقراءة بالياء على تقدير "فيه" أي في ذلك اليوم "ولا يقبل (فيه) منها شفاعاة" وحذف فيه.

المثال السابع من سورة البقرة الآية 51 ﴿وَلَوْ لَعَدْنَا مُوسَى...﴾ والآية 80 من سورة طه "وواعدناكم" والاختلاف في زيادة الألف أو حذفه (واعد) (وعد). قرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وابن كثير بالألف، وقرأ أبو عمرو وحده بغير ألف، وواعد من الإيعاد بالشر ووعد من الوعد بالخير والشر كذلك.

المثال الثامن من سورة البقرة الآية 106 ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ...﴾ خلاف في ضم النون الأولى وفتحها وفتح السين وكسرهما (نُسخ) (نَسَخ)، قرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم، وابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وفتح السين، وقرأ ابن عامر وحده بضم النون الأولى وكسر السين، ومعنى النسخ الإزالة... وكذلك الخلاف في "نسخها".

المثال التاسع من سورة البقرة الآية 168 «...ولا تتبعوا خطوات الشيطان»
قرأ نافع وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة "خطوات" بسكون الطاء، وقرأ ابن كثير
وابن عامر والكسائي وحفص عكس شيخه عاصم "خطوات" بضم الطاء
والشد على الواو، والكل ثابت وصحيح لغة.

المثال العاشر: الصراط. قرأ نافع وعاصم وابن عامر والكسائي بالصاد
لأنه أخف على اللسان، وقرأ حمزة بالصاد والزاي. وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بالسين والصاد.

المثال الحادي عشر: من سورة البقرة الآية 177 «ليس البر...» بنصب
الراء ورفعها... قرأ نافع وابن كثير والكسائي وأبو عمرو، وابن عامر بالرفع
«ليس البر...» وقرأ حمزة وعاصم بنصب الراء.. «ليس البر...» وكلاهما صحيح
في اللغة والإعراب، والقراءة ثابتة. وقراءة نافع قراءة متواترة غيرها من
القراءات السبع أو العشر كما وضحنا، كما أن قراءة نافع موافقة لرسم مصحف
عثمان، وموافقة للعربية، وتلك هي خصائص ومميزات وشروط القراءة
الصحيحة سندا ورسمًا ولغة.

أما إذا انتقلنا إلى رواية ورش عن نافع عند المغاربة مع التذكير أن رواية
ورش التي ستحدث عنها تستمد أصولها من الأصل وهو مقراً نافع، لذا فإن
معظم المسائل المتعلقة بقراءة ورش عن نافع سبقت الإشارة إليها منسوبة إلى
الأصل - نافع - ولكنها تسري في معظمها على الفرع - ورش - وبهذا قد لا
تكرر المسائل، بل نخيلها على ما سبق، إلا ما لا بد منه، ويكون خاصاً بترجمة
ورش، وانتشار قراءته عن نافع ودخوله المغرب، وكيف اعتمد المغاربة روايته
عبر الطرق المختارة المتمثلة في القراء المغاربة خاصة الذين نقلوا قراءة ورش إلى
المغرب كالداني وغيره...

ورش وروايته المتواترة عن نافع والحفظة في الكتاب القرآني عند المغاربة:

أولاً: ورش أشهر رواة نافع

سبقت الإشارة إلى أن كل إمام من الأئمة السبعة، أو العشرة، أصحاب القراءات المتواترة بما في ذلك نافع - له تلاميذه، ومن تلاميذه هؤلاء ينفرد البعض منهم بنقل قراءة شيخه إلى البلدان التي يحل بها، ثم يأتي آخرون لينقلوا عنه ذلك إلى بلدانهم وهكذا، فالذين يروون مباشرة عن الإمام يسمون رواته، والذين ينقلون عن الرواة يسمونهم بالطريق، أو الطرق الناقلة عن الراوي، عن الإمام... إلى أعلى السلسلة بالتواتر.

ونافع كغيره من القراء السبعة، أو العشرة له كذلك رواته من تلاميذه الكثيرين والذين اشتهر منهم اثنان وهما: قالون وورش، وعنهما أخذت الطرق الناقلة لمقرأ نافع، فيقال قراءة ورش عن نافع، أو رواية ورش عن نافع بطريق الداني في المغرب مثلاً، والطرق الناقلة لمقرأ نافع برواية ورش قابلة لهذا التسلسل بين النقلة من القراء من عصر لعصر بواسطة الدارسين والباحثين في علم القراءات، أمثال الخراز والرازي والداني وابن بري والشاطبي وشراح منظومتيهما.

وإذا كان ورش من أشهر رواة مقرأ نافع، مع قالون، فمن هو ورش؟ ومن هو قالون؟ ولنبدأ بقالون:

قالون هو: عيسى بن ميناء بن وردان بن عبد الصمد، واشتهر بلقبه المعروف... قالون، وقيل إن نافعاً هو الذي لقبه به لأن قالون كان ربيباً لنافع، ولازم قالون شيخه نافعاً أزيد من نصف قرن، وكان ماهراً في القراءة جيد الصوت جميلاً فلقبه نافع بقالون، ومعناه بالرومية الجيد، وذكروا عنه أنه كان أصم، ولكنه كان يتنبه إلى لحن القارئ بالنظر إلى شفتيه كما يقول ابن

الجزري في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء" الجزء الثاني - وذكروا أن قالون لعب دورا كبيرا في نشر قراءة شيخه نافع في المدينة والحجاز والعراق، وأن له الكثير من تلاميذه الذين رووا عنه طريقته في القراءة ونقلوها إلى الأمصار، وهو ما يسمى بالطريق أو الطرق... طرق قالون من الذين رووا عنه ونقلوا قراءته إلى بلدانهم... وقد وصلت قراءة قالون إلى أبي عمرو الداني عن القاضي إسماعيل بواسطة الفريابي - (ابن الجزري في الغاية). وتوفي قالون بالمدينة المنورة سنة 220 هـ - زمن المأمون - بالرغم من كثرة تلاميذ الإمام نافع الذين أخذوا عنه القراءة، وبالرغم من شهرة الرواة، الذين رووا عنه مقرأه، وعلى رأسهم "قالون" كما سبق - فإن أشهر راو لمقرأ الإمام نافع على الإطلاق، يبقى هو ورش دائما، إلى درجة أنه بمجرد ما يذكر نافع، أو مقرأ نافع لدى عموم الطلبة والقراء، إلا ويتبادر إلى الأذهان "ورش" حتى كاد يقترب اسم نافع باسم ورش، بل إن معظم القراء عندنا في المغرب من حفظة القرآن ربما يسمعون عن ورش ولا يسمعون عن نافع، رغم أن ورشا فرع راو عن الأصل نافع، وهذا يدل على تغلغل رواية ورش عن نافع لدى المغاربة خاصة.

لكن... من هو ورش هذا؟ وكيف روى عن نافع؟ وكيف اشتهر أمره؟ وكيف انتشرت روايته عن نافع في البلدان؟ وكيف حطت رحالها في الغرب الإسلامي عموما، والمغرب خصوصا؟ ومن هم رواة الذين نقلوا طريقته الورشية إلى المغرب؟ وما هو سند روايته المتواترة المرفوعة إلى الرسول ﷺ فجبريل قرب العزة، حتى اعتمدها المغاربة في تحفيظ القرآن لأبنائهم في صغرهم في الكتاب القرآني إلى سن الشباب حين يحتمون كتاب الله حفظا ورسمًا وتلاوة؟ وكيف حافظ المغاربة على هذا الموروث...؟

ثانيا: من هو ورش الذي اعتمد المغاربة روايته المتواترة في الكتاب القرآني؟

هو: عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري (110- 197هـ) وكنيته أبوسعيد، ولقبه الذي عرف به واشتهر "ورش" لقب به لشدة بياضه. انتقل من مصر إلى المدينة المنورة، ليأخذ ويسمع من نافع الذي كان علما من أعلام القراء والإقراء بالمدينة يومه. وذكروا أن ورشا سمع من نافع عدة ختمات للقرآن وأقره نافع على ما سمع منه، وسرعان ما ذاع صيته، بسبب حسن قراءته، حتى اتخذ لنفسه مقراً خاصاً به، كما قال ابن الجزري في (الغاية) ثم أضاف قائلاً: "كان ورش جيد القراءة، حسن الصوت انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه لا ينازعه فيها منازع" (غاية النهاية وقارن بالأعلام للزركلي) ويقال بأن ورشا انفرد عن شيخه نافع برواية ترقيق الرءات، وتغليظ اللامات، إلا أن هذا فيه نظر، كما يقول الدارسون. (كتاب قراءة أهل المدينة للدكتور ولد اباه طبعة الكرامة 2001).

ثالثاً: طرق انتشار رواية ورش في البلدان وخاصة المغرب بواسطة رواته ممن نقلوا قراءته

سبقت الإشارة إلى أن انتشار مقراً الإمام نافع بالمغرب، جاء بفضل مجهود ابن خيرون وابن غازي، والطللمنكي، بعد دور الراوي الأشهر لنافع وهو "ورش" إلا أن انتشار مقراً نافع برواية ورش، يتوقف باستمرار على ما يواصل نشره ونقله جيلاً عن جيل، وعصرًا عن عصر، كعمل مسلسل خلفاً عن سلف، وتلك هي مهمة النقلة.. نقلة رواية ورش عن نافع، وهذا ما يسمى بالطرق.. طرق انتشار رواية ورش عن نافع. ذلك، أنه إذا كانت القراءة تنسب للإمام صاحب المقراً (الأصل).. مقراً نافع مثلاً، والرواية تنسب للآخذ عن الراوي والآخذ عن ذلك الآخذ وهكذا بحيث تبقى السلسلة مستمرة....

وطرق انتشار رواية ورش في المغرب، كانت وما تزال قائمة بواسطة أصحابها تلاميذ رواة رواية ورش عن نافع، وهي طرق متعددة بتعدد أصحابها، وقد تعقبها العديد من الكتاب والدارسين والمؤلفين من المغاربة خاصة، نظما ونثرا، وخاصة بعد أن بدأ نجم الأندلس في الأفول (الدكتور ولد أباه في المرجع المذكور).

وقد اصطلح أصحاب هذا العلم؛ علم القراءات، على أن ينسبوا ويعزوا كل طريق من الطرق الناقلة لرواية ورش إلى صاحبه، فيقال مثلا: طريق الأزرق، طريق الزهري طريق الأصبهاني، طريق الداني، الخ...، حيث يسند كل طريق لصاحبه من النقلة الرواة الذين أخذوا قراءة نافع برواية ورش عن هذا الأخير، ثم أوصلوها هم بدورهم إلى غيرهم من الذين هم بدورهم نقلوها إلى غيرهم، وهكذا جيلا عن جيل، وعصرا عن عصر، خلفا عن سلف إلى يومنا هذا.

ومعنى هذا أن الطرق التي سنذكرها منسوبة ومسندة إلى أصحابها في نقل وإيصال رواية ورش عن نافع للقراء المتقدمين والمتأخرين والحاليين، ليسوا جميعا قد أخذوا القراءة الورشية مباشرة عن ورش، أو سمعوا منه رأسا، فهذا لا يعقل، نظرا للفارق الزمني الطويل بين ورش وتلاميذه، وبين تلاميذه والآخذين عنهم من عهد نافع وورش إلى اليوم، لذا فإن عملية الأخذ هذه، أو التلقي والإيصال تخضع للوساطة تلميذا عن شيخ، إلى المنتهى تصاعديا عبر الوساطة، وتخضع للنقل والأخذ سماعا ومباشرة من طبقة إلى طبقة...

وإذا كان ابن الجزري يقول: "إن الذين أخذوا عن ورش خلق كثير، وذكر منهم عشرة، من الذين أخذوا عنه باعتبارهم أصحابه وأنهم أخذوها عنه عرضا وسماعا"، فإن شمس الدين الذهبي يصرح بأن الأزرق المصري (ت 240 هـ) هو وحده الذي أخذ عن ورش مباشرة، باعتبارهما مصريين،

وقيل: إن الأزرق هذا خلف ورشا في مصر في القراءة...

ومما يؤكد أيضا أن رواية ورش عن نافع لم تؤخذ كلها مباشرة عنه وإنما أخذت بواسطة، ما ذكره الدكتور ولد اباه في كتابه المذكور (قراءة أهل المدينة) نقلا من عدة مصادر من كون طريقة "الاصبهازي رغم شهرتها المنسوبة إلى ورش مباشرة فإن الباحثين يؤكدون أن الإصبهازي" لم يأخذ مباشرة عن ورش، وإنما قرأ على أصحابه..." (ص 20 مطبعة الكرامة سنة 2001).

وإذا كان هذا يتعلق بأصحاب الطرق المعاصرين تقريبا لورش ، ومع ذلك لم يأخذوا كلهم عنه مباشرة، بل بواسطة، فأحرى بالنسبة لمن جاءوا بعدهم، لذا نجد أن الداني نفسه مثلا قال عنه ابن الجزري في (الغاية) والذهبي في (معرفة القراء) إنه أخذ عن إسماعيل بن جعفر، وقالون - وهما من أشهر رواة نافع مع ورش والمسيبي - بواسطة ابن مجاهد، وابن شنبوذ ... (ولد اباه)

والشيء الذي نريد أن نخلص إليه في هذا التوضيح الخاص بطرق نقل قراءة ورش عن نافع هو أن هناك طرقا نقلت مباشرة عن شيوخها سمعا وعرضا طبقة عن طبقة، وهناك طرقا تم نقلها بواسطة، أو عن طريق ما وجد مدونا مما يسمى بالإجازات كتابة أو مراسلة على الطريقة التقليدية العتيقة في الأخذ والأداء بين الشيوخ وتلاميذهم جيلا عن جيل، وبأسانيد صحيحة وموثوقة على كل حال.

وقد تحدث عن هذه الطرق الناقلة لمقرأ نافع برواية ورش طبقة عن طبقة الكثير من المؤلفين الدارسين لعلم القراءات، وبينوا طرق النقل المباشرة بين الشيوخ وطلبتهم عرضا وسماعا، بواسطة عن طريق ما دون في الكتب. وقد أطالوا الكلام في هذه الطرق، وأثبتوا أسانيدها، وتعقبوا أصحابها وصححوها عثراتهم إذا وجدت، وكتبوا في ذلك الكثير نثرا ونظما وشرحا... ومن هؤلاء

الذين دونوا لنا النماذج من طرق النقل طبقة عن طبقة لقراءة نافع برواية ورش ابن الجزري في كتابه (الغاية)، والذهبي، في كتابه (معرفة القراء الكبار)، وابن مجاهد في كتابه (القراء السبعة)، والداي، وما أدراك ما الدايني في كتابه (الجامع) والإمام السخاوي في كتابه "جمال القراء"، والأندراي في كتابه (قراءة القراء المعروفين برواية ورش المشهورين) وناهيك عن أصحاب المنظومات المشهورة في القراءات وأصحابها أمثال : منظومة الشاطبي (حزز الأمان) ومنظومة ابن بري (الدرر اللوامع...) ومنظومة ميمون الفخار الفاسي، ومنظومة النجوم السواطع.... "وناهيك أيضا عن شراح هذه المنظومات... أنظر كتاب (قراءة أهل المدينة) المذكور سلفا.

رابعا : دور المغاربة في علم القراءات ونشر مقرأ نافع برواية ورش

بالرغم من كون قراءة نافع برواية ورش، لم تدخل رسميا إلى المغرب، ولم تستقر نهائيا في ربوعه إلا في أواخر القرن الثالث الهجري، وبداية القرن الرابع منه، زمن الطلمنكي (ت440هـ) وابن خيرون (ت360هـ) وابن غازي كما أسلفنا، وأن المغاربة كانوا يقرؤون بقراءة حمزة، أو بعدة قراءات— فإنه مع ذلك سرعان ما أخذ علماء المغرب بأصول علم القراءات وبرعوا فيها، حتى تفوقوا على غيرهم كما ذكر ابن خلدون وعياض وغيرهما وكما حقق ذلك "الكنوني" وقد عد في كتابه أكثر من أربعين من القراء المغاربة المشهورين، اعتمادا على فهرسة ابن خير (502-575هـ) وقد ازدهرت حركة التأليف في علم القراءات في المغرب والأندلس وإفريقيا، ابتداء من عهد الدايني (371-444هـ) وما بعده، ووصلت أوجها زمن الموحدين والمرينيين. ومن الذين برعوا في علم القراءات من المؤلفين والقراء المغاربة بخصوص قراءة ورش عن نافع:

1- أحمد بن عمار المهدوي (ت432هـ) نسبة إلى مدينة المهدية بالمغرب.

2- مكّي بن أبي طالب (355-437هـ) ولد بالقروان ورحل إلى المشرق وتعلم القراءات على الكثير من القراء حتى مهر فيها وألف أزيد من عشرة كتب معظمها مخطوط.

3- محمد بن شريح (388-476هـ) الملقب بالأستاذ كما يذكر عنه ابن الجزري والمقري وذكر الكنوني في كتابه "المدرسة القرآنية في المغرب" أن لابن شريح عدة كتب ما تزال مخطوطة منها "الكافي في القراءات السبع عن القراء السبع".

4- شريح بن محمد؛ وهو غير الأول، وتاريخ حياته (451-539 هـ) وعد الدارسون كتبه التي ما تزال مخطوطة نقلا عن "فهرسة" ابن خير أنها ثمانية كتب منها: كتاب: "النهاية في تجويد تلاوة القرآن..." وكتاب "الاختلاف بين الحضرمي ونافع"، الخ .

5- الداني (371-444 هـ) وهو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي المعروف بابن الصيرفي ويكنى بأبي عمرو، والداني نسبة إلى المدينة التي استقر فيها آخر حياته إلى أن توفي فيها وهي مدينة دانية بالأندلس.

أخذ الداني القراءة عن عدة شيوخ في المشرق والمغرب. كما أخذ عنه العديد من طلبته، وقد نوه به وبعلمه ومكانته ومؤلفاته كل من ابن خلدون وابن الجزري، وابن بشكوال وغيرهم، وقد عد مؤلفاته الكنوني في كتابه المذكور، وأوصلها إلى واحد وأربعين كتابا في علم القراءات، كما قال عنه ابن خلدون في المقدمة : "ولما ظهر أبو عمرو الداني، بلغ الغاية في علم القراءات حتى انتهت إليه رئاستها كما تعددت تأليفه، وعول الناس عليها، وعدلوا عن غيرها...." انتهى كلام ابن خلدون.

ومن أشهر كتبه : "المقنع" - "الحكم" - "التيسير في مذاهب القراء السبعة" ...
ويعتبر الداني عند المتأخرين من أشهر الطرق التي نقلت قراءة نافع إلى الناس
برواية ورش، حيث أورد المحققون أن أشهر هذه الطرق طريق مكّي المذكور،
وطريق ابن شريح المشار إليه، وطريق الداني عمدة القراء ورئيسهم وقد اختار
ابن بري في منظومته الشهيرة (الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع) طريق الداني
لقراءة ورش عن نافع عند المغاربة، فقال في أرجوزته:

سلكت في ذلك طريق الداني إذ كان ذا حفظ وذا إتقان

ومن المعلوم والمشهور أن المجهود الذي بذله ويبدله شراح المنظومات
لحد الآن، يعتبر من أعظم الأعمال التي تخدم مقرأ نافع برواية ورش، كما أن
عدد الشراح لهذه المنظومات كثير، وخاصة شراح منظومة ابن بري، ومنظومة
الشاطبي، وقد حاول حصر شراح هاتين المنظومتين الدكتور ولد اباه في كتابه
السابق (قراءة أهل المدينة) فأوصل ذلك إلى 23 شرحا منسوباً إلى صاحبه.

وقبل أن ننهي هذه المسألة التي نتحدث فيها بخصوص دور المغاربة في نشر
رواية ورش عن نافع كتابة وتأليفا وتنظييراً وممارسة نظماً ونثراً، نذكر مرة
أخرى بسند هذه الرواية وصحة نقلها وتواترها انطلاقاً من أعلاها إلى آخرها
تنازلاً، ومن أدناها إلى أعلاها تصاعداً...

فسند قراءة نافع برواية ورش سند متواتر، رواه جماعة عن جماعة يستحيل
تواطؤها على الكذب، انطلاقاً من طريق مكّي، أو طريق الداني عن الأزرق
إلى الأخذ عن ورش، الذي أخذ القراءة عن شيخه نافع، والذي بدوره أخذ
القراءة عن التابعين المذكورين، وأخذوها هم بدورهم عن الصحابة المشار
إليهم، وهم بدورهم ﷺ أخذوا قراءة القرآن عن الرسول الأعظم ﷺ مباشرة

وبكل حروفه وقراءاته، والرسول ﷺ أخذها عن جبريل، وجبريل أخذها عن رب العزة.

خامسا: كيف حافظ المغاربة على رواية ورش المتواترة

ومن الوسائل التي استعملها المغاربة للحفاظ على هذه الرواية المتواترة لقراءة ورش عن نافع ما يلي:

1- المسجد: وذلك باعتبار أن المسجد كان ولا يزال هو المؤسسة الدينية والاجتماعية والعلمية والثقافية الأولى عند المسلمين، كما هو معلوم، ولا أحد ينكر أو يجهل أو يتجاهل دور المسجد في هذه المجالات بالإضافة إلى دوره الأساسي في مجال العبادات المفروضة لإقامة الصلوات الخمس وفريضة الجمعة وعلاقة المسجد بالحفاظ على قراءة ورش عند المغاربة خاصة، تتجلى في كون الكتاب القرآني لتعليم الصغار وحتى المدرسة القرآنية للشباب مرتبطا ارتباطا عضويا بالمسجد عبر التاريخ، حيث أول ما ظهرت ظاهرة هذا الكتاب كان بالمسجد، أو بجانب المسجد وذلك على أساس القراءة القرآنية جزء لا يتجزأ من العبادة، ما دامت تلاوته عبادة كما هو معلوم، لذا أمر عمر بن الخطاب بإنشاء الكتاب القرآني لتعليم الصبيان بجانب المسجد كما ذكرنا آنفا، وذلك لحكمة بليغة تتعلق بتنشئة الصغار على إقامة شعائر الدين بجانب تعلم القرآن...

وقد حافظ المغاربة على هذه السنة حين جرت العادة عندهم على إنشاء الكتاب القرآني داخل بناية المسجد في الغالب، ولا زال هذا معمولا به في معظم مساجدنا، ولا سيما في البوادي، وإن كانت الظاهرة قد بدأت تتقلص نسبيا.

2- المسيد: وهو مأخوذ من كلمة: المسجد: بسبب تقارب مخرج الجيم والسين فحذف الجيم في النطق تدريجيا: وهذا يدل على أن الكتاب القرآني كان

دائما داخل بناية المسجد أو في المسجد نفسه عند الضرورة، أو بجانب المسجد ...

3- الزوايا والرباطات والثغور، حيث لا تخلو هذه المؤسسات الدينية والجهادية والسلوكية من تعليم القرآن وتعليمه للصغار والكبار كما هو معروف عند المغاربة.

4- الكتاتيب القرآنية خارج المساجد والمؤسسات الدينية، وقد بدأت تنتشر هنا وهناك لأسباب مهنية ولضرورة ماسة بسبب النمو الديمغرافي، وضيق المساجد عن استيعاب كل الراغبين في تعلم القرآن....

5- الروض والتعليم الأولي المنظم، وهذه ظاهرة تنظيمية حديثة تخدم القرآن بالدرجة الأولى، مع التركيز على مبادئ الخلق والتفهم والتربية العصرية الحديثة، والأصل فيها العناية بالقرآن وتربية الناشئة الصغار عليه....

6- المدارس القرآنية العتيقة والمعاهد الكبرى لمدارس القرآن على أعلى مستوى، تمثيا مع عمر الشباب ومستواهم العام، وهي مؤسسات خاصة، وعامة تحتضنها الجامعات كالقرويين مثلا وابن يوسف ومسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، وغيرها من المساجد الكبيرة.

7- المدارس العتيقة، التي يشد الطلبة رحالهم إليها لاكتساب مهارات في الرسم والحفظ والقراءة والتجويد، وهو ما يسمى بالتخنيشة، نسبة الى الكيس (الخنشة) التي يجمع فيها المخنش مآربه حين السفر، بدل الحقيبة وظاهرة التخنيش ظاهرة معروفة عند المغاربة خاصة، وتعتبر بمثابة التخرج بالنسبة لطالب القرآن، حيث يعود المخنش بزاد مهم في مجال حفظ القرآن، وعدد الختمات، والمهارة في الرسم، وحفظ الأنصاف وكسب التجارب، والتعود على الصبر وتحمل المشاق في سبيل كتاب الله...

8- **قراءة الحزب:** تعتبر قراءة الحزب مرتين : حزب المغرب بعد الصلاة، وحزب الصباح بعد الصلاة سنة حميدة انفرد بها المغاربة خاصة، وحتى بعض المناطق بالجزائر. تعتبر هذه السنة الفريدة من أعظم الوسائل للحفاظ على رواية ورش عن نافع في المغرب، وذلك بقراءة حزب كامل جماعة بعد صلاة المغرب، وحزب كامل جماعة بعد صلاة الصبح، بقيادة إمام المسجد.

9- **اشتراط الحفظ الكامل للقرآن برواية ورش بالنسبة للإمام** الراتب للصلوات الخمس، وهذا أمر بديهي ومعروف عند المغاربة، بحيث يكون الإمام الراتب (لمشارط) حافظا للقرآن حفظا تاما قراءة وترتيلا ورسما.

أما خطيب الجمعة، إذا لم يكن هو الراتب - فيشترط فيه الحفظ الكامل كذلك، ولكن يتساهل معه، فيقبل إذا كان حافظا لنصفه أو ثلثه... وكذلك بالنسبة للواعظ.

10- **تعليمات المجالس العلمية في هذا المجال الخاص بالحفاظ على القرآن برواية ورش:**

من المهام الموكولة للمجالس العلمية ، تنبيه الفقهاء والأئمة والخطباء والوعاظ إلى ضرورة الحفاظ والتمسك بما جرى به العمل عندنا بخصوص ثوابتنا، ولا سيما قراءة الحزب، والذكر والقراءة الجماعية للقرآن بنظام وانتظام، مما ساعد على الحفاظ على القرآن عند المغاربة.

11- **مباريات في حفظ وترتيل وتجويد القرآن.**

يعتبر تنظيم مثل هذه المباريات في حفظ وترتيل وتجويد القرآن، من أهم

الوسائل المشجعة على الحفاظ على رواية ورش عن نافع للمحافظة على كتاب الله، وخاصة المباراة السنوية الخاصة بجائزة محمد السادس في حفظ القرآن.

12- إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم وكذلك قناة محمد السادس الفضائية للقرآن الكريم، وهما معلمتان عظيمتان جليلتان في خدمة كتاب الله وتعتبران من أعظم الوسائل لتحبيب القرآن للنفوس داخل الوطن وخارجه وداخل المساجد.

13- الندوة العلمية حول الكتاب القرآني المقامة بالوزارة.

وهي دليل على العناية بكتاب الله، نظرا لما تشتمل عليه من المحاور العشرة التي تصب كلها حول موضوع: الكتاب القرآني بالمغرب، والرواية المتواترة المحفوظة فيه".

تلكم كانت أهم الوسائل المتبعة عندنا نحن المغاربة للحفاظ على كتاب الله، فمزيذا من العناية بالقرآن ومزيذا من التوفيق والسداد إن شاء الله، وحاشا معاذ الله أن يخيب رجاء شعب ودعواته وهو يحافظ على كتابه العظيم.

خصائص رواية ورش وتطبيقاتها بالوقف الهبطي: القيم المستفاة

محمد علي عطفاي

أستاذ بالمدرسة القرآنية التابعة لمسجد

الحسن الثاني بالدار البيضاء

اخترت الحديث في هذا الموضوع لأسباب منها:

- أن مسألة خصائص أي مقراً هي مسألة تفصيلية يطيقها من له اتصال مباشر بمختلف القراءات وبيئاتها، وإطلاع واسع على أساليب التعبير العربي المختلفة، يحتاج إلى نقل المعرفة بها إلى كل من المدرسين في الكتاب القرآني، ومن خلاهم إلى الناشئة المتعلمة في بلد كالمغرب تمتاز أذن المتعلمين فيه بالقدرة على التمييز بين المعتاد المؤلف المحفظ، وبين صنوف الأداء لقراءات أخرى من جهة ومن جهة أخرى تكيف المغربي في كل مواقعه مع ألوان الأداء دون أن أفصل هنا بين أنواع الأداء الفنية، بل إن ميزة المغربي هي التفتح "المعقلن" دون المساس بالأصالة والهوية، وهي خاصية يبدو أن علينا في شعوبنا المختلفة تشجيعها وتحسينها أكثر فأكثر لطبيعة عالم اليوم المتغيرة "المعولة" بسرعة شديدة.

- واخترته أيضاً لارتباطه بجوهر البلاغ القرآني وهو الأداء لآيات القرآن، ومن طريقها لمضامينه ومعانيه.

وأهم تحليلات الأداء الصوتي: فواصل القرآن، منازل القرآن، وقوف القرآن، أو بتعبير عصري سكتات القرآن التعبيرية.

ولها في الكتاب القرآني تطبيقات تحتاج إلى نظر ودراسة أو توجيه وتصحيح

قد يعرج هذا العرض البسيط على أنماط منها.

- واخترته لأشارك إخواني في وجهة نظر علمية أو لنقل ذوقية تتعامل مع وقوف القرآن التي قيدها الإمام الهبطي من عدة منطلقات يقتضيها السياق وتنوع ما يتحكم في المرء، وليس من منطلق واحد هو الوحيد الذي كان الزاوية التي ينظر من خلالها إليه من أيد الوقوف أو من انتقدها على السواء. وستبين معالم هذا التصور الذي أطرحه في حينه.

- وأخيرا اخترت الحديث في هذا المحور لكون الكتاب أول نافذة يطل منها طالب وحافظ القرآن على مختلف صور الأداء، على عهدنا به. وأقول على عهدنا به في إشارة واضحة إلى سريان التغير إليه وتزحزح بعض المسلمات عن موقع الصدارة فيه ومن بينها القراءة والحفظ وفق تقييد الإمام الهبطي لأسباب أذكرها موجزة بعد قليل.

وبعد هذا التقديم أوجز القول في محور العرض في العناصر التالية:

أولاً: خصائص المقرأ المختار في المغرب قراءة أهل الحجاز¹

لنشير في البداية إلى حقيقة ينبغي حضورها في ذهن معلمي القراء خاصة، ومعلمي العربية عامة، وهذه الحقيقة هي كون الإمام المقروء بقراءته من الحجاز. وذلك لما يمكن استنتاجه من أثر في القراءة والسلوك وطرق التلقين التي تعيننا في هذه الندوة.

ويطلق الحجاز على الجهة الغربية المطلة على البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية وأهم مدنها: - مكة المكرمة التي تضم بيت الله الحرام.
- المدينة المنورة وهي أرض نخيل وزرع ومياه.

1 - انظر معجم البلدان لياقوت وبقية الحجاز في معجم الإمامة لعبد الله بن محمد بن خميس.

وتقيم بالحرمين تجمعات بشرية مدنية الطبع بعيدة عن البداوة، شذبت أخلاقها وعادتها طبيعة الحاضرة والتنظيم المدني وكثرة السفر إلى أقاصي اليمن والشام وفارس ومصر والحبشة للتجارة وغيرها.

ولاشك أن هذه العوامل مجتمعة تطبع الحياة: أشكالها وصورها بطابع:

- **الاستقرار:** لكون المدن محط الرحال ومقصد القوافل وقبلة الحجاج.

- **التنوع:** لطول الاحتكاك مع الغير وعدم الانكفاء والانزواء لا في الجبال ولا في الواحات ولا في أقاصي الصحراء المترامية.

- **الأصالة:** ونعني بها تتريل الأشياء منازلها، لأن قوانين التجمع وأعراف الأنظمة الجماعية تفرض على المرء حدودا لا يتجاوزها.

فهناك طبقة العلية من السادة والتجار والأغنياء والشعراء والفرسان.

وهناك طبقة السوق من الأتباع والمستجيرين والعييد.

هذا التمايز ينعكس على كل صور الحياة ومنها اللغة ولهجة الخطاب وطريقة التكلم التي تتلون حسب الظروف ودرجة ومكانة المخاطب.

فكما أن لكل فئة بشرية أو لهيأة معينة لغة مستخدمة تدور على السنة أصحابها، فإن للحضري والتاجر الأنيق نمطا معيناً في الأداء تفرضه وظيفته أو حرفته ويقتضيه مظهره ووضعه.

ومن هنا امتازت لغة الحجاز وبالتالي قراءتهم بالسلمات اللهجية التالية:

- **التؤدة:** ولا نقصد بها البطء بقدر ما نعني بها في هذا المجال التأني في النطق بحروف الكلمات ونظامها فيما بينها فلا يطغى فيها طرف على آخر.

وتمثل قراءة المكي² "خز القراءة"³ القمة في هذا الملحظ.

2- عبد الله بن كثير الداري قارئ مكة مولى عمرو بن علقمة الكناني ت 120هـ. ترجمته في معرفة القراء: 86/1. وغاية النهاية: 443/1. غاية الاختصار: 22/1 والموضح: 107/1 وطبقات ابن سعد: 484/5 وابن خلكان: 41/3.

3- سميت بذلك لسهولة قولها كما في جمال القراء: 216/2.

ثم رواية قالون⁴ ثم بقية الروايات الأخرى وقراءة أبي جعفر⁵.

- ويقصد **بالعجلة** في هذا الميدان مجانسة اللغة لظروف الحياة المستعجلة في البوادي والصحراء حيث تضغط الحياة وهمومها بما في ذلك الغزو والصيد والترحال على كل أشكال العيش.

وتمثل هذا الاتجاه قراءة الكوفة والبصرة على الخصوص.

- **رعاية الأصل:** ويتجلى في اجتناب صور الإدغام والإمالات وتحقيق الهمز إلا ما اقتضاه الاستعمال العام ومنطق التجاور. وما اقتضى الذوق الرفيع الاستغناء عنه كتلين بعض أنواع الهمز.

كما يتجلى هذا في ضم ميم الجمع وصلتها بالواو وجها واحدا في قراءة أبي جعفر أو عبد الله ابن كثير المكي، أو بصورة اختيارية في مقراً الإمام نافع⁶ فيما سوى رواية ورش⁷، أو ضمها في حالات معينة كما هي روايته عنه.

خير حرمي بميم فاسترى الحافظ الضم وبالضد قرا لنجل...⁸

وهذه الظاهرة شبه قاصرة على قراءة الحجاز إذ لم تشاركها في هذا النمط في المتواتر أية قراءة رغم وجود أشكال لذلك في الشاذ كما في رواية قتيبة⁹ ونصير¹⁰ عن الإمام الكسائي¹¹ الكوفي.

4- عيسى بن مينا راوي نافع الذي لقبه بذلك لجودة قراءته ب220هـ انظر **معرفة القراء**: 12/1 و**غاية النهاية**: 615/01 و**معجم الأدباء**: 103/6.

5- يزيد بن الققاع المدني التابعي شيخ نافع وأبي عمرو أحد القراء العشرة ت حوالي 130هـ. **معرفة القراء**: 72/1 و**غاية النهاية**: 382/2.

6- نافع بن عبد الرحمن أبو نعيم قارئ المدينة وأول القراء ورودا في معظم المؤلفات. ت 169هـ. انظر **السبعة**: لابن مجاهد 53 و**سير النبلاء**: 336/7. و**معرفة القراء**: 107/1 و**غاية النهاية**: 320/2.

7- عثمان بن سعيد المصري ت197هـ. لقبه نافع بذلك. انظر **معرفة القراء**: 152/1 و**غاية النهاية**: 502/1 و**الشذرات**: 9/ 1034 وم **الأدباء**: 33/5 و**وح المحاضرة**: 485/1.

8- البيت 21 من تفصيل عقد الدرر لابن غازي المكلسي. وحرمي هم رواية نافع إلا ورشا واسترى بمعنى اختار والحافظ هو الداني.

9- قتيبة بن مهران الزادني ت 200هـ شدة قراءته عن الكسائي.

10- نصير بن يوسف الرازي البغدادي ت 240 هـ.

11- علي بن حمزة القارئ النحوي أحد القراء السبعة توفي بأرنبوية بالري عام189هـ. **معرفة القراء**: 100/1، **غاية النهاية**: 535/1، **تاريخ البخاري الكبير**: 268/6 و**تاريخ بغداد**: 403/11.

- الاعتدال: فقراءة أهل الحجاز تميل إلى جانب الاعتدال وبخاصة منها قراءة أهل المدينة ويتجلى ذلك في:

كثرة القراءة بالفتح لما يمال. فلا إمالة في قراءة أبي جعفر والمكي ورواية الإصبهاني¹² عن ورش حسب التعريف¹³ وله كلمة واحدة من النشر، وكلمات يسيرة لقالون.

ورائد الإمالة الصغرى في قراءة أهل الحجاز ورش وهو فيها مخير في أغلب أنواع المال.

- المحافظة: على كل أنماط الأداء وصور التعبير وعادات النطق العربي. ففي قراءة أهل الحجاز ظواهر لا تمثل لها في قراءة غيرهم. ومن ذلك:

ميم الجمع المتقدم ذكرها.

- صلة هاء الكناية في مقراً المكي وفي صور متعددة من رواية المسيبي¹⁴ وإسماعيل¹⁵ وليس في قراءة غيرهم إلا أحرفا يسيرة .

- ظهور نماذج إظهار لحروف لم تقرأ بالإظهار إلا في قراءتهم للدلالة على أن القراءة سنة وأن العرب تكلمت بشتى النماذج التي أحيتها القراءات.

أما قارئ الحجاز الذي يعيننا الآن شأنه فهو الإمام نافع.

ولن آخذ من سيرته ولا من خصائص قراءته إلا ما يرتبط بالكتاب موضوع

12- محمد بن عبد الرحيم الاسدي بالولاء مقرئ بغداد. وبطريقه عن ورش قرأ العراقيون لنافع إلى 700هـ ثم تحولوا إلى طريق الأزرق. ت 296هـ ببغداد. م القراء: 233/1. غ النهاية : 169/2.

13- كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع للداني هو عمدة المغاربة وعليه العشرات من المصنفات نظماً وشرحاً و.... نشر مرتين بعناية الدكتور التهامي الراجي والشيخ محمد السحابي وفي كل منهما طريف ولطيف.

14- اسحق بن محمد ابن عبد الرحمن المدني تلميذ نافع وأعرف الناس بقراءة أهل المدينة و أقرئه لسنة وأفهمه بالعربية ت سنة 206هـ. م القراء: 147/1 غ النهاية: 157/1.

15- اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصاري مولاهم تلميذ نافع وغيره من قراء المدينة ت. ببغداد سنة 180هـ. م القراء: 120/1، غ النهاية: 163/1، سير النبلاء : 203/8 تاريخ بغداد: 218/6.

ندوتنا في أفق إحياء قيمه وآدابه والاستفادة من كل ذلك.

ذكرت له التراجم صفات رفيعة منها:

- أنه كان من أظهر الناس خلقا، ومن أحسنهم قراءة، وكان زاهدا جوادا؛
 - وكان رضي الله عنه دمث الأخلاق وفيه دعاية. فهو الذي سمى تلميذه عثمان بن سعيد المصري ورشا-أو ورشان لصغر حجمه وبياضه وخفته.
 - وكان محتسبا لا يأخذ على إقرائه وإمامته أجرا،
 - عادلا في الإقراء لا يفضل أحدا على غيره لأي سبب.
- فقد جاءه ورش من مصر يريد الإسراع بأخذ قراءته، وكان نافع يقدم السابق إلى المجلس لا يؤخره عن غيره مهما كانت درجته أو مكانته أو عذره. فقال لورش: إن أردت القراءة عني: أي أولا، فبت في المسجد. يعني: حتى لا يسبقه إلى المجلس غيره فيستحق التقدمة.
- وكان عالما بوجوه القراءات، متبعا لأكابر الأئمة الماضين ببلده .
 - متسامحا في الإقراء يقبل من الآخذين عنه ما يوافق قراءته على أحد السبعين إلا أن يطالبه بإقرائه باختياره¹⁶.

المستفاد من سيرته

والآن، لوضع كل منا هذه الآداب الرفيعة، ولننظر إلى طرق تعليمنا ومنهجنا مع أبنائنا، وإلى ما استوعبناه من هذه السيرة العطرة من التسامح والأريحية وعدم التعصب وقبول المخالف والآخر وكل ما يتوارد من القيم. فإن مثلنا ذلك فقد اقتدينا فعلا بالأسلاف، وإن خالفنا فقلل اعتدينا وما أنصفنا وادعينا إليهم وهم من خطنا براء.

16 - جمال القراء : 216/2. وفي الاختيار ومعناه ينظر أطروحة الدكتور محمد بالوالي منشورات وزارة الأوقاف.

تعدد روايات نافع و انتشارها بالمغرب:

أريد بالإشارة إلى تعدد رواياته أن أثبكم هما، أو أتحمّل معكم يا قراء القراءان ومعلميه المغاربة، خاصة أمانة تأدية ما هو آخذ في الإندراس في عقودنا الأخيرة. وأعني ما تواتر وصح من روايات نافع إلى أن بلغنا فأخذنا في إضاعته.

لكني أجدني مضطراً لأوجز القول أولاً في عوامل انتشار قراءته ومنها:¹⁷

- قراءته على عدد من الشيوخ بلغ حوالي السبعين شيخاً، واختيار قراءته مما اجتمع عليه اثنان فأكثر.

- قعوده للإقراء مدة طويلة مكنته من تطوير منهجه وفرض خطته في المدينة أيام شيوخه وبخاصة أبي جعفر وشيبة.

- توارد الطلبة عليه من شتى الأصعدة والآفاق يسبقه إليهم صيته وسمعته وتسامحه وعدالته في الإقراء.

- اتباعه منهج التسامح في الإقراء، بالإذن لأي طالب قادم من الآفاق أن يقرأ بما تعلمه في بلاده ولا يرده عنه ما دام الإمام نافع قد تلقاه أيضاً عن مشايخه. ونشير إلى أن السر في اختلاف القراءة عنه في الأصول خاصة راجع إلى هذا السبب. وكان لا يقرأ أحداً وفق اختياره إلا إذا طلبه وألزمه به.

- توفر الدعم السياسي لقراءته واعتمادها رسمياً كما كان الحال في أندلس غازي بن قيس والمغرب منذ المائة الثالثة.

وهذه الأسباب مجتمعة جعلت قراءته المأخوذة عنه المنسوبة إليه وليدة أحد أمرين:

17 - للتوسع والاستفاضة والمزيد تنتظر الدراسة التاريخية الشاملة للدكتور عبد الهادي حميتو.

إما أنها من اختياره الذي طوره عبر السنين مما قرأ به على مشايخه واجتمع عليه أكثر من شيخ. وإما أنها راجعة إلى إقراره قراءة أحد الطلبة عليه بما أخذه في بلاده ووافق إحدى قراءات نافع نفسه على مشايخه.

كما جعل ذلك قراءته التي حفظت ووصلت إلينا عبر طرق متعددة تبلغ في المغرب عشرا متواترة هي:

رواية ورش عنه من طرق ثلاث هي:

1. طريق الأزرق: وهي الأوسع انتشارا منذ المائة الثالثة وإلى الآن في المغرب والجزائر وموريتانيا وتشاد وغرب السودان وبعض مناطق افريقية.

2. طريق الأصبهاني: التي عرفت وحفظت في العراق حتى المائة الثامنة وهي المحفوظة في تعريف الداني ونشر ابن الجزري وغيرهما من مصادر القراءة.

وبين أداء المغاربة لها من التعريف وبين أداء المشاركة لها من النشر فروق.

3. طريق عبد الصمد العتقي¹⁸: وهي قرية جدا من طريق الأزرق¹⁹ وبينهما العديد من القواسم المشتركة.

رواية قالون عنه من:

4. طريق أبي نسيط المروزي²⁰: مضمنة في الحرز والنشر والتعريف. وهي الأوسع انتشارا والمعروفة في تونس وليبيا وشرقي الجزائر.

5. طريق الحلواني²¹: مضمنة في النشر والتعريف وكذا الكتب والمصنفات

18- أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم المصري أخذ عن ورش وكتب عنه نسخة ت. سنة 231هـ. م القراء: 151/1، غ النهاية: 389/1، حسن المحاضرة: 486/1.

19- يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب المصري تلميذ ورش وخليفته ت. سنة 240هـ. م القراء: 152/1، غ النهاية: 502/1، م الادباء: 33/5.

20- محمد بن هارون الربيعي البغدادي تلميذ قالون ت. سنة 258هـ.

21- أحمد بن يزيد بن ازداد الصفار راوي قالون وهشام ت. بعد 250 هـ.

الدائرة في فلك التعريف نظماً وشرحاً واختصاراً وتعقيماً.

6. طريق القاضي²²: مضمنة في التعريف وفي غيره من مصادر النشر.

رواية اسحاق المسيبي من:

7. طريق ابنه محمد²³، وبها خصائص مشتركة تربطها بقراءة الإمام الأكبر أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني.

8. طريق ابن سعدان²⁴، وكلا الطريقتين معتمدان في المغرب من التعريف وحده.

رواية اسماعيل بن جعفر من:

9. طريق ابن عبدوس²⁵.

10. طريق ابن فرح المفسر²⁶.

وكل من هذه الطرق العشر مقروء بها إلى الأجيال التي أدركناها وأخذنا بها عن مشايخها.

وإنما أورد هذا لتأكيد أفضلية خص الله بها المغاربة وهي انتشار قراءة نافع بطرقها العشر هذه وتواترها شيوخاً عن شيوخ بخلاف الجهل بها عند غيرنا إلا ما ضمه الحرز والنشر منها، بل واعتبارها من الشواذ لضعف المهم وعدم النهوض لإحياء الموروث من أفواه من لا يزال على قيد الحياة من مشايخها.

والسر في ذبوعها فيه أن المغاربة احتضنوا كتاب التعريف وغيره من كتب الداني وعضوا عليه بنواجذهم: قرأوا به وأقرأوا به من الأيام الأولى لتصنيفه وربما

22- اسماعيل ابن اسحاق الازدي البغدادي محقق لرواية قالون ت سنة 282هـ.

23- له عن أبيه نسخة أخرج له كل من مسلم وأبي داود ت. سنة 236هـ.

24- أبو جعفر الضريير الكوفي النحوي صاحب الجامع والمجرد وله اختيار في القراءات وحدث عنه ابن حنبل ت. سنة 231 هـ. غ النهاية : 143/2.

25- أبو الزعراء عبد الرحمن ابن عبدوس البغدادي أخذ عن الدوري وعرض عليه ابن مجاهد، ت. بعد 280هـ.

26- أحمد ابن فرح ابن جبريل البغدادي الضريير قرأ على الدوري واليزي وقرأ عليه ابن مجاهد، ت. سنة 303.

في أيام صاحبه الداني المتوفى عام 444 هـ.

في حين اعتمد غيرهم على كتاب التيسير الذي وصلهم من المغاربة أنفسهم.

أما النشر الذي ضم بعض هذه الطرق وهي الأزرق والاصبھاني لورش، والمروزي والحلواني لقالون، فلم يدخل المغرب إلا في القرن الحادي عشر الهجري بالإضافة إلى أن تاريخ وفاة ابن الجزري 833 هـ متأخر بقرون عن وفاة الداني رحمهم الله جميعاً.

واختلاف الطرق هذه كان وراء اختلاف منهج المغاربة وأدائهم لقراءة نافع بشكل ملفت للانتباه وربما يثير دهشة غيرهم وذلك في أمور أدائية لم يكتب لغيرهم تواترها وإسنادها من اللاحق عن السابق.

ومن هذه الأمور:

كيفية أداء مد البدل: والمصنفات المعتمدة اليوم في القراءة لنافع تضع قيوداً لاجتماع مد البدل هذا مع بعض الإمالات، وترتب على هذا الاجتماع تركيب طرق ممنوعة لما فيه من تدليس على القارئ، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرَ الْمُتَّقِينَ﴾²⁷.

فهذه الآية تجمع مد البدل في "آتيناً" مع ما فيه وجهها الإمالة والفتح وهو "موسى"، وقد وردت الرواية بتثليث البدل أي: جواز قراءته بالتوسط والإشباع والقصر على هذا الترتيب الذي أورده.

كما وردت الرواية بجواز فتح "موسى" وتقليله.

ففي بعض المصنفات المعتمدة نجد راوي توسط البدل لا يروي إلا التقليل

27- سورة الانبياء، آية 48.

في مثل "موسى".

وراوي قصر البدل لا يروي غير الفتح، فإذا جمعت بين التوسط و الفتح أو بين القصر والتقليل ركبت ونسبت إلى صاحب طريق ما لم يقله.

لكن هذا الحكم الذي يتشدد فيه غيرنا و يعتبرونه من المسلمات فيه نظر عند المغاربة، بل إن في طرق المغاربة ما يميز الأوجه الستة كلها و يميز بناء على ذلك التوسط مع الفتح والقصر مع التقليل.

والسبب هو زيادة طرق المغاربة و توسعها بما لم يعرفه غيرهم، لأنهم عرفوا قراءة نافع من طرق أكثر مما عرفه منها نظراؤهم، وقرأوا للداني بالتعريف و الإيجاز و جامع البيان بله التيسير الذي هو معول المشاركة لا غير، بينما كان جامع البيان لديهم من شأن خواص الخواص.

أما في المغرب فقد كانت نصوص التعريف و جامع البيان بل و كامل الهذلي²⁸ وهو في القراءات الخمسين من مصادر وضوابط القراءة ومستندها.

- الهمزتان المتلاصقتان من كلمة: ومن الأمثلة الأخرى التي كان جامع البيان ونصوصه عمدة المغاربة والفيصل فيها مد وإشباع ما بعد همزته الثانية حرف متحرك مثل:

جاء أجلهم. / جاء أحدهم. / ء ألد وأنا.

فمعول المغاربة هو نص جامع البيان²⁹ الذي أدرج ما بعد همزته الثانية متحرك فيما جاء بعدها ساكن وأورد: * ء ألد وجاء أحدهم * ولم يميز بينهما وبين تلقاء أصحاب وءاشفقتهم وغيرها. بل نص على المد المشبع وبه تمسك

28 - يوسف بن علي بن جبارة المغربي الأصل صاحب الكتاب الكامل، ت. 465هـ، انظر غ النهاية : 397/2.

29 - الورقة 85....88 مصور مخطوط.

المغاربة وطبقوه قبل أن يستقر الأمر على زبدة ما اختاره من موسوعاته وضمنها التيسير.

المستفاد من ذلك: وإنما ذكرت هذين المثالين دون غيرهما اختصاراً لأدفع الحاضرين من المسؤولين عن تلقين الرواية في الكتاتيب ومدارس القراءان إلى التمسك بالموروث ما دام أصيلاً وإلى البحث في مصداقية ما هم وأسلافهم عليه وإلى عدم الاغترار بالوارد لا لشيء إلا لأنه دخيل.

كما أذكره لما يصيب القراء المغاربة الذين يقرأون وفق هذا الأصل الثابت من المشاركة أو من صغار المغاربة المقلدين الذين يوسد إليهم الأمر في مناسبات وطنية أو دولية فلا ينصفون لعدم قدرة من يرعاهم على دمع النقد بالحجة ورد الأقاويل القاصرة بالنصوص أولاً و الإسناد ثانياً، بل الغريب كل الغريب أن نجد من المغاربة أنفسهم من يؤيد مواقف الآخرين و يتحامل على أصيل كان عليه الانتصار له بحق، وفاقد الشيء لا يعطيه. وليس في وسع أحد *المزايدة* على الإمام القيسي³⁰ إذ يقول:

وما ليس فيه الرا يتلى لورشهم بستة أوجه ومن دون ما حجر

كنحو نأى ومع تراءى بظلة لدى وقفهم ياصاح من غير ما نكر

ولا على المدغري في تكميل المنافع:

وما له بحرف مد أبداً قبل محرك بتوسط علا³¹

وقبل ساكن ياشباع عمل ولو بنقل أو بإدغام عقل

المستفاد من تعدد روايات الإمام : أفضى تعدد روايات الإمام نافع

30- ابو عبد الله محمد بن ابي الربيع القيسي الاندلسي الفاسي ت سنة 810هـ، انظر القراء والقراءات للاستاذ سعيد أعراب ص 62.

31- يشير بكلمة علا الى صحة الإشباع والقصر وتقدم التوسط عليهما أداء.

وطرقها إلى إفراز تنوع كبير في صيغ الأداء وإلى تمثيل شبه تام لمختلف لهجات الجزيرة العربية، وذلك بشكل لم تمثله قراءة أخرى على مستوى الحد المتواتر. ولننظر أولاً إلى أشكال التنوع قبل استنتاج القيم منها.

فعلى صعيد صيغ الأداء سمحت رواياته بتجميع كل درجات ومراتب القراءة.

وهذه المراتب التي رأى العلماء حصرها في ثلاث هي التحقيق والتدوير والحدرد رغم جوازها لكافة القراء العشرة، إلا أن منهج كل قارئ اكتسب لونا خاصا عرف به صاحبه ونسب إليه وإن جاز له غيره.

فالإمام حمزة³² عرف بلون من الأداء بطيء الإيقاع تأخذ حركاته وسكناته حيزا زمنيا أكبر مما تأخذه في قراءة غيره حتى كادت قراءته يعرفها الخاص والعام، جامع القراءة ومفردها على السواء ولا يكاد يؤدي المؤدي لحمزة إلا على هذا الطراز.

وفي المقابل منه ابن كثير وأبو جعفر ممن عرفوا بالإسراع والإدراج وإن جاز لهم سواه.

إلا أن هذا التنوع في قراءة نافع هو تنوع مبدئي عائد إلى الإمام نفسه وكيف تم التلقي عنه لا مجرد اختيار الرواة عنه كما هو لغيره من القراء.

وقد لا أبالغ إذا ذكرت أن تنوعه تنوع نص ورواية يطالب القارئ بالتزامه كما يطالب بالتزام أصوله وفرشه وعده ومذهبه في الوقف.

من جهة أخرى فهذه المراتب عامة بإيقاعاتها المختلفة مناسبة لشتى ظروف القراءة، فكأن نافع استوحى من سيرته الطويلة في الإقراء طرقا تواكب حياة

32 - حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة ت. 156هـ. م القراء: 1/111، غ النهاية: 1/261، والسبعة: 71.

الفرد كلها انطلاقاً من استحباب دوامها في كل الأحوال في المنشط والمكره والحضر والسفر والسلام والحرب والتعب والدرس والعرض وما سوى ذلك. والآخذ لنافع يطالب بالالتزام هذه المراتب لكل راو من رواته سواء في أحوال الأفراد أو الجمع.

ولم ينس المهتمون من علمائنا هذا فنصوا عليه غير ما مرة وحددوا لكل راو ما يؤخذ له في القراءة. قال التاملي³³:

كبرى ليوسف كذاك العتقي وسطى لمرز وصغرى من بقي

1- أصحاب الكبرى في مقرئه

- أبو يعقوب يوسف الأزرق

- وعبد الصمد العتقي وكلاهما من طرق ورش عن نافع، وكبراهما تمتاز بالخصائص الإيقاعية التالية:

- إشباع المدين معا: المتصل الواجب، والمنفصل. وهو في طرقهما واجب كسابقه وجها واحدا.

- جواز إشباع مد البدل، وإشباعه يعني زيادة مده على المد الطبيعي وهو المقدم الجاري عليه العمل.

والتوسط في حقيقة الأمر الذي تذكر الكتب تقديم المغاربة له هو تقديم نظري، والعمل على تقديم الإشباع الطويل كما عليه الأداء الجماعي منذ قرون.

بينما قصر البدل رغم جوازه يكاد يكون من الأمور التي لا يضبطها ومتعلقاتها إلا المختصون من القراء.

33 - محمد بن يوسف التاملي الترغي المستاري الغماري ت. 1048هـ، انظر القراء لسعيد أعراب، 85.

- مد اللين ودوران إشباعه من طريق الأزرق خاصة بين:

التوسط والطويل في شيء المرفوع والمجروح وشيئا. ولا يجوز من طريقه غيره حتى في حالة الروم لورود الهمز بعد حرف المد.

التوسط والقصر في بقية اللين مثل "هياة" و"سوءة" ونظائرها.

- الوقف بالتوسط أو الإشباع على العارض للوقف مثل "نستعين" و"المستقيم" ونحوها. ورغم أن في هذا بعض التساهل لكن نصوص القراء على تقديم الإشباع أو التوسط.

والحق أن إيقاع القراءة وانسجام مدودها وحركاتها وسكناتها في هذا هو الفيصل لا غيره.

- اختيار مظاهر التفخيم كتغليظ اللامات وتفخيم الراءات واختيار الفتح في ذي الوجهين. وإذا لاحظتم هذه الإشباعات تجدون أن الانسجام بينها يقتضيه الذوق السليم والحس النظري ناهيك عن منطق التوازن.

وما القراءة إلا فن الأداء وجودة الإلقاء حيث يغيب نشاز النظائر. بل نص بعض العلماء القراء قبل علماء الأصوات واللسانيين أن حركات المحقق والمشبع وسكناته وامتداد حروفه أطول زمنا من حركات وسكنات غيره من المدور والحادر.³⁴

وهذه الحقيقة-رغم أن العمل اليوم على مراعاة الفروق في المدود وحدها- هي حقيقة موسيقية إيقاعية بكل ما في الكلمة من معنى، لأن الإيقاع والموسيقى عامة مبناها على الحركات "التوقيعات" المتعاقبة بانتظام، والحيز الزماني الذي تأخذه كل توقيعة من جهة، والفواصل الزماني بين النقرات ومن هنا تتولد الأنغام والمقامات المختلفة.³⁵

34 - انظر محادي محمد بن عبد السلام الفاسي.

35 - الموسيقى النظرية لسليم الحلو. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص. 12، وما بعدها.

ومن جهة ثالثة تتيح قراءة أصحاب هذه المرتبة قدرا كبيرا من:

- إمكانية التنعيم وتطريز الأداء بألوان الأنغام التي لا تتعارض مع جلال القرآن من جهة وقواعد التجويد من جهة ثانية.

ومن اللافت للأنظار أن قراء مصر في أغلب تسجيلاتهم ميالون إلى رواية ورش من طريق الأزرق للمجال الواسع التي يتمتع القارئ به ضمن خصائص تلك الطريق؛

- المساعدة على مواكبة الفكر للجنان وعمل اللسان. وهو المراد بالتدبر والاستيعاب التام لمعاني المقروء.

والمروي الثابت عن رسول الله ﷺ ترجيعه بآية واحدة من آخر المائدة حتى الصباح ترجيعا يستهدف تمثل مقام النبوة لكل إمكانات ومدلولات الآية.

﴿إِنْ تَعْذِِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنَّ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³⁶.

- تمكين المعلم القارئ من أهم وسيلة لتعليم القرآن وضبط قواعده وإتقان المقارئ المختلفة. والأمر مجرب متحقق من نجاعة اتباعه. وفي تراجم القراء ما يثبت ذلك ويدعمه.

- التناسب والتلاؤم مع ظروف الاستقرار وقراءة التبعد وأداء بعض الشعائر والصلوات فيما خلا صلوات القيام في ليالي رمضان الأبرك.

2- أصحاب الوسطى: وذكر الشاهد المتقدم أنها لأبي نسيط المروزي عن قالون رضي الله عنهم أجمعين.

والوسطى تعني عدم إشباع المد بالدرجة نفسها التي يشبع بها أصحاب المتقدمة.

36 - سورة المائدة 118. وانظر جمال القراء وفضائل القراءان لأكثر من واحد.

وقد حددوا لأتباع الكبرى ست حركات.

ولأصحاب الوسطى خمس حركات أو أربع حركات ونصف.

ولأصحاب الصغرى أربع حركات.

وكل حركتين تقدران بألف كاملة.

ومناطق هذه المقادير الدربة والتجربة والإحساس المرهف بزمان الحركة والسكون ولا عيرة بمن يراها في عقد الإصبع أو فتحها لإختلاف الناس في فعل ذلك . ولا ضابط له.

وأصحاب هذه الدرجة أصحاب تدوير: وهو سرعة القراءة سرعة غير مفرطة مع عدم المساس والإخلال بقواعد التجويد.

وأهم ما يلاحظ على أداء أصحاب هذه المرتبة عموما هو:

- مد المتصل بدرجة ثانية بمقدار خمس حركات.

- جواز مد المنفصل وقصره مع تقديم قصره كما هو الحال في المقدم المعمول له حاليا لقراء ليبيا وتونس.

- إسكان الميم وعدم ضمها ولا وصلها في الوجه المقدم.

- إسقاط مد البدل واللين أصلا.

ونظرة بسيطة لهذه الحيشات يدرك من خلالها مدى الانسجام وعدم التنافر. فرغم جواز قصر المنفصل على ضم الميم وصلتها لأبي نشيط فإن هذا الجواز مرهون عند الخذاق بشروط تؤدي عامة إلى ضرورة انسجام إيقاع القراءة وعدم تنافرها. ومرتبة التدوير هذه أحص ما تكون بتراويع القيام والمحاريب عامة والقراءة في الثغور.

3- أصحاب الصغرى: للقاضي والأصبهاني والحلواني وابن المسيبي وابن سعدان وابن عبدوس وابن فرح.

والصغرى تقدر بمقدار أربع حركات أي ألفين. وتمتاز غالبا :

- عدم إشباع المتصل.

- القراءة بقصر المنفصل على المشهور المأخوذ به، مع إمكان مده أيضا بدرجة أكبر كما هو الحال للأصبهاني.

- عدم تمكين العارض للسكون في الوقف، لأنه أضعف من سابقه وعليه حذاق الفن والمحسنون من أهل الأداء كما في ختمتي مصطفى اسماعيل والمنشأوي.

- إسقاط اللين والبدل وكل مظاهر التفخيم المناسبة لقراءة التحقيق.

فهل لهذه المراتب علاقة بمعنى المقروء ودلالاته؟

الجواب القاطع بنعم.

فالنص القرآني كيفما كان فيه دلالة كامنة في ثنياه وحروفه، يحملها نسجه وتنسيقه وبديع صنعه.

لكن للأداء وفنيته دلالات إضافية تزيد من قدرة النص على البلاغ وتفتح للسامع حاضر الذهن دروبا أخرى لفهم المقروء واستكشاف أغواره والغوص في أعماقه.

ولا أدل على ذلك من تلك الأطياف التي تنط مع قراءات القراء وتتلون بتلون المدود، وتخلق الحوار الضمني بين النص والسامع عبر الوقوف والسكتات ومواضع الوصل والفصل التي لا يترجمها المكتوب وحده مع وجودها فيه بالضرورة.

فكأن الإمام نافع وهو يرسم هذه المناهج مستمدا من طرائق الأشياخ المسندة إلى صاحب الرسالة والمبلغ الأول عليه الصلاة والسلام، ومستفيدا من

طول القعود للإقراء ينظر إلى تشكيلات ألوان المتقبلين وطبع الآخذين المختلفين في التجاوب والتفاعل مع النصوص اختلاف النفوس البشرية متفاوتة في تلقي الألقان والاستجابة لتأثيرها حسب وقت وظرف واستعداد الفرد وقبوله لذلك.

أما على صعيد تمثيل مقراً نافع لظواهر الجزيرة العربية اللغوية واللهجية فإن المطلع يتملكه العجب والاستغراب من سعة التمثيل وعدالته وتضمنه ما تشتت في غيره من هاتيك الصور والأساليب.

بل إن في مقرئه انفرادات — حسب معنى الانفراد — خاصة حفظت للغة العرب بعض الاستعمالات. لا بل أصبحت ألسنة شعوب بأسرها منطبعة بطابع هذه الانفرادات: صبغ حديثها وجعلها سمة مميزة لهذه الشعوب عامة، قراء وغير قراء، وسوف يطلعكم أحد العروض على نماذج من ذلك.

ومن تلك الظواهر اللغوية التي ميزت قراءة هذا الإمام:

أ- باب الإمالة: هي من صور الاتباع الحركي. وفي قراءته نماذج متعددة من هذا الاتباع باعتبارها ممثلة للهجات ولغات مختلف قبائل وبطون الجزيرة مثل الإمالة والإدغام الصغير والكبير وأنواع الاثمام.

غير أن ميزة نافع هي الاعتدال والتوسط وعدم المغالاة في أية ظاهرة. وهذا الاعتدال ناظر إلى جهتين:

أن الإمالة أصلاً هي من العادات اللغوية الخاصة بقبائل أواسط الجزيرة وأعلىها حيث بني أسد وهوازن وقيس وطيء وغيرهم. وظهورها في قرائهم بالنسب أو الولاء مثل حمزة والكسائي وعاصم نفسه أوضح من غيرها.

وشيوخ نافع من الكثرة. يمكن يسمح بوجود نجديين وأسدنيين تسرب إلى مقرئه فجههم.

أما الجهة الثانية التي ينظر إليها اعتداله فهي أنه مدني، والمدينة من مدن الحجاز حيث الحضر والتجار. ولكل منهم طبائع في الكلام أهم علاماتها مراعاة الأصل وتجنب التفتيح في الكلام. لأن الفخامة والجزالة شأن خطباء وشعراء أواسط بلاد العرب، وكذا مراعاة التؤدة وفصل المخارج عن بعضها وكل هذه سمات بارزة في مقراً هذا الإمام. فتوسطه في الإمالة آخذ بالاعتبارين معا. ومذهبه فيها دائر بين الأنماط التالية:

- فتح ما يجوز فيه وجهها الإمالة وعدمها، وهو أصل رواية قالون بتمامه وطريق الأصبهاني عن ورش عنه وابن المسيبي عن أبيه وأحمد ابن فرح المفسر عن إسماعيل. ولكل من هذه الروايات والطرق استثناءات للقاعدة والأصل العام.

- التوسط في الإمالة، أي عدم المبالغة في طلبها، فيقرأ ما أماله منها بالإمالة الصغرى أو ما يدعى التقليل أو بين اللفظين أو بين بين.

ولتسمية "بين اللفظين" و"بين بين" رمزية كبيرة في هذا الميدان. وهذا النهج مذهب كل من الأزرق عن ورش عن نافع وابن سعدان عن المسيبي وابن عبدوس عن إسماعيل.

- وجود كلمات قليلة جدا ممالة إمالة كبرى دعوها الاضجاع أو الكسر. ووجودها في مقرئه بهذه القلة الملحوظة يفسر بما يلي:

• أن روايته لها ثابتة. إذ مستند هذا الفن الرواية والإسناد وليس الاختيار بالتشهي.

• أن مقرأه جامع بين اللغتين، والجمع بين اللغتين توجيه قديم وجهت به كل الأحرف النادرة في مقراً قارئ بعينه.

وهذه الألفاظ المضجعة القليلة منها: الهاء في فاتحة طه، والتورية في رواية الأصبهاني عن ورش ومن طريق نشر ابن الجزري لا غير ولا وجود لها في تعريف الداني. ومنها "هار" لقالون.

- وجود أحرف انتهج فيها التوسط والاعتدال في الإمالة بين مذهبين انتهجهما غيره، هما إما الإمالة الكبرى أو الفتح المطلق.

وهذه الكلمات التي وسط إمالتها لم ترد في مقراً آخر غيره مما جعلها من انفراداته وهي باب ما جاء من الأفعال العشرة (جاء شاء خاب خاف طاب ضاق ران زاع زاد زاعوا). قال ابن غازي³⁷:

وباب جاء قلن وبل ران لنجل عبدوس ونجل سعدان

أي أن مذهب ابن عبدوس عن إسماعيل وابن سعدان عن المسيبي في هذه الحروف هو التقليل. وهنا نلفت الانتباه إلى أنه لكون هذه الرواية عن هذين العلمين فإن عالم اليوم لا يعرفها ولا يقرأ بها إلا المغاربة. ويعتبر إحيائها واللفت إليها كل ما سمحت الفرصة أحد واجبات من لا يزال من قرائها حياً.

ب- باب هاء الكناية: هي هاء الضمير المكنى بها عن المفرد المذكر الغائب مثل "له وعليه" والأصل في هذه الهاء أن تضم وتوصل بواو لضعفها ولتعادل بهاء المفرد المؤنث التي توصل بألف رسماً وخطاً.

فإذا كان قبلها ياء ساكنة أو كسرة قلبت تلك الواو ياء للمجانسة مثل "فيه وإليه وعليه". وإنما احتاجت إلى هذه الواو والياء لأن الهاء حرف ضعيف

37 - محمد بن احمد بن محمد بن علي العثماني المكناسي المؤرخ الفقيه المقرئ مسند المغاربة المتوفى بفاس عام 919هـ. انظر نيل الابتهاج بهامش الديباج: 333، واتحاف أعلام الناس: أول ج. 4، وسلوة الانفاس: 83/2 وجذوة الاقتباس: 26.

راغب في تقوية. وعلى هذا الأصل وردت قراءة ابن كثير المكي في جميع هاءات الكناية. أما بقية القراء فقد وافقوه فقط في الضم والواو، والكسر والياء إذا لم تسبق بياء ساكنة أو كسرة. وحذفوها إذا سبقت بذلك اعتبارا بأن هذه الهاء حرف غير حصين وليس من القوة. يمكن الفصل بين الساكنين. فكأن الساكنين في مثل: "فيهي" و"عنهو" متلاصقان.

إلا أن معظم القراء وردت في قراءتهم بعض الموافقة للمكي في حرف أو حرفين أو أكثر اتباعا للأثر وجمعا بين اللغتين.

فهذا حفص يوافقه في: ﴿فيهي مهاذا﴾ بالفرقان. ويكتفي بضم الهاء من غير زيادة واو في: ﴿أنسانيه إل الشيطان﴾ بالكهف. و﴿عاهد عليه الله﴾ بالفتح. ولكل القراء عامة مواقف في حروف دخل الجزم فيها عاملا بإسقاط عين الكلمة فراعى كل قارئ حالة الأصل أو الطارئ وهي:

يؤده، نؤته، نوله، نصله، يتقه، ارجه، يرضه، ترزقانه، فالفه، يره... أما نافع الذي نرصد الآن تنوع قراءاته ورواياته فإنها غطت كل الاعتبارات المرعية في هاء الكناية على الشكل التالي:

- هو كالجماعة، بما فيهم المكي، بضم الهاء وصلتها بالواو إذا سبقت بحركة غير الكسرة وكان ما بعدها حرف متحرك مثل: "له، وعنده"، وبكسر الهاء وزيادة ياء إذا سبقت بكسرة وكان ما بعدها حرف متحرك مثل: "ومن قبله، وبه".
والوجه أن هذا هو الأصل لحاجة الهاء إلى تقوية وبيان.

- هو كالجماعة ما خلا المكي بحذف الواو والياء والإبقاء على الحركة وحدها ضما كانت أو كسرا مثل "إليه، وعليه، وأخاه، واتقوه، وأنزلناه"... لكن نافعا، وانسجاما مع منهجه في القراءة والاختيار بعد اتباع الأثر والسند، خلل

قراءته أنماطا مما احتذاه ابن كثير. ففي روايات ابن سعدان عن المسيي وصل تلك الهاء بياء مدية في كلمة واحدة في كل القرآن وهي "عليه" حيثما وقعت. ووصلها من رواية المسيي بتمامه في كلمة واحدة هي: ﴿أشركه في أمري﴾ بسورة طه واختص ابن سعدان بوصل: ﴿من تولاه فإنه﴾ بسورة الحج.

- وإذا دخل عامل الجزم فسقط من الكلمة عينها فله اعتبارات:

إما مراعاة الأصل وعدم النظر إلى الساقط فيقرأ بالحركة والصلة في : "يوده، يوله، يوته، نصله، يتقه، أرجه، فالقه".... وهي لورش وإسماعيل.

وإما اعتبار الساقط وحذف الصلة لخفاء الهاء وضعفها عن الحجز بين الساكنين وهي لقالون ومن واكبه.

- كما أنه ضم الهاء في بعض الكلمات بعامل الاتباع الحركي الذي رأينا أنه توسط في الأخذ به وذلك في: "به انظر" للأصبهاني وابن سعدان. "لأهله امكثوا" للمسيي.

والخلاصة أنه مثل في باب هاء الكناية كل صور تعاطي اللهجات واللغات معها. وجسد كل فلسفات الاعتبار وعدم الاعتبار والأخذ بالطارئ العارض أو إسقاطه بالمرّة.

وهذا التنوع هو ما يضيف على قراءته وحدها تقريبا صفة الإحاطة والشمول والتصوير الفعلي لعادات وأعراف النطق العربي الأصيل.

ج- الإدغام: هو كذلك من أنواع الاتباع الصوتي حين تتجاذب الحروف ويؤثر بعضها في بعض تقوية وإضعافا.

ولغة العرب من هذه الرؤية بين منهج الاستقطاب ومنهج الفصل ومنهج الاعتدال وأكثر اللغات أخذا بهذه الظاهرة هي لغات نجد وأعالي الجزيرة. من

أسد ومن سار على منوالها.

ومثلت القراءتان الكوفية والبصرية نموذج الاستقطاب في أوضح صورته. والشامية في درجة أقل سواء في الإدغام الصغير الذي يدمج فيه حرف ساكن في مماثله أو مقاربه أو مجانسه المتحرك، وسواء في الإدغام الكبير حيث يسكن المتحرك ثم يدغم في لاحقه.

واختصت الكوفية بالمبالغة في الأخذ بالصغير، والبصري في الأخذ بالكبير.

ومثلت القراءة المكية منهج الفصل أي الفصل بين الحروف ومنع استقطاب واستحواذ بعضها على بعض. فلا تكاد تجد في المكية إلا ما أجمع عليه من صور هذا الإدغام.

واعتمدت قراءة المدينة في هذه الظاهرة مع ميل إلى منهج الفصل مراعية في ذلك طبع الحاضرة وساكنها، والأثر والأخذ عن مصادر متعددة كانت وراء وجود نماذج معدودة من هذه الظاهرة.

ومن صور الادغام في مقراً نافع:

- إدغام دال قد في حروف قليلة هي:

• الضاد والطاء لورش خاصة في مثل "قد ضلوا، لقد ظلمك".

- إدغام التاء في الطاء في مثل "حرمت ظهورها، وكانت ظلمة" ببعض الخلاف يراجع في أصول كل راو عنه.

- إدغام الدال في التاء في: "أخذت" وبابه. "عدت" وهي مما انفرد به ابن المسيبي في قراءة نافع. لكنه في المقابل انفرد بإظهار حروف من بعض رواياته وطرقه لم يؤثر عن غيره من قراء المتواتر المعول عليه ومن ذلك.

إظهار "دال قد" في "تاء" قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْكُ مِنَ الْغَيْ³⁸﴾.

وهي انفرادة لنافع قرأ بها محمد بن المسيبي عن أبيه عن نافع تترجم ما يلي:

- أن القراءة سنة متبعة إذ لو كانت راجعة إلى المنطق واختيار القارئ المطلق لما شذت هذه الكلمة عن البقية، ولما غرد بها القراء خارج السرب، ولكنه الأثر والأخذ والأمانة.

- أن نافعاً جمع في اختياره كل النماذج اللغوية.

- أن العدالة حية في القراءات التي لم تستثن لغة أي طائفة أو بطن أو فخذ من الأفخاذ إلا جعلت له في كتاب الله نصيباً.

- أن لسان العرب عرف هذا الفك رغم ما فيه من عودة القدم إلى الوراء بعد الخطو.

ومن هذا القبيل إظهاره من رواية ابن سعدان وابن عبدوس اللام عند الراء في مثل: "بل ران" و"قل ربكم" قال الصفار:³⁹

وقل ربكم بل ران اظهر واسطي كذا نجل إسحاق فقصه لتعدلاً⁴⁰

إن قراءة نافع كما نرى لخصت بمفردها منهج كل القراءات وجمعت كل ما تشتت في غيرها. فإذا كانت قراءات القراء تمثل ذروة عدالة القراءان باحتضانه كل أشكال التعبير العربية، فإن قراءة نافع حظيت وحدها بهذه الخاصية.

وهنا أمر جدير بالاهتمام، ذلك أن هذه القراءة ومن خلالها كل القراءات تنظم العلاقة بين الأكثرية والأقليات حيث لا تقصي الأكثرية ممثلة في لغة قريش

38 - سورة البقرة، 256.

39- مجمل بن عمر بن إبراهيم التتلمي الصفار.

40- البيت من منظومته في العشر الصغير: تحفة الأليف في نظم التعريف. وهو البيت العاشر في باب الإظهار والإدغام.

حقوق الأقليات الأخرى مهما ضاق الحجم، وبالتالي فإن المسلمين وخاصة المغاربة الذين احتضنوا هذا المقراً هم أغنى الناس عن دروس الغرب والشرق حول احترام حقوق الأقليات.

فهل أدرك الجمع الكريم أن هذه القراءة بكل خصوصياتها جديرة بالرعاية لها أولاً ولقراءها القلائل، وأنها تحمل قيمة جبداً لو نفخت فيها الروح من جديد.

ثانياً: خصائص الرواية المعتمدة في التحفيظ

من المهم وعي كل مدرس في الكتاتيب القرآنية أو من يزاوّل مادة التجويد أو تعهد القراءان في مؤسسات التعليم العتيق بهذه الخصائص لأنها تسلط الضوء على المقروء وتساعد على تمثيل الخطوات المعينة له في عمله، وتصور الأشياء يعين على تطويعها وتسهيل استيعابها.

وأريد فقط في هذه الجلسة أن أقف عند خاصيتين اثنتين راميا الاستفادة مما يترتب عليهما من النتائج تاركاً لغيري الاستفادة من غيرهما من الخصائص:

الأولى: الامتداد الزمني للقراءة، وهي ملحوظة يحسها السامع العادي بله المعني بتلاوة القراءان.

ولا يخفى على المتخصص أن مدود رواية ورش من طريق الأزرق التي يختار المغاربة القراءة بمقتضاها من أطول المدود على خلاف بين القراء في تقديمه أو تقديم الإمام حمزة أو تسويتهما في ذلك وهو الجاري به عملنا حين نقسم مراتب القراء إلى كبرى ووسطى وصغرى كما مر بنا عند الحديث عن خصائص قراءة نافع قبل قليل.

كما أن للأزرق مدات أخرى خاصة به منها مد البدل ومد اللين وهو فيها على الأوجه التي ألمعنا إليها آنفاً.

لكن كيف نستفيد من هذه الخاصية في مجالنا: مجال تطوير أداء الكتاب القراءاني؟

على المدرس أن يدرك أن هذه الخاصية تتيح ما يلي:

1- تساعد هذه المدات في قراءة التحقيق. وقراءة التحقيق تسمح بإخراج الحروف من مخارجها وإعطائها المستحق من صفاتها، وهذه فرصة مثلى في التعليم: أي إن المدرس يستطيع من خلال هذه الخاصية، إذا أدرك ذلك، تطبيق قواعد التجويد في أعلى مستويات التطبيق، ولقد عثرنا في سير قرائنا ومن أمضى حياته في إلقاء القرآن على صور ونماذج لهذه الحقيقة يراجعها من يشاء في تراجم ابن أبي ليلى الكوفي والإمام حمزة ويحيى الذماري وغيرهم.

2- تعطي للطلاب دربة ومرانا على حسن "التعاطي" مع نص القرآن، وبذلك يتجاوز ما يعرفه الكتاب التقليدي من هزيمة مفسدة للنص وجماله.

3- في قراءة التحقيق التي جسدها ورش من هذه الطريق بإشباع المدات والحركات والسكنات ذاتها فرصة لتحقيق غاية التدبر المنشود حيث يواطئ القلب اللسان، فضربات القلب مؤثرة فعلا في الفكر وتجاذب حوارات النص المقروء كما بينا ذلك في قواعد وضوابط الوقف الهبطي.

4- هذه الحركات والمدات المشبعة فرصة سانحة لفناني قراء القرآن لإظهار ما لديهم من قدرات وملكات، وسبقت الإشارة إلى أن أكثر ما يتبارى فيه محبو حفلات القرآن من المشاركة خاصة هو في طريق الأزرق

وقراءة حمزة لما يتيحانه بهذه الوتيرة من فرص التغني والتنغم بالقرءان، وهنا ألفت إلى أن من المهم بمكان فتح أعين صغارنا على هذه الأداءات الرائقة وتشجيع ما لديهم من مواهب، ولتكن في البداية أو في الكتاتيب التي لا تتمتع بمقرئين عفوية تستقصد طرح خجل الصغار وكسر حواجز لا معنى لها إلى أن تتأتى الفرص المنضبطة.

5- تساعد هذه الخاصية (الإشباع في المدات وإكمال الحركات والسكنات) على إجادة النطق بالحرف العربي، وتغلب القارئ على عثرات اللسان ولكنات اللهجات والأعراق إذا أحسن الاستغلال وتم تدريب المدرسين على ذلك.

6- من المفيد الذكر أن هذه الخاصية تستخدم أو يلجأ إلى ضوابطها في تكوين الأصوات والتدرب على التفنن القرائي والتحكم في الوسع الهوائي.

7- مناسبة هذه الخاصية لما يعرفه بلدنا من نمط القراءة الجماعية أو قراءة سهرات القرآن.

أما الخاصية الثانية التي أريد الوقوف عندها لأهميتها فهي:

الإكثار من الإملالات من جهة واختياره التنوع والتوسط فيها.

هو من القراء المكثرين في هذا النمط من الأداء والضرب من لهجات العرب المتنوعة.

ولأني في غنى عن إعادة ما ذكرته بصدد خصائص قراءة نافع، فإنني أريد هنا أن أذكر أن ذلك التنوع الذي عرفته قراءة الإمام عرفته كذلك الرواية؛ فالأزرق مكثر في الإمالة، والأصبهاني مقل جدا ولا يميل من النشر وطرقه إلا كلمة

واحدة هي "التورية"، ويفتح كل ما يمال. وهو مذهب المغاربة القارئ لروايته من طريق التعريف.

كما يتضح تنوع الرواية أيضا في مخالفة الأصبهاني للأزرق في درجات المد وأوجه مد المنفصل وقصر البدل واللين عند الأصبهاني مما يدل على أن رواية ورش تتنوع تنوع الحاجة إلى القراءة نفسها، وكل راو يأخذ وجهها أو وجوها معينة غير اعتباطية كما هو معروف عند القراء.

معنى هذا أن التنوع يناسب حالات الإنسان المتنوعة بين الفراغ والنشاط، وصلاة التهجد والرواتب، والحضر والسفر، والحرب والسلام لكيما يختار من أوجه القراءة ورواياتها ما يتناسب مع كل حالة.

وهنا أفتح قوسا وأطرح سؤالا طرحته على غير هذا المجلس يتعلق بمدى الارتباط بالمقرأ والرواية المختارة في البلد من عدمه لو فضل الإمام في التراويح مثلا طريق الأصبهاني على الأزرق. فهل يعد اختياره التخفيف عن الناس بالقراءة بطريق الأصبهاني خروجاً عن نهج البلاد الذي ينبغي أن يراعى في مثل هذه المناسبات؟

ومذهب الأزرق في الإمامة مذهب وسط رغم إكثاره من الممال، ونقصه بالوسط عدم المبالغة في إضجاع الممال، ويسمي القراء مذهبه "إمالة اللفظ بين بين" وهي خاصية تشمل كل رواة الإمام نافع الذين يميلون مثل الأزرق وابن سعدان وابن عبدوس كما تقدم.

وكما حاولنا استغلال الخاصية الأولى وهي امتداد القراءة لأهداف تربوية نحاول الآن استغلال هذه الخاصية، ولكن في جانب هام من جوانب الحياة، وهو التزام الوسطية في كل شيء، وهي مبدأ إسلامي كبير حبذا لو ربي المعلمون

ناشئتهم عليه انطلاقاً من جزئيات دقيقة يمر عليها المرء دون أن يعيرها اهتماماً ولا أن يحاول ترجمتها إلى سلوك. فكيف نشهد في مذهبنا الفقهي والعقدي والقرائي هذه الوسطية المثلى ولا نتمثلها أو نعيشها في السلوك والدعوة إلى الله والحياة كلها، وأرجو أن تكون رسالتي هذه واضحة، فعالم اليوم وعيونه المحذقة فينا تنتظر من يزيل عنها غشاوة الوهم وسوء الفهم ورمي المسلمين بكل نقائص الغلو والتطرف والتعصب والإرهاب. وقد جرت سياسة الغرب في أمريكا وأوروبا على استغلال كل القنوات: وسائل الإعلام والسينما والمسرح والإصدارات... لتمرير كل المفاهيم وإقناع شعوبها بما قبل غيرها. في حين تصفق كل يد عندنا بمفردها وهيئات.

كما أريد الاستفادة من التنوع الذي أشرت إليه في مذهبه في الإمامة وأنه مخير في أكثر حروفها، وذلك بالتنبيه إلى أهمية ترجمة الخاصية إلى سلوك ملموس في الحياة العملية. فالتنوع يعني وجود غير ما دأبت على رؤيته أو سماعه، وبالتالي فلا موجب للتعصب لما أنت عليه وإنكار ما سواه.

ولعل المطلع على دقائق المقراً - وقد سبقت الإشارة إلى بعضها قبل قليل - يدرك أن المغاربة أوسع صدراً في الباب من خلال سعة طرقهم وما يترتب عن تلك السعة من التساهل في أوجه البدل واللين والإمالة إذا اجتمع بعضها في أية واحدة مما لا يسمح به غيرهم لعدم ورود الرواية عندهم به.

فلنقبل جميعاً ما صح عند بعضنا بلا تعصب أو إنكار، ولا يبخس أحدنا الآخر أو يهضم حقوق طلبته ومرشحيه. وقاعدة الفقهاء والمحدثين تقدم المثبت على النافي وتؤكد أن الجهل بالشيء لا يعني أبداً عدم وجوده.

وإشارتي هنا مفهومة. لكن أرجو أن تتجاوز مجال الإقراء إلى الحياة والمعاملات عامة، وأن ننشئ أبنائنا على ذلك.

ثالثا: خصائص الكتاب القرآني

أهم سمات وخصائص الكتاب القرآني المغربي

يمكن تفصيل سمات الكتاب القرآني المغربي إلى:

1- سمات تربوية منهجية في التلقين و الإقراء أهمها

• التدرج من الأسير إلى اليسير، ومن السهل إلى الصعب. وهكذا يبدأ الكتاب بتلقين مبادئ الكتابة وذلك برسم صور الحروف بخطوط بارزة كبيرة على الألواح الخشبية.

إلا أن قراءة هذه الحروف الهجائية في بعض المناطق المغربية تكتسب طابع الإقليمية والتأثر بالبيئة، مثل تعليم الحروف العربية باللهجات المختلفة وأخذ الحرف كما يلفظ عامية لا عربية سليمة وهذه بعض النماذج من بعض نواحي سوس: ليف/بي/ت إلى حروف معقدة تربط بمناظر مألوفة عند المتعلم مثل:

هـ: هن تغرار/ع : عين ام وشن/ن اعرقن/ي ارزان... وهكذا.

وتلقن الحروف الهجائية هكذا: ابت ثجح خدخ رزط ظكل منص ضعغ فقس شهو لاي. وقد كان ساريا إلى أيام تلقينا نحن. وعلى نسقه ابن عبد البر في تمهيده والقاضي عياض في مشاركته.

كما لا يزال معمولاً به في مناطق شاسعة كموريتانيا وليبيا والجزائر.

- ومن أشكال التدرج بدء التحفيظ من صغار السور ومن "الناس" تصاعدياً نحو البقرة، أما الفاتحة فهي من أوائل ما يلحن شفهيًا.

- ومن أشكال التدرج كذلك البدء بالتحفيظ في الختمة الأولى بدون وقف

بل يعتمد المدرس إلى تحفيظ الجزء المقروء متصلا غير مفصول اللهم إلا بانقطاع النفس، وهذا يدعى في الكتاب المغربي "بالسرابة". وأكبر فوائده نلمسها عند اختبار الطلبة والمرشحين للمباريات في الحفظ حين يطلب منه وصل بعض الوقفات أو الآيات بالقول "افتح" فلا يتمكن من إدراك الفروق بين حالتي الوصل والوقف إلا من أخذ بهذه الطريقة فيحرك ما اعتاد غيره الوقف عليه بالتسكين فتبين حالة النصب والجر والرفع، ويثبت الزوائد المحذوفة لورش وصلا، ويسقط ألفات الوصل وهكذا.

- البدء في التحفيظ برواية ورش عن نافع، حتى إذا أتم الطالب حفظها حفظا متقنا وأجاد رسمها وضبطها، وانصرفت همته إلى إدراك غيرها من الروايات، ورأى فيه شيخه القدرة على ذلك مكنه من مواصلة أخذ الروايات عنه أو وجهه إلى مدارس التخصص في أخذ الرواية.

هذه السمة مرتبطة كما ترون أيها السادة بتحديد مفهوم ومعنى مصطلح **كتاب**.

• من السمات التربوية: مسايرة القدرات المختلفة باختلاف المتلقي إذ يعطى لكل طالب على مقدار طاقته على الحفظ فتختلف ألواح الطلاب عند اكتشاف مهاراتهم بين أنصاف الأثمان والأثمان والأرباع والأنصاف والأحزاب.

- كما أن من علامات مسايرة المهارات تزويد الطالب القادر ببعض الأمور الجانبية كالأنصاف الضبطية للنص المقروء رسما أو بيانا للنظائر والتقديم والتأخير وهكذا، وهذه أمور يسيرة لا ترقى إلى ما نطالب به من الموازنة بين المحفوظ القرآني والمعارف الموازية بالشروط التي حددناها في هذا العرض الوجيز.

• مسايرة اللوح لعمليات الحفظ، ولا اعتقد أنني بحاجة إلى بيان أهمية اللوح

و دوره في تثبيت المحفوظ حفظا و ضبطا و رسما. وأكبر ما نعانیه اليوم في مدارس العتيق التابعة لوزارتنا هو سهولة ضياع المحفوظ من طلبة المدارس العتيقة العصرية التي لا وجود لهذه الألواح المباركة فيها، أما كيفية التعامل مع هذه الألواح فاضرب صفحا عن بيانها محيلا الراغب إلى المصنفات في الميدان.⁴¹

2- سمات أدائية: أهمها:

- مخالفة قواعد التجويد إلا فيما ندر وشذ، وخاصة في العهود التي عرفنا فيها نحن هذه الكتابات بينما بدأت اليوم هذه القواعد تدب باحتشام إلى مجال التطبيق، لكن يظل التطبيق في هذه الحالة قاصرا وغير منضبط و يستند كثيرا إلى سماع أشرطة ليس بينها و بين المقرأ المختار صلة كبيرة، مما يحتم إجراء دورات تكوين تضع النقط على الحروف في الوقوف ودرجات المد وكيفية الإمالة وقراءة بعض ما يتردد فيه الخطأ لدى المدرسين وما أكثره.

- الفصل بين الكلمات في بعض مناطق الشمال فتسمع المدرس يقرأ بسم - الله - الرحمن - الرحيم - مثبتا همزات الوصل في كل كلمة، وحين سألنا عن هذه العادة لم يجد معظم من سألناهم جوابا مقنعا زائدا على تقليد الموروث و في أحسن الحالات لإظهار وجود همزات الوصل رسما و نسي أنه زادها لفظا.

- ومن ذلك البدء بهمزات الوصل متحركة بحركة ما قبلها، وهذه عادة سوسية لا يزال بعض أساتذة العتيق ينتهجونها ولو في دروس الفقه وغيرها، فتسمع القائل منهم يقول: يحضر الناس لصلاة الجمعة وعلى وجوههم السكينة والوقار.....

41- ومن أهمها كتاب المدرسة الأولى للعلامة صالح بن عبد الله الالغي حفظه الله. وهو جد قيم من النواحي العلمية واللغوية والتراثية والاجتماعية.

وحين نصارع اللحن واللكنة عند تعليم قواعد التجويد نضع في الاعتبار هذا الفارق أيضا.

وهذه الملاحظات التي بدأت اليوم تختفي شيئا فشيئا مردها الاعتياد والتطبع، وحبذا لو كان الإقراء مقرونا بشروطه إذا لكفانا مضیعة الوقت في تقويم المعوج.

- ومن هذه السمات الأدائية التحفيظ وفق الوقف الهبطي والالتزام الصارم بالتقييد مع بعض الاختلاف في أماكن منه معروفة محفوظة عند الجميع تمتاز بها ناحية عن أخرى.

وهذه الصرامة في التنفيذ بل والأخذ بالتقييد عامة بدأ يعرف للأسف تراجعاً كبيراً.

فمن الاحتكاك المباشر بطلبة القراءان، خاصة بعض الحفظة الذين تعلموا القراءان وحفظوه بوسائل غير تلك التي عرفناها نحن وجيلنا في المساجد، تبين أن ضبطهم للوقوفات ليس على ما ينبغي؛ فلا هم يضبطون المواضع المقيدة التي راعاها المغاربة منذ قرون، ولا هم قادرون على تجاوزها أو الوقف دونها إلا بما يفسد المعنى أحيانا ويخرج القارئ المتعمد عند العلماء في بعضها من الإيمان إلى الكفر وقد جمعت هذه الأسباب فيما يلي:

1- تغير طريقة الحفظ التي كانت سائدة أيام (المسجد أو المسيد أو آخر بيش) واختفاء الألواح التي كان (الطالب - الفقيه... المدرس) يراجعها صحة ورسماً ووقفاً بعد الكتابة مباشرة ثم يقرأ مع (الطالب - المحضر - المسافر) مرة في الصباح، ومرة في المساء الجهة التي يعتزم سردها ومحوها صبيحة الغد. وكانت هذه الطريقة من التبع كفيلاً بضبط وإتقان المحفوظ صحة ورسماً ووقفاً بل

ويضبط ذلك بالأنصاف الكثيرة التي كانت تدرج أسفل اللوح وتتناول كل شاردة وواردة في الجزء المكتوب غالبا.

أما طريقة الحفظ اليوم فمن المصاحف غالبا وبطريقة جماعية أو شبه جماعية مما يفوت على الكثير في الزحمة ما دق من أمر المحفوظ.

2- اكتفاء بعض الحفظة خاصة في المدن بالأخذ من المصاحف، ولعله يكفي الإشارة إلى أن القراء وصل ويصل مأخوذا من أفواه المشايخ المتقنين. قال الداني في القصيدة المنبهة:

والعلم لا تأخذه عن صحفي ولا حروف الذكر عن كتيبي

3- وهذه مرتبطة بسابقتها، وهي خلو المصاحف التجارية الرخيصة التي تغمر المكتبات والمساجد أيضا من الكثير من علامات الوقف مثل: المصحف التجاري المعروف بالإفريقي التونسي. فأخطأه في الضبط كثيرة مما يخرج أحيانا عن الرواية. وفيه أخطاء كثيرة في التقييد والوقوف بما يفسد المعنى ويشوه الأداء تماما.

والغريب أن هذه المصاحف لو وقف خطؤها عند الوقف لهان، ولكن الأمر يتعدى ذلك أحيانا إلى أمور متعلقة بالضبط والقراءة مما يدعو إلى مراجعة ما يطبع أو وضع قواعد لهذه المبيعات. وليت شعري لم يستغن عن المصحف الحسني الذي بذلت فيه جهود وأنفقت فيه أموال ويكتفي بهذه المصاحف الرديئة بكل المعايير؟⁴²

4- تساهل بعض المقرئين المتصدرين لتعليم القرآن وقواعده بمختلف

42- مما يتلج الصدور إعلان السيد وزير الأوقاف المحترم عن مبادرة أمير المؤمنين أيده الله بإنشاء مؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف الشريف.

جهات المملكة في هذه الناحية، والأصل المأخوذ من حديث ابن عمر⁴³ ومن عمل السلف هو معرفة الوقوف بالقدر نفسه من العناية التي نوليها لغيره من القواعد ومعرفة الأحكام⁴⁴ والسعي إلى العمل بالمحفوظ.

فإذا كنت أخي المقرئ المدرر تقرئ غيرك فلا يخلو الأمر من أحوال: إما أن تكون أنت وتلميذك من ذوي القدرة على التمييز بين الوقوف من حيث العلاقة بالمعنى والتفسير واللغة والبلاغة وغير ذلك. فمن الممكن في هذه الحالة التسامح في الوقوف ببعض المرونة استناداً إلى الثقة في كفاءتك.

وإما أن يكون هذا المطلب غير متوفر فيك أو في تلميذك. فنقول: أن الهبطي رحمه الله كفأك هذه المؤونة ورحم الله من قال: "من اقتدى بعالم لم يذنب".

أما إذا تركت لنفسك العنان والمجال وتلميذك الخط ارتكبت أمورا هامة أولها:

- مخالفة مذهب الإمام نافع في الوقف، حتى لو اعتمدت الوقف السني.
- وإفساد النص القرآني الذي نصبت نفسك للحفاظ عليه.
- مخالفة سنن العلماء وقواعدهم في الإقراء وحق عليك قول القائل: وهو الحسين بن سعد بن الحسين الأمدي⁴⁵:

تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع في كل مجلس

43 - أوله: لقد عشنا برهة وإن احدا... انظره في القطع والانتناف للنحاس 78 والنشر 225/1 والاشموني 5.
44 - انظر مآكثيه في الباب السخاوي وابن الجزري وأصحاب فضائل القرآن ومعظم المصنفين في أدابه وتجويده.

45 - أبو علي اللغوي الشاعر البغدادي، المتوفى عام 444 هـ. الإعلام: 238/2.

لقد هزلت حتى بدا من هزلها كلاها وحتى سامها كل مفلس
أو قول علي بن سبيح⁴⁶.

تبرز للإقراء فيها جماعة ولا خيرة تبدو لديهم ولا نقد
وما لهم فهم يميز ماحوت طريقة أهل الضبط حل ولا عقد
سوى نغم يبدونها بتلحن وتطريب الحان لمن راح أو يغدو

(5) - كثرة الختمات القرآنية التي بدأت تغمر الأسواق لقراء شريين أو من المغاربة المقلدين، ولست أزعم أن كل هذه الختمات تساعد على تجاوز التقييد، وإلا كنت متعصبا، بل بعض الختمات من صغار القراء، وأقصد بالصغر الصغر المعنوي من حيث الضبط والمعرفة بالمعنى واللغة والبلاغة.

(6) - وهذه مرتبطة بسابقتها وتتمثل في الأيدي الخفية التي يكاد يعرفها الجميع والتي تعمل في الخفاء وتدفع المال أحيانا لإختراق وحدة المغاربة في هذا المجال الذي يهمننا وهو: وحدة المذهب، والقضاء على الحزب الراتب، وتجاوز الوقف الهبطي، والقراءة برواية أخرى غير رواية ورش. رواية أخرى مدفوعة الأجر.

(7) - تراجع حزب الراتب في بعض المساجد التي لا تخضع لإشراف وزارة الأوقاف.

وفي تراجع حزب الراتب تراجع للحفاظ خطير. وأورد هنا لفظة يسيرة مفادها أن كلا يقاس بأمور هي:

- أصالته ومشروعيته وهل له سابقة من السلف، أو هو من المسكوت عنه

46 - أديب فقيه قارئ من مكناس. وفي مقطوعته هذه يسخر من "ثمانية". زمانه وقد نظمها عام 749هـ.

بما يفيد جوازه لا تحريمه⁴⁷ كما يخطئ بذلك الكثيرون.

- القواعد التي ينبغي أن تراعى في أدائه والآداب المصاحبة له.

- النتائج التي يحققها هذا الأمر ومقارنة ما له من إيجابيات بما عليه من سلبيات.

8- ظهور بعض الكتابات التي تشكك في مصداقية التقييد. وهي لشخصيات لها احترامها ومكانتها ونصيبتها من الجدة والتوفيق وأذكر على سبيل المثال:

- رسالة ابن الصديق في تتبع بعض وقفات الهبطي (تحفة الرؤف).

- رسالة الدكتور الحسين وجاج التي أعدها لدبلوم الدراسات العليا.

- فصل من أطروحة الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو. وتعد أطروحته بحق غاية في الجدة والنفع وإسهاما كبيرا في إحياء التراث المغربي.

وليت أن هذه الكتابات إذ وضعت اليد على بعض ما يستحق نقاشا في تقييد الهبطي أفادت قارئها أن هذا التزير اليسير لا يسوغ الطعن في كل الموروث والإجحاف به. وعقد ندوة لدراسة المنتقد من الوقوف وتوجيهه بلاغيا من الأهمية؛ ولا سيما أن الوقف المنسوب للإمام الهبطي يترجم للشخصية المغربية بكل مكوناتها. ومحاکمته تعني محاكمتها، خاصة أن الراجح أن يكون الهبطي إنما قيد هذه الوقوف التي عرفتھا المدارس في عهده عن أئمة القراء وأضفى عليها جمعه أو ترتيبه أو تعديله طابع نفسه فنسبت إليه.

فبحسب المرء نبلا أن تعد معاييه. والله يقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾⁴⁸.

47 - انظر رسالة عبد الله بن الصديق: حسن التفهم والدرك لمسألة الترك. ط. ورقة سوريا بطنجة.

48 - سورة هود، الآية 85.

رابعاً: صور من تطبيق الوقوف والضابط المتحكم في التقييد

سأكتفي في هذا المجال الضيق الذي تسمح به هذه الندوة أن أورد مثالين أو ثلاثة عن تطبيقات وقفات الإمام الهبطي عند المغاربة وارتباطها بالرواية والمقرأ المختار، مشيراً إلى بحثنا الخاص واستقراءنا للقواعد والضوابط التي تحكم التقييد كله، والذي من خلاله بدا جلياً انضباط الهبطي وانسجامه مع المعاني وعلوم العربية التي جرده منها البعض وكذا دقة فهمه ورهافة حسه .

ومن هذه الأمثلة: الآية الثالثة من سورة الأنعام وهي قوله تعالى:

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَهَمَّكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

وقف الهبطي على لفظ الجلالة و استأنف* في السموت*...

ووقفه هذا أراه وقفاً موفقاً من عدة اعتبارات دلالية لا نحوية صرفة :

1- منها أن الوقف على لفظ الجلالة "وهو الله" يفتح للقارئ أفاق التفكير في عظمة الله واستحضار كل معاني الجلال اللاتقة به سبحانه، وذلك أن الوصف بأي وصف كان يقيد الفكر ويحصر دائرة انطلاقه في معنى الصفة المذكورة ومفهومها. والهبطي يسير مع هذه الخطة في كل مكان يناسب هذا المعنى ويفتح أفاق التعظيم والإكبار مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾⁴⁹.

2- وقف الهبطي يقدر حقيقة الألوهية الثابتة لله عز و جل.

الدائمة التي لا ترتبط بحال أو ظرف.

فهو الله في السماوات والأرض.

وهو الله قبل السماوات والأرض

وهو الله بعد السماوات والأرض.

ووصل لفظ الجلالة بما بعدها قد يفهم أن ألوهيته سبحانه ثابتة له في السماوات والأرض غير ثابتة له فيما عدهما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

3- استئناف الهبطي بقوله *في السماوات وفي الأرض* له تعلق بما بعده لا بما قبله أي بقوله: يعلم لأن الخطاب موجه إلى الخلق وبني الإنسان المخلوقين من طين المحدودين بأجل زماني وحيز مكاني هو السماوات والأرض وهو مجال حركة الإنسان الكائنة والممكنة بدليل الحديث: فليخرج من تحت سمائي وليبعد ربا سوائي.

بالإضافة إلى ما يفهم من الآية من دعوة إلى استكشاف السماوات والأرض واستخدام العلوم لتسخير ما فيها تسخييرا.

يعلم الله سبحانه كل دقائق الإنسان: سره وجهره، حركته وسكونه وكسبه..

لكن هذا الفهم الجيد الذي أبداه الهبطي في تقييده لم يرق لبعض من تقدمه ولا من أتى بعده.

قال الداني: "وقال قائل: وهو الله تام (هذه الإشارة تفيد عدم استقلال الهبطي بهذا الوقف) وقال آخرون: في السماوات. والتمام عندي آخر الآية. لأن المعنى على التقديم والتأخير، "وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض"، وهذا قول ابن عباس. وقيل المعنى: وهو المعبود في السماوات وفي

الأرض، وقيل هو المنفرد بالتدبير فيهن) ⁵⁰ .

وقال الأثموني: (وهو الله) حسن أن جعل هو ضميرا عائدا على الله تعالى وما بعده خبره، وجعل قوله: في السماوات وفي الأرض متعلقا بيلم أي يعلم سرهم وجهرهم في السماوات والأرض فتكون الآية من المقدم والمؤخر نظيرها: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما﴾ [الكهف:1] أي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، وليس بوقف أن جعلت الجملة خبرا ثانيا، أو جعلت في الخبر والله بدل أو جعل ضمير هو ضمير الشأن، وما بعده مبتدأ وخبره يعلم ⁵¹ .

لكن محقق التقييد لم يرق له إلا أن يورد ما يوافق توجهه ويضعف هذا الوقف، قال:

- وقفه الهبطي وقال فيه الشارح: "وقال الداني: وهو الله تام. قلت وليس كذلك لأن ما بعده خبر على أحسن تأويل، ونظيره كما قال النسفي ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف:84] ولتأكد وصفه وضعف وقفه مثل به العلامة القسطلاني للوقف التعسفي ومن تم أهملته المصاحف الثلاثة" ⁵² .

قلت: ليس قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ نظيرا لهذا لأن هذه العبارة تعني أنه معبود في السماء ومعبود في الأرض حسب المدلول المباشر لكلمة إله.

بينما التعبير في الآية الأولى آية الأنعام، "وهو الله" والفرق بين "إله" و"الله" فرق يعرفه كل من يقيم اعتبارا للأوزان والاختلاف بين الأسماء والصفات.

50 - المكتفى: 170.

51 - انظر أبا حيان. منار الهدى: 127.

52 - رسالة الحسن وجاج: تقييد الوقف الهبطي. الحاشية 2 الصفحة 217.

والمثال الثاني من سورة الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾: 53

وفي لقمان ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾: 54

قال الداني: كاف ثم يتدئ بغير عمد ترونها. أي ترونها بلا عمد.

هذا التفسير يناسب وقف الهبطي على: عمد. 55

قال الأشموني: ترونها. حسن على أن ﴿بغَيْرِ عَمَدٍ﴾ متعلق برفع. أي رفع السماوات بغير عمد ترونها، فالضمير في ترونها يعود على عمد كأنه قال: للسماوات عمد ولكن لا ترى، وقال ابن عباس: إنها بعمد ولكن لا ترونها، قال وعمدها جبل ق الحيط بالدنيا وهو من زبرجد أخضر من زبرجد الجنة والسماء مقببة فوقه كالقبة وخضرتها من خضرته فيكون ترونها في موضع الصفة لعمد والتقدير: بعمد غير مرئية وحينئذ فالوقف على السماوات كاف ثم يتدئ بغير عمد ترونها أي ترونها بلا عمد، وقال الكواشي: الضمير في ترونها يعود على السماوات أي ترون السماء قائمة بلا عمد، وهذا أبلغ في الدلالة على القدرة الباهرة. وإذا الوقف على عمد ليبين أحد التأويلين عن الآخر. ثم يتدئ ترونها: أي ترونها كذلك، فترونها مستأنف فيتعين أن لا عمد لها البتة لأنها سالبة تفيد نفي الموضوع.

وإن قلنا أن ترونها صفة تعين أن لها عمدا، وحاصله أنها شيئان أحدهما انتفاء العمد والرؤية معا، أي لا عمد، فلا رؤية سالبة تصدق بنفي الموضوع لأنه قد ينفي أصله نحو: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافًا﴾، أي انتفى الإحاف لانتفاء

53 - سورة الرعد، 2.

54 - سورة لقمان، 10.

55 - المكتفَى: 220.

السؤال، الثاني أن لها عمدا ولكن غير مرتبة كما قال ابن عباس: ما يدريك أنها بعمد لا ترى⁵⁶.

نقل وكاك قول الشارح: "(بغير عمد : كاف متأكد لبيان المعنى لأنه يقطع رجاء النكرة عن طلب الجملة التي بعدها لتكون صفة لها)";

قال المحقق بعده: "ومع ذلك فوصله أولى لأن المختار فيما بعده أن تكون في محل جر صفة لعمد، أي بغير عمد ترونها، لذلك لم يتعرض له لا الأشموني و لا المصاحف الثلاثة"⁵⁷:

قوله لم يتعرض له الأشموني سهو منه، وقد سبق كلامه أعلاه.

إذن فوقف الهبطي على عمد مسائر لرأي الكواشي ينطلقان معا لا من النحو واحتياج النكرة إلى وصف، لكن من البلاغة بمعناها العام وهو إفراغ الوسع في الدلالة على المعاني، كما أنهما يهدفان إلى ترجمة المؤدى لاسيما معاني الإجلال وتعظيم قدرة الله التي ليس لها حدود؛ ومن جملة ذلك رفع السموات بغير عمد مرئية وغير مرئية. ووقف الهبطي على عمد يعفي القارئ من قيد عودة الضمير على أقرب مذكور فلا يعود الضمير في ترونها على عمد، بل على ما يقتضيه سمو المعنى والمبالغة في الدلالة على القدرة الباهرة.

أما المثال الثالث فهو: من أول سورة الشورى:

أما فاتحتها ﴿حم عسق﴾ فوقف الهبطي على "قاف" مثل وقفه على مثيلاتها من فواتح السور، لتمازجها و انفصالها عما بعدها و النظر إليها على أنها كيان خاص مستقل بمعانيه و أسرارها.

56 - منار الهدى: 199.
57 - تقييده، هامش الصفحة 234.

ولا يصح حسب الهبطي الوقف على الميم من حم رغم انفصال "حم" عن "عسق" لا من جهة ضوابط التقييد ولا من جهة العد لأن مقراً الإمام نافع يأخذ بالعددين المدنيين الأول والأخير وكلا العددين يسقط الفواتح من الاعتبار ويجعلها جزءاً من الآية بعدها، بخلاف العد الكوفي الذي يعتبر معظم الفواتح رؤوس آي فيقف عليها في مذهبه المقدم. وله مذهب آخر معول عليه هو الوقف على التمام.

وهذا يوضح للناظر ارتباط العد بالأداء ومراعاة القراء ومنهم الهبطي لمذاهب أئمتهم المقروء بحرفهم عند أداء النص القرآني، لما يرتبه ذلك الارتباط من أحكام واختلاف في المعاني أحياناً.

أما بعد الفاتحة وهو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الْخَيْرِ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فقد انسجم الهبطي مع المقرأ ومع مذهبه وضوابطه؛ ذلك أن في "يوشي" قراءات هي: يوشي بالبناء للفاعل والياء، والفاعل هو قوله: "الله العزيز الحكيم".

وهنا لم يقف الهبطي على "قبلك" لعدم جواز الفصل بين الفعل و فاعله.

وهذه القراءة لكل القراء العشرة إلا المكي.

والثانية: نوشي بالبناء للفاعل ونون العظمة.

والفاعل محذوف وجوباً لمقام المتكلم، ولهذا فالوقف على "قبلك" لتمام المعنى، والاستئناف من قوله تعالى: "الله العزيز الحكيم" على الابتداء وهذه القراءة من الشواذ.

والثالثة: "يوشي" بالبناء للمفعول، وهي لعبد الله بن كثير المكي، والوقف على "قبلك"، والإشارة في نسخ الهبطي واردة إلى هذه الخلافات يفهمها القراء

لو قرأوا لغير نافع واختاروا الوقوف الهبطية، ولهم في ذلك منظومات مثل منظومة البوزيدي الشهيرة فيما خالف فيه المكي نافعاً في الوقف والوصل ومطلعها:

وهاك ما خالف فيه ابن كثير

لكن الملفت للانتباه أن واضعي التقييد وهم يعلمون هذه الأماكن كانوا منسجمين مع مذهبهم وقواعدهم، فالهبطي - كما شرحت ذلك بتفصيل في بحث خاص عن قواعده وضوابطه - يستحضر دائماً حواراً افتراضياً بين القارئ والسامع. وهذا الحوار الافتراضي الوارد بكثرة في تقييد الهبطي من أعظم تحليلات قراءة التدبر المأمور بها عند تلاوة القرآن: وفي مثالنا يقرأ القارئ قوله تعالى: "كذلك يوحى إليك..." ويقف على "قبلك"، فيسأل السامع سؤالاً افتراضياً أو سؤالاً تقريرياً كما هو معلوم عند البلغاء والبلاغيين: من أوحى إليك و إلى الذين من قبلك؟ فيجيب: الله العزيز...، فلفظة الجلالة فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور أولاً وهو: "يوحي". وسبق الذكر من مرجحات حذف المسند وكذا المسند إليه المفصل في فن البلاغة بدافع بث هذا الحوار وافتعاله.

وهذا الملحظ أصبح غائباً اليوم سواء في كتابتي القرآن أو ختماتنا المسموعة أو صلوات الأئمة الراقبة والتراويح. والسبب هو جهل المعنيين بهذه الضوابط، وإن عرفت فسطحية تعري النص القرآني من أبعاده الجمالية والمعنوية ورحم الله طود العلوم والقراءات سيوطي⁵⁸ زمانه عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي إذ يقول:

فصل ولا بد له أن يعرف أصل امامه إذا ما وقف

58 - القراء والقراءات، لسعيد أعراب: 112.

فنافع راعى محاسن الوقوف والابتدا بحسب المعنى الموصوف
وابن كثير حيثما ينقطع نفسه إلا أمورا تقطع
يعلم تأويله إلا الله ثم بشر النحل و ما يشعركم
وقيل في رؤوس الآي مطلقا لاوسطا منها سوى ما سبقا
رؤوس البصرى وقيل اعتمادا أحسن وقف وروى حسن ابتدا
وعاصم حسن ابتداء راعي له وعنه ذكر الخزاعي
مع الكسائي حيثما تم الكلام وحمزة عند انقطاع النفس رام

وملخص ذلك أن لنافع مذهبا واحدا في الوقف وهو أن يقف عندما يحسن الوقف بتمام المعنى أو لنكته أو لطيفة تستوجب الوقف. وكذلك يتدئ من حيث يحسن الابتداء.

وإشارة ابن عبد السلام واضحة إلى ضرورة إحاطة القارئ بهذه الأمور ولا سيما إن كان مسؤولا عن الإقراء، الإقراء الذي هو عملية نقل منضبط يسلك الأمة بأجيا لها المتلاحقة في سلك الإسناد خاصية الأمة وصلتها الوثقى بنبيها عليه الصلاة والسلام. لهذا فإذا غابت ضوابط الإسناد الذي هو من الدين لضعف المدرسين والقراء بل وجهلهم في الغالب فأى عطاء يرتقب وأي بباغوية يصار إليها. ولا يعتقد أحد من السادة الكرام أن هذه أمور تفصيلية تخصصية لا يطيقها الطالب وأنها تم مستويات أعلى من الكتاب الذي تعنى الندوة بأنظمتها.

بل الأمر هين وسهل ومردوديته أعمق وأبعد ولو مع المستويات الدنيا من صغار الطلبة، وقد جربنا هذا وجنينا ثمرته بكل المستويات، ولا أظن أن التجربة مستعصية إذا اتبعت هذه الشروط:

- إلمام المدرس نفسه بالعلوم الحيطة بالنص المقروء المحفظ.
- إذا اتبع منهاج المزج بين النص المقروء ومعارفه المختلفة اللغوية والبلاغية والرسمية والضبطية والصوتية.
- إذا تم التركيز على الحفظ مع الأداء الجيد وألح إلماحا إلى هذه الأمور ولم يتوقف عندها تنظيريا، لأن التوقف معها على المستوى التنظيري مضيعة للوقت في المستويات الدنيا والعليا معا إذا جردت من نص التطبيق.
- إذا كررت المعارف كلما ترددت مضامينها في النصوص حتى تغدو لدى المتعلم مهما صغر سنه أمرا مألوفا مدركا بيسر وسهولة.
- إذا أعطيت بمقدار الملح في الطعام والحقن في الدم، بتدرج تربوي محكم لتوارد هذه المعارف في كل النصوص المقروءة.

نظرات في وقف الهبطي وآثاره

محمد بالوالي

عضو المجلس العلمي الأعلى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم. وبعد،

فأهداف كتابتي في موضوع «نظرات في وقف الهبطي وآثاره» تَنَلَخَّصُ في تقديم دراسة عن هذا الوقفِ وعما وُجِّهَ إليه من نقد وعن الخطوة التي يمكن إنجازها لإعادة النظر في بعض جوانبه، وذلك من خلال تناول بعض العناصر الرئيسية المرتبطة به في العرض الآتي:

1- مؤهلات الهبطي العلمية

إن المراجع¹ التي عُدت إليها لقراءة ترجمة الشيخ محمد بن أبي جمعة (ت930هـ) قراءة جديدة لم تُسَعِّف بإعطاء صورة شاملة عن مؤهلات الرجل العلمية المختلفة واكتفت بأوصاف عامة، وبعضها اكتفى بالتعريف باسمه ونسبه وتاريخ وفاته ونسبة الوقف إليه، وأهم النعوت التي وردت في ترجمته: -الأستاذ - العالم - الإمام - المقرئ - الأستاذ الكبير - النحوي - الفقيه - الفرضي - العالم العلامة الهمام - المتصوف الزاهد القدوة التقى العابد- كان يغلب عليه

1- مثل ثيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، تح: د. علي عمر، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ص. 276. وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية للتنبكتي كذلك، تعليق وضبط أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، ص. 463. وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تأليف أحمد ابن القاضي المكتاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط (القسم الأول) ص. 321. ودررة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي كذلك تح: محمد الأحمد أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث القاهرة، 152/2. ونشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تأليف محمد بن الطيب القادري تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر: 35/1. وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أثير من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، تح: عبد الله الكتاني، حمزة الكتاني، محمد حمزة الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء: 302/1. وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان: 277/1.

محبة الله كابن الفارض.

واستعمل الأستاذ أعراب عبارة جمعت مجموعة من الأوصاف قال فيها:
"رجل علم وعمل فقيه متبحر في علوم العربية عارف بالقراءات
ووجوهها"².

أخذ الهبطي - رحمه الله - العلم عن عدد من العلماء منهم ابن غازي العالم
المقري الذي صرّح في فهرسته بتمرنه على الشيخ أبي الحسن علي بن منون
المكناسي على إعراب القرآن وأوقفه³.

ومن أخذ عن الشيخ الهبطي عبد الواحد الونشريسي⁴، وأبو عبد الله محمد
بن علي بن عدة الأندلسي (ت 975هـ)⁵.

وفي مجال التأليف لم يترك - حسب اطلاعي - إلا التقييد المعروف، وعمدة
الفقير في عبادة العلي الكبير وهو كتاب نسبه إليه الأستاذ لحسن وكّاك، وقد
رجعتُ إليه في الخزانة العامة بالرباط فوجدته كتاباً صغير الحجم تحدث فيه عن
العقيدة ثم الطهارة... وليس في آخر النسخة التي اطلعتُ عليها ما يدل على
المؤلف أو الناسخ أو تاريخ النسخ...، ولكنَّ البداية جاء فيها "قال الشيخ الفقير
إلى رَغْبَةِ الله تعالى سيدي محمد الهبطي قدس الله روحه: الحمد لله رب
العالمين..."⁶.

والمنهج الذي كُتِبَ به هذا المؤلف واضحٌ والمعلومات الواردة فيه تدل على
معرفة بالعقيدة والعبادات.

2- دعوة الحق، العدد4، السنة11، ص. 92.

3- فهرس ابن غازي، تح. محمد الزاهي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ص. 85.

4- شجرة النور الزكية، 277/1.

5- القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 177.

6- المخطوط المجموع 2008 خ.ع، ص. 216.

فهذه المعطيات العلمية -مع التسليم بصحتها- تسمح للرجل بالإسهام في ترقية المنهج التعليمي والتربوي على المستوى النظري وعلى المستوى العملي، ولذلك فلا غرابة في تحديده الكلمات التي رأى أن الوقف عليها جائز أو حسن...

2- الدوافع إلى إنشاء الوقف وإقبال المغاربة عليه

في هذا الموضوع يقول الأستاذ أعراب: "إننا نجهل الدوافع التي دفعت الهبطي إلى وضع وقفه... وقد نزعنا بأن الذي حمّله على ذلك ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة وخطأ في الأداء، يقفون على غير ما ينبغي الوقوف عليه، ويجوزون ما لا يجوز وصله، وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب وبالعكس فيفسد المعنى... فرأى أبو عبد الله الهبطي أن يضع لهم هذا الوقف كمراحل يتزل المسافر بها ويتجدد نشاطه من أجلها فحدد المواضع التي يقف فيها القارئ..."⁷، وعن سبب إقبال المغاربة على هذا الوقف واختيارهم له يقول الأستاذ أعراب: "على أننا إذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن المغاربة نزاعون إلى الوحدة بطبيعتهم فهم في الفقه على مذهب مالك وفي العقيدة على مذهب الأشعري، وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش، فغير بعيد أن يختاروا مذهب الهبطي في الوقف"⁸، وذهب الأستاذ لحسن وكاگ إلى أن حاجة المتعلمين في عصر الهبطي كانت تَتَطَلَّبُ وضع وسيلة تضبط الأداء بالطرق المعروفة آنذاك كالقراءة الجماعية وأن الشيخ الهبطي سَهَّلَ عليه وَضَعَ تقييد الوقف المعهود كونه تَدَرَّبَ على محاسن الوقف والابتداء بين يدي شيخه ابن غازي⁹.

7- دعوة الحق، العدد الرابع، السنة 11 ذو القعدة 1387هـ-1968م، ص. 92.

8- نفسه.

9- تقييد وقف القرآن الكريم للشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي (ت930هـ)، دراسة وتحقيق ذ.لحسن وكاگ، ط1،

1411هـ/1991م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، قسم الدراسة: 39.

فالحاجة التعليمية الإرشادية كانت وراء عمل الهبطي لضبط مسير التلاوة، والقدرة على إنجاز هذا العمل كانت متوفرة لدى الرجل حسبما ذهب إليه الأستاذان أعراب ووكاگ وهو أمر وجيه - في تقديري - يؤكد استبعاد القيام بعمل في موضوع قرآني جليل من دون دافع علمي يرر الإقبال عليه، ولعل عامل نزعة الوحدة لدى المغاربة في الجانب العقدي والفقهی - كما يرى الأستاذ أعراب - مما ساعد على سيادة وقف الهبطي في كتاباتهم ومساجدهم ومصاحفهم وألواحهم...

وقد عرف وقف الهبطي تطوراً بوضع علامة (صه) فوق الكلمة التي يقف عليها القارئ، وهي علامة قد تكون من وضع الشيخ نفسه أو من وضع غيره... وتعد من العلامات التي ميّزت المصحف واللوح ببلدنا..

ولوقف الهبطي علاقة بقراءة نافع التي التزم بها المغاربة، والتي بنى صاحبها مذهبه في الوقف على محاسن الوقف والابتداء كما ورد عنه النص بذلك¹⁰، ومحاسن الوقف والابتداء تقتضي أن لا يخل الوقف بالمعنى والفهم ليحصل القصد ويظهر الإعجاز.

3- مواقف العلماء من وقف الهبطي

كتب عدد من العلماء والدارسين قديماً وحديثاً عن وقف الهبطي، ومنهم محمد المهدي الفاسي، ومحمد بن عبد السلام الفاسي، والحسن البعقلي، وأبو شعيب الدكالي¹¹، وعبد الواحد المارغني، وعبد الله ابن الصديق وحسن وكاگ، ومواقف من كتبوا في الموضوع يمكن أن تُصنّف إلى ثلاثة أقسام:

1- موقف دفاع واستحسان.

10- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 238/1.

11- تقييد وقف القرآن الكريم، قسم الدراسة : 151 و153.

2- موقفٌ اعتدلَ أصحابُه واجتهدوا في التنبيهِ على بعض الوقوف التي رأوا أنها ضعيفة.

3- موقفٌ بالغ أصحابُه في انتقاد وقف الهبطي.

ومن الطبيعي أن يوجدَ مثل هذا التقويم لعمل بشريٍّ مثل عمل الشيخ الهبطي الذي كان له آثار محسوسة في المدرسة القرآنية المغربية على مستوى ضبط المصاحف والألواح وعلى مستوى التلاوة...

ووقفُ الشيخ الهبطي - وإن اختلفت الآراء في تقويمه - أخذ مكانه في تاريخ القراءات وما يتعلق بها وبرز علامةً من علامات المدرسة القرآنية المغربية.

والمقارنة بين المواقف الثلاثة المذكورة تجعل الدارس يستشكل أكثر آراء الموقف الثالث الذي قد يجعله يشك في قدرة الهبطي العلمية وفيما جرى به العمل في المغرب في الوقف زمناً غير يسير مع وجود علماء في القراءات والرسم والضبط والنحو...

ولذلك أسوق هنا بعض الانتقادات التي أحسبها مندرجةً في الموقف الثالث - وهي للأستاذين الكريمين: عبد الله بن الصديق والأستاذ لحسن وگاگ - مع التعليق عليها.

فحسب الأستاذ ابن الصديق فإن الهبطي لم يكن يعرف علمَ العربية ولا شيئاً مما اشترطوه لصحة الوقف بل أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له من غير مراعاة للقواعد فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع لأنه يفصل بين المبتدئ والخبر وبين الفعل ومتعلقه...، والأستاذ ابن الصديق في رسالته¹² التي ألفها في الموضوع لم يورد جميع الوقوف التي رأى أنها مخطئة، وإنما نبه فيها فقط

12- منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي لأبي الفضل عبد الله ابن الصديق، دار الطباعة الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، زنقة فيردان، الدار البيضاء: 4.

على ما كان قبحه ظاهراً لا يخفى على متعلم¹³، ومن هذا القبيل عنده:

1- وَقَفَ الهِطِيُّ على «خير» في قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» [البقرة: 180]، والوقف - كما يقول ابن الصديق - على المعروف أو المتقين، لأن وقف الهِطِيُّ يَفْصِلُ بين الفعل وهو كُتِبَ المبني للمجهول ونائب الفاعل وهو الوصية، وتصحيحه يحتاج إلى تقدير فيه تكلف وخروج عن الظاهر لغير ضرورة ولا حاجة¹⁴.

وأبو جعفر النحاس في كتابه: القطع والانتاف - بعد أن نسب التمام إلى أبي عبد الله محمد بن عيسى - نفى أن يكون الوقف على "خيراً" تاماً¹⁵، ونفى الداني كذلك التمام عن هذا الموضع - بعد أن عزَّاهُ إلى نافع ومحمد بن عيسى والدَيَّنَوْرِي - بقوله: "وليس كذلك لأن الوصية متعلقة بكُتِبَ، والمعنى: فرض عليكم الوصية"¹⁶، ولكن الداني قال أيضاً بعد ذلك: "وقد يجوز أن يقطع من ذلك بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير فَعَلَيْكُمْ الوصية، ويكون المرفوع بكُتِبَ مضمراً تدل عليه الوصية والتقدير: "كُتِبَ عليكم الإيصاء فيصح بذلك ما قالوه والأول الاختيار"¹⁷، وقال الأشموني: "إن ترك خيراً" حسن، كذا قيل، وليس بشيء لأن قوله الوصية مرفوعة بكُتِبَ الذي هو فعل لم يسمَّ فاعله وأقيمت الوصية مقام الفاعل فارتفعت به، والمعنى فُرِضَ عليكم الوصية - أي فرض عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية -، أو مرفوعة باللام في اللوالدين

13- منحة الرؤوف المعطي: 6.

14- منحة الرؤوف المعطي: 10.

15- القطع والانتاف لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تح: أحمد فريد المزيري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان: 91.

16- المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت: 180.

17- نفسه.

بمعنى فقيل لكم الوصية للوالدين بإضمار القول، ولا يجوز الفصل بين الفعل وفاعله ولا بين القول ومقوله، لكن بقي احتمال ثالث وهو أنها مرفوعة بالابتداء وما بعدها وهو قوله: للوالدين خبرها، ومفعول كُتِبَ محذوف -أي كتب عليكم أن توصوا-، ثم بين لمن الوصية، أو خبره محذوف - أي الإيصاء كتب- أي فرض عليكم الوصية للوالدين والأقربين، فعلى هذا يحسن الوقف على "خيراً"¹⁸، ومثل هذا الكلام أورده الأنصاري في المقصد¹⁹.

2- وَقَفَ الهبطي على "منه" في قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:7] وابن الصديق يرى أن وَقَفَ الهبطي على منه يَدُلُّ على أنه لا يعرف النحو لأنه فصل بين المبتدأ والخبر وصير المبتدأ بلا خبر²⁰.

وفي القطع والائتناف: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه، قال نافع: ثم، وخالفه غيره، قال لأن النكرة لا يبتدأ بها"²¹، وفي البحر المحيط جواز ارتفاع آيات على الابتداء²²، وقال الأشموني: "ونقل بعضهم أن الوقف عند نافع على منه ولم يذكر له وجهاً ووجهه والله أعلم جعل الضمير في منه كنايةً عن الله أي هو الذي أنزل عليك الكتاب مِنْ عنده فيكون منه بمعنى من عنده ثم يبتدئ: آياتٌ مُحْكَمَاتٌ أي هو آيات مُحْكَمَاتٌ"²³.

3- وَقَفَ الهبطي على ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [المائدة:31-32]، وقال ابن الصديق: الوقف

18- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن عبد الكريم الأشموني، دار المصنف، دمشق: 45.

19- المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، دار المصنف، دمشق: 18.

20- منحة الرؤوف المعطي: 11.

21- ص. 117، والقول بأن النكرة لا يبتدأ بها ليس على إطلاقه، فقد يكون المبتدأ نكرة بشرط حصول الفائدة كما في هذا الموضع.

22- البحر المحيط لأبي حيان، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية: 383/2.

23- منار الهدى: 56.

على النادمين... وهو وقف لازم لانتهاؤ الآية ثم يستأنف الكلام بقوله: من أجل ذلك كتبنا، ومن أجل جار ومجرور متعلق بكتبنا وهو علة له، والمعنى: من أجل قتل أحد ابني آدم لأخيه ظلماً كتبنا على بني إسرائيل تغليظ الإثم في القتل العمد العدوان، وهذا المعنى واضح موافق للسياق، ولكن الهبطي وقف على ذلك ففصل بين الفعل ومتعلقه وقطع العلة عن معلولها وصارت جملة كتبنا على بني إسرائيل منقطعة عما قبلها لا رابط بينهما، وهذا إفساد لمعنى الآية²⁴.

وفي هذا الموضع يقول أبو جعفر النحاس: «فأصبح من النادمين» تمام على قول أكثر أهل اللغة، وزعم نافع أن التمام «فأصبح من النادمين من أجل ذلك»، قال أبو جعفر: وهذا قول خارج عن قول أهل التأويل لأنهم يقولون من أجل ذلك قتل ابن آدم أخاه "كتبنا على بني إسرائيل" قال الضحاك: من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً كتبنا على بني إسرائيل...²⁵، ويقول الداني -بعد ذكره قول نافع بأنه تمام-: "فجعل من صلة للنادمين أو لقوله: فأصبح وليس بشيء لأن الوجه أن تكون من صلة لكتبنا بتقدير من أجل قتل قابيل هابيل كتبنا على بني إسرائيل وهو قول الضحاك فلا تفصل من ذلك"²⁶، ويقول أبو البقاء العكبري: من تتعلق بكتبنا ولا تتعلق بالنادمين لأنه لا يحسن الابتداء بكتبنا هنا²⁷.

ويرى الأشموني أن: من النادمين، ومن أجل ذلك وقفين جائزين، والوقوف -كما يقول- إذا تقاربت يوقف على أحسنها ولا يُجمعُ بينها، وتعلق من أجل ذلك يصلح بقوله: فأصبح، ويصلح بقوله: كتبنا، وأحسنها النادمين²⁸...

4- علق الأستاذ ابن الصديق على وقف الهبطي على «فأصبح» في قوله عز

24- منحة الرؤوف المعطي: 13-14.

25- القطع والانتاف: 175-176.

26- المكتفى في الوقف والابتداء: 238-239.

27- إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء محب الدين العكبري، دار العلم للجمع، مصر: 124/1.

28- منار الهدى: 91.

وجل ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلج به نبات الأرض﴾ [يونس: 24] وقال: هو وقف ممنوع لأنه فصل بين الفعل ومتعلقه، ولا أحد يجيزه²⁹.

وقال الداني: قال قائل: ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلج﴾ هنا وفي الكهف تمام، ولا وجه لما قاله لأن المعنى فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلطٌ ببعضه ببعض³⁰.

وقال ابن عطية: إنما مثل تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين - إذ يصير ذلك إلى الفناء - كمطر نزل من السماء فاختلط، ووقف هنا بعض القراء على معنى: فاختلط الماء بالأرض، ثم استأنف: به نبات الأرض على الابتداء، والخبر المقدم، ويحتمل على هذا أن يعود الضمير في به على الماء أو على الاختلاط الذي يتضمنه القول، ووصلت فرقة فرقة النبات على ذلك بقوله: اختلط - أي اختلط النبات ببعضه ببعضٍ بسبب الماء-³¹.

وتعرض أبو حيان في تفسيره إلى قول ابن عطية قائلاً بعدم جواز الوقف على ﴿فاختلج﴾ ولا سيما في القرآن، لأنه يرى فيه تفكيكاً للكلام المتصل الصحيح المعنى الفصيح اللفظ وذهاباً إلى اللغز والتعقيد والمعنى الضعيف القريب من عدم الإفادة³².

والأشْمُونِي - بعد أن نسب إلى الأزرق القول بأن الوقف تامٌّ على «فاختلط» - هنا وفي الكهف - ذكر هو كذلك أن في هذا الوقف تفكيكاً للكلام المتصل الصحيح والمعنى الفصيح³³...

ونسبه القرطبي إلى الإمام نافع، وقال: إنه وَقَفَ على ﴿فاختلج﴾ أي

29- منحة الرؤوف المعطي: 17.

30- المكتفى في الوقف والابتداء: 306.

31- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تح: المجلس العلمي بفاس طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية: 29/9.

32- البحر المحيط: 143/5.

33- منار الهدى: 129.

فاختلط الماء بالأرض، ثم ابتداءً ﴿بِهْ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي بالماء نبات الأرض، فأخرجت ألواناً من النبات، فنباتٌ على هذا ابتداءً، وعلى مذهب من لم يقف على ﴿فَاخْتَلَطْ﴾ مرفوع باختلط أي اختلط النبات بالمطر أي شرب منه فَتَنَدَّى وَحَسُنَ وَاخْضَرَّ، والاختلاطُ تَدَاخُلُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ³⁴.

وهكذا ساق المذهبين من دون أن يرجح أحدهما.

5- وَقَفَ الهبطي على ﴿تَسْتَعْجِلْ﴾ في قوله سبحانه ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسَالِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35]، وهو وقف عند الأستاذ ابن الصديق ممنوع باتفاق³⁵.

ومنعه كذلك أبو حاتم³⁶ والدايني³⁷، ورأى فيه أبو حيان تفكيكاً للكلام بعضه من بعضٍ³⁸..

والوقفُ على ﴿تَسْتَعْجِلْ﴾ منسوب إلى أبي مجلز³⁹ الذي كان يقول: بلاغُ ابتداء وخبره متقدم في قوله ﴿لَهُمْ﴾. قال ابن عطية: وقدح الناس في هذا القول لكثرة الحائل⁴⁰.

هذه مجموعة من المواضع التي أوردتها الأستاذ ابن الصديق في رسالته، وقصدي من ذكرها وإيراد أقوال العلماء فيها بيان أن الهبطي له فيها حجج من اللغة ومن النقل؛ فالأمثلة التي ذكرتُ ورد فيها النقل عن الإمام نافع صاحب القراءة التي وُضِعَ الوقفُ لها كما ورد عن غيره، وليست مما لا وَجْهَ له في العربية

34- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 210-209/8.

35- منحة الرؤوف المعطي: 24.

36- القطع والانتشاف: 482-483.

37- المكتفى في الوقف والابتداء: 522.

38- البحر المحيط: 8-69.

39- المحرر الوجيز، تح: المجلس العلمي لتارودانت، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: 46/15.

البحر المحيط: 8 / 69.

40- المحرر الوجيز، تح: المجلس العلمي لتارودانت.. 46/15.

- وإن كان غيرها على العموم راجحاً وأكثرَ وضوحاً -.

وأما الأستاذ لحسن وكّاك فذهب إلى أن وقوف الهبطي الضعيفة كثيرة؛ فقد تجاوزت عنده 800، وهذا العدد كثير، ويكون المغاربة -بناءً على التسليم بصحته- قد كرّروا الوقوفَ الضعيفة في ألواحهم ومصاحفهم وفي تلاوتهم في حزب الصباح وحزب المساء وغيره ما لا يحصى من المرات، وتكون الخطئة الموحدة التي عملوا بها في الوقف غير مجدية...

والأمثلة الخمسة التي سبق ذكرها هي من الوقوف الضعيفة عنده على الرغم من إirاده أحياناً القولَ بالتمام أو بالحسن أو نحوه كما في الأمثلة الآتية:

1- قال في وقف الهبطي على ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: قال فيه الشارح الفاسي نقلاً عن الداني: قال نافع والدينوري تأمُّ ثم قال بعد ذلك "وليس كذلك لأن الوصية متعلقة بكتب"، وقد قيل إن الوقف عليه حسن، لكن ردّه الأشموني بقوله: ليس بشيء، وعليه فوصله أولى وأكد لأن الوصية نائب الفاعل، ولتأكيد وصله لم يشر إليه لا المصحف المصري والتونسي، ولا يؤثر في تأكيد وصله ما وضعه عليه المصحف العراقي من علامة جواز الوصل والوقف عليه⁴¹.

2- في وقف الهبطي على ﴿الْكِتَابَ مِنْهُ﴾ قال: قال فيه الشارح الفاسي: كاف باعتبار أن الإنزال من الله، ومع ذلك فوصله أولى لأن ما بعده صفة أو حال من الكتاب، ومن ثم لم يتعرض له الأشموني ولا الأنصاري... ومن ثم رجع ابن الصديق وصله⁴².

3- قال في وقف الشيخ الهبطي على ﴿فَاخْتَلَفْ﴾: "قال فيه الشارح: "قال فيه

41- تقييدُ وقف القرآن الكريم: 201.

42- نفسه: 205.

الداني: قال قائل هو تام، ثم قال الشارح: ولا وجه لما قاله"، وعليه فوصله أولى وأكد لأن نبات الأرض فاعل "اختلط"، ومن ثم قال فيه الأشموني: لا يوقف عليه... ولذلك رجح ابن الصديق وصله⁴³.

وعلى هذا النحو مضى الأستاذ وكاگ يضعف مآت الوقوف من وقف الهبطي وكأن لديه موقفاً مهيئاً لرفضه...

4- ما يحتاج إليه الموضوع من دعم

إن الوقف—كما هو معلوم عند أئمة القراءات— وسيلة للتنفس والاستراحة مع مراعاة المحافظة على المعاني المقصودة للقرآن الكريم وعلى إعجازه وعلى قوة بيانه... وقوة الوقف وصحته مما يدعم ذلك القصد؛ فالوقف الفاسد يخل بالمعنى، كالوقف على الموتى في قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الْغَيْنِ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 36]، ومن اضطرَّ إلى وقْفٍ لا يُحافظ على المعاني السامية للقرآن فعليه أن يرجع إلى موضع يصلح الابتداء به صيانة للمعنى.

لذلك نالت المواضع التي حدَّدها الهبطي للوقف قديماً وحديثاً عناية واهتماماً وكتبت فيها دراسات وبحوث ومقالات وهي اليوم جديرة بوقف علمية تاريخية تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمجلس العلمي الأعلى يتم بمقتضاها الرد على من تقول في هذا الباب كما يتم الارتقاء بما يحتاج إلى ارتقاء خدمة للعلم عامة والمدرسة القرآنية خاصة؛ ويمكن أن تنجز تلك الوقفة من خلال عمل لجنة من أهل الاختصاص في القراءات والنحو والعقيدة والتفسير وفق الخطة الآتية:

1- جمع ما أمكن من النسخ القديمة لتقييد وقف الهبطي، والمقارنة بينها

وتعيينُ الاختلافاتِ اعتماداً على المعايير العلمية السائدة في التحقيق.

2- العملُ على ضبط العددِ الإجمالي لوقوف الهبطي بناءً على ترجيحات الدراسة والتحقيق وإقصاء ما لا تثبتُ نسبتهُ إلى الشيخ الهبطي - ولا سيما وفي نسخة المكتبة العامة بالمدينة المنورة مكتوبةً بخط مغربي تحمل رقم 620 تعاليقُ لبعض القراء المغاربة تلقي الضوءَ على المصادر التي اعتمدها الهبطي في وقفه وعلى وجهة نظره في المواضع التي انتقدت عليه وما لا تصح نسبتهُ إليه⁴⁴.

3- تعيين الوقوف التي ليس لها دليل صحيح في اللغة أو في النقل...
-إن وجدت- وحذف كل منها من المصاحف والألواح والتلاوة.

44- مقال للأستاذ أعراب في دعوة الحق، العدد4، السنة11، ص. 93.

الوقف في القرآن الكريم وأنواعه

وقف الإمام الهبتي نموذجاً

حميد بن الحاج السلمي

عضو المجلس العلمي المحلي بفاس

الوقف من علوم القرآن ومن فروع علم القراءات ولا يمكن عزله عن إطاره المكاني الذي هو الكتاب، الذي يحتضن تحفيظ القرآن الكريم ومعرفة رسمه وضبطه، وحسن أدائه وترتيبه، ولذلك لا بد من مدخل حول الكتاب في هذه الندوة المباركة التي تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للتعريف بهذه المؤسسة التربوية العريقة التي ظلت عبر القرون معقلاً للتكوين الصحيح والتربية الهادفة وقيم الاستقامة والصلاح، وما تزال إلى الآن معقد الأمل لبناء النشء على القرآن الكريم وتأصيل التعليم الأولي، مع الانفتاح على المستجدات والأخذ بالتطور الملائم مع الخصوصية.

وفي لسان العرب لابن منظور المجلد الأول صفحة 699-700 (...وكتب الرجل و أكتبه إكتاباً: علمه الكتاب... ثم قال: و المكتب: المعلم... قال الحسن: كان الحجاج مكتباً بالطائف يعني معلماً قال المبرد: والمكتب موضع التعليم والمكتب المعلم... والكتاب الصبيان قال ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ)¹.

وقد وجدت الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة قبل ظهور الإسلام في حدود ضيقة ثم اتسع نطاقها مع الدين الجديد لتستوعب إلى جانب تعليم القراءة والكتابة تحفيظ القرآن الكريم. فقد ذكر الدكتور أحمد شلي في (تاريخ التربية

1- لسان العرب لابن منظور المجلد الأول صفحة 699-700.

الإسلامية) أن المستشرق جولد تسهير كتب مقالا في دائرة معارف الأديان والأخلاق عن التعليم الأولي عند المسلمين وحاول أن يثبت فيه أن كتاب تعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي أنشئ في عهد مبكر وأنه يرجع إلى صدر الإسلام². وذكر ابن خلدون إن منهاج التعليم في الكتاب يختلف من مصر إلى مصر قال: تعليم الولدان القرآن الكريم شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبي عليه ما يحصل بعد من الملكات، واختلفت طرقهم في تعليم القرآن، فأهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن مع بعض علومه، أما أهل الأندلس فيخلطون في تعليمهم تحفيظ القرآن مع مبادئ العربية وتجويد الخط ورواية الشعر. وكذلك أهل إفريقية وأهل المشرق...³.

ويسمى الكتاب القرآني في المغرب (المسيد) للذكور و(دار الفقيه) للإناث ويدخل الصبي الكتاب عندما يعقل، وغالبا ما يكون ذلك في السنة الخامسة أو السادسة ويبدأ الطفل بحفظ الحروف الهجائية ثم يحفظ بعض السور القصار، يقرأ المعلم الآية والآيتين، ويردها الطفل حتى يحفظها، والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد أن يحفظه، فإذا حفظه محاه ليكتب فيه شيئا جديداً وهكذا يتدرج في حفظ الآيات والسور حتى يختم القرآن: (الختمة) ثم يبدأ السلوك من (ألم) بالربع والنصف، وتكرر السلوك والختمات حتى يحفظ القرآن جيداً و (يصفي لوحه).

2- تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبي صفحة 14.

3- مقدمة ابن خلدون الفصل الواحد والثلاثون في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه صفحة 537-538 باختصار. الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي ببيروت.

قيام التعليم الأولي بالمغرب على حفظ القرآن الكريم

يقول الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه: (جامع القرويين) في فصل (شروط الالتحاق بالقرويين): "كان في صدر ما أثار انتباه الذين كتبوا في شأن القرويين الجامعة أن الذي يريد أن يدرس فيها لا يمكنه أن يحضر مجالسها ولا أن يستفيد من مشايخها إلا بعد أن يكون على سابق معرفة بعدد من الفنون الأولية التي تمكنه من الارتفاع إلى مستوى الطلاب الجديرين بهذا الوصف، وهذه المعرفة الأولى هي التي تكلفت بها الكتاتيب أو (المسايد)... فهنا في (المسيد) يعكف الصغار أولاً على استظهار كتاب الله... كما يأخذون بمبادئ الدين وقواعد اللغة العربية... وبهذا تتجلى أهمية انتشار المسايد بأزقة ودروب فاس... الأمر الذي يفسر لنا معنى قول ابن خلدون: (إن أهل المغرب أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم)"⁴.

ويقول الأستاذ سعيد أعراب في كتابه (القراء والقراءات بالمغرب) تحت عنوان (عناية المغاربة بحفظ القرآن): "امتاز المغاربة - منذ قديم - بحفظ القرآن وإتقان رسمه وضبطه وتجويده، وسيطروا في هذا الميدان سيطرة تامة، ولاتوجد أمة خدمت القرآن وتفانت في حبه والاهتمام بشأنه مثل المغرب، وقد تأسست مدارس في الحواضر والبوادي كانت منار إشعاع لعلوم القرآن، وبرز أئمة مقرئون أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم وإنتاجهم الخصب..."⁵.

تحديد بعض المصطلحات

أ- علم القراءة : ويقال له علم الأداء وهو العلم الباحث عن ألفاظ القرآن من حيث التلفظ بها وما يتعلق بذلك من الآداب، فيدخل فيه حكم

4- جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي فصل (شروط الالتحاق بالقرويين) المجلد الأول صفحة 126.

5- القراء والقراءات بالمغرب للأستاذ سعيد أعراب صفحة 12.

الاستعاذة والبسملة، لأنه من آداب الابتداء، والفصل بين السور على مذهب مالك، والتكبير بين السورتين، ويدخل ترقيق الرءاء واللامات وتغليظها، والإمالة، وتسهيل الهمز بأنواعه والمد والقصر والإدغام، ويدخل في ذلك الوقف الذي هو موضوع البحث ويندرج أيضاً ذكر الحروف المختلف فيها عند القراء لأن التلفظ يختلف بها.

ب- علم الرسم: ويقال له علم الخط وهو العلم الباحث عن كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية بتقدير الابتداء به والوقوف عليه، ويدخل في ذكر الألفات والواوات والياءات وما ثبت منها وما يحذف وما يزداد وما يكتب من الألفات المتطرفة ألفاً أو ياءً، وما تكون له صورة من الهمز وما لا، وما يوصل من الحروف وما يفصل ونحو ذلك.

ت- علم الضبط: هو تابع لعلم الرسم مما يرجع إلى الحركات والسكنات، وصور الهمز في المصاحف والألواح ونحو ذلك ويرادفه الشكل ويدخل فيه النقط، ومن فوائده رفع اللبس عن الحروف. وقد أخذ المغاربة في الرسم والضبط بطريقة الإمام أبي عبد الله محمد الشريشي المعروف بالخرّاز المتوفى سنة 718 هجرية دفين باب الحمراء بفاس، صاحب عدة مؤلفات في حرف نافع قراءة ورسمها الأرجوزة (مورد الضمان في رسم أحرف القرآن) وألحق بها رجلاً له في الضبط.

ث- القراءات: قال الزركشي في البرهان "وأعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز؛ والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتب الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"⁶ أي إن القراءات هي أداء لفظي للوحي المتزل قد تختلف

6- البرهان للزركشي الجزء الأول صفحة 318.

وجوهها من جهة:

- اختلاف في الحروف
- اختلاف في ضبط الحروف من تخفيف أو تثقيل
- اختلاف في غيرها من وقف وإمالة وروم وإشمام
- اختلاف في الإعراب

ولاختلاف بين علماء المسلمين في أن القراءات مروية بالتواتر بالإسناد المتصل إلى مبلغ الوحي عليه الصلاة والسلام وهم يذكرون في ذلك الحديث المتفق على صحته "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" برواية البخاري⁷. وقد استوفى السلف الكلام في معنى هذه الأحرف هل هي القراءات أو غيرها؟ وإن كانت، هل هي الموجودة في المصحف الذي يقرأ به أو لا؟

ج. مقرأ الإمام نافع: كان الغالب على أهل المغرب قراءة حمزة ثم اشتهرت لديهم قراءة نافع برواية ورش، والإمام نافع هو أحد القراء السبعة ومن شيوخ الإمام مالك توفي سنة 169 هجرية وقراءته هي قراءة أهل المدينة أخذ القراءة عن نحو سبعين من تابعي أهل المدينة من أشهر تلاميذه (ورش و قالون)، وقد اشتهر بالمغرب رواية ورش عن طريق الأزرق، واصطلح القراء على أن يسموا القراءة للإمام والرواية للآخذ عنه والطريق للآخذ عن الراوي فيقال مثلاً: قراءة نافع- رواية ورش- طريق الأزرق- وعن طريق أبي عمرو الداني اعتمدت قراءة نافع بالمغرب واختارها ابن بري دفين تازة صاحب أرجوزة "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع" قائلاً:

7- متفق عليه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولفظه: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه) الجامع الصغير للسيوطي الجزء الأول صفحة 100 طبعة دار الكتب العلمية.

سلكت في ذاك طريق الداني إذ كان ذا حفظ وذا إتقان

ضرورة الحفاظ على نظام الكتاتيب مع تطويره

استطاعت مؤسسة الكتاب أن تصمد منذ استتباب الإسلام بالمغرب، سواء في شكل (مسيد) أو (دار فقيهة) فوفرت حفظ القرآن الكريم للذكور والإناث والتربية الأساسية المتمثلة في القيم الخلقية الإسلامية التي انعكست على الأسرة والمجتمع والدولة كما هيأت تعليماً أولاً إجبارياً منسجماً فيه القراءة والكتابة والإلمام ببعض المتون والمعارف يتيح الالتحاق بجامعة القرويين ومثيلاتها من معاهد التعليم العتيق. وإن الحفاظ على الهوية المغربية والأصالة الوطنية والمقومات المميزة يفترض التشبث بمؤسسة الكتاتيب القرآنية مع تطويرها ودعمها بالمستجدات التربوية، بل بمحاولة انتهاز بعض أساليبها الناجعة في مدارس التعليم الأولي الحديثة لتأصيلها ومقاومة الاستلاب، فاعتماد القرآن الكريم لا بد منه في التعليم الوطني كله ليكون أول ما يتلقاه الطفل في تعليمه الأولي تحفيظاً وفهماً وتدبراً وسلوكاً، ونعم الزاد القرآن الكريم في رحلة الحياة، فعلينا أن نبني جسور التواصل بين التعليم الأولي الحديث وبين دور القرآن والكتاتيب سعياً إلى كل من الأصالة والتحديث معاً، ولا يفوتنا التنويه بالمبادرة الملكية بصدور الظهير الشريف بإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية فهي مؤشر على التجاوب مع مشاعر الأمة في تأصيل التعليم الأولي والتمسك بالمقدسات.

الفصل الأول: الوقف في القرآن الكريم

المغاربة نزاعون إلى الوحدة بطبيعتهم فَهُمُ في الفقه على مذهب مالك، وفي العقيدة على مذهب الأشعري وفي القراءات على قراءة نافع برواية ورش وفي الوقف على مذهب الهبطي. فما معنى الوقف في القرآن؟ ومن هو الإمام الهبطي؟ وما وقفه؟

الوقف في القرآن: مما يجب تعلمه ولا يجوز جهله، فقارئ القرآن قد يقف أحياناً على ما يخل بالمعنى، وهو لا يدري أو يتدبّر بما لا ينبغي الابتداء به. وغذا اضطر إلى غير ذلك فإن عليه حينئذ أن يعالج أمره بأن يرجع كلمة أو أكثر إلى موضع يجوز الابتداء به فيستأنف قراءته بادئاً به ومنتهياً بجملة تفيد معنى يجوز الوقوف عليه، وقد قالوا في تعريف الوقف والابتداء مايلي:

قال أبو حيان في شرح التسهيل: "الوقف هو قطع النطق آخر اللفظ وهو مجاز من قطع السكين" وفي اصطلاح القراء: "هو قطع الصوت آخر الكلمة زماناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله. وإن لم ينو القراءة فهو القطع" أما الابتداء فهو الشروع في الكلام بعد قطع أو وقف، فهو لا يكون إلا اختيارياً، بخلاف الوقف يكون اختيارياً واضطرابياً كما قال السيوطي، ومن ثم يجوز للقارئ أن يتدبّر بعد قطع متى شاء وبعد وقفة التنفس مباشرة أو قبلها حسبما تقتضيه محاسن الابتداء لأن الابتداء له محاسن كمحاسن الوقف.

ومن الآثار الدالة على وجوب معرفة الوقف والابتداء ما أخرجه البيهقي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه يقول: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ولقد رأينا اليوم رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه"⁸ ومنها قول علي -كرم الله وجهه- كما في الاتقان: "وعن علي في قوله تعالى: ورتل القرآن ترتيلاً: الترتيل

8- الإتقان للسيوطي الجزء الأول صفحة 83 (النوع الثامن والعشرون في معرفة الوقف والابتداء) طبعة المكتبة الثقافية بيروت.

تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"⁹. قال بن الجزري في النشر " في كلام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلم الوقف والابتداء ومعرفته وفي كلام ابن عمر برهان على أن تعلمه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة وإمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين وصاحبه الإمام نافع بن أبي نعيم وأبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وعاصم بن أبي النجود وهم من القراء العشرة وغيرهم من الأئمة وكلامهم في ذلك معروف... ومن ثم اشترطه أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء، وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف، ويشيرون إلينا فيه بالأصابع سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين رحمة الله عليهم أجمعين"¹⁰.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مقدار الوقف هو مقدار ما يشرب الشربة من الماء، وقيل: بل مقدار ما يقول: أعوذ بالله من النار ثلاث مرات أو سبع مرات.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ مراعاة الفواصل والوقف على رؤوس الآي، روى أبو داود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قرأ القرآن قطع قراءته آية، آية يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم يقف الحمد لله رب العالمين، ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف... " وقد اعتمد ذلك جماعة منهم أبو عمرو البصري، وقالوا الأفضل الوقوف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها واتباع هدي رسول الله ﷺ. وسماه بعضهم الوقف السني في مقابلة الوقف الأدائي الاجتهادي. قال الدكتور الحسن وكاك في تحقيقه لكتاب "تقييد وقف القرآن الكريم للشيخ الهبطي" مانصه: "...وعلى هذا فالوقف على رؤوس الآي ليس سنة راتبة ثابتة كما يظن ذلك شراح الشمائل والشيخ الألباني ومن ثم فلا

9- المصدر السابق نفس الصفحة والجزء.

10- الإتقان للسيوطي جزء 1 صفحة 83 ببعض التصرف.

لوم على من خالفه من القراء السبعة والشيخ الهبطي على أن القراء الذين كانوا يراعون محاسن الوقف بحسب المعنى لم يلزموا أحداً بما رسموه لذلك من القواعد وعينوه من الأماكن ولم يثبت عن أحد منهم النهي عن تعمد رؤوس الآي في الوقف، بل الثابت عن غالبهم جواز الوقف على رؤوس الآي والابتداء بما بعدها جوازاً مطلقاً...¹¹ ثم قال: "وبناء على ماتقدم نعلم أن الأخذ بالوقف السني والأدائي معاً جائز مع اعتبار الأخذ السني أفضل وأنه لا حرج على من ترك من القراء الوقف على رؤوس الآي إلى محل التمام...".

القطع والوقف والسكت: المتقدمون لا يبالون بأي فرق بينها في الإطلاق في مجال القراءة أما المتأخرون فلاحظوا الفوارق الدقيقة بين مدلولاتها فأفردوا لكل لفظة منها معنى خاصاً. قال السيوطي تبعاً لابن الجزري "القطع عند المتأخرين وغيرهم من المحققين عبارة عن قطع القراءة رأساً فهو كالانتهاء والإعراض عن القراءة إلى حالة أخرى وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على أواخر السور على رؤوس الآية لأن رؤوس الآية نفسها مقاطع" وقال في تعريف الوقف "الوقف عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زماناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله" ثم قال "وأما السكت فهو عبارة عن قطع الصوت زماناً هو دون زمان الوقف عادة من غير تنفس"¹².

– **أقسام الوقف:** يقول أبو الحسن علي النوري التونسي في كتابه (تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين) "ها أنت قد رأيت اختلاف العلماء شديداً في أقسام الوقف ومراتبه فمنهم من أطنب وأكثر فجعلها 8 أقسام... ومنهم من أجحف

11- **تقييد وقف القرآن الكريم** للشيخ الهبطي تحقيق الدكتور الحسن وكاك صفحة 61 من المبحث الثالث في بيان ماهو الأفضل من الوقفين هل هو السني أم الأدائي مع بيان جوازهما معاً.

12- **الإتقان للسيوطي** الجزء الأول صفحة 87-88.

وقصر فجعلها قسمين هما:

تام وقبيح وبعضهم توسط وحرر وأمعن النظر وتدبر فجعلها أربعة أقسام تام وكاف وحسن وقبيح... وليس هذا خلافاً في الحقيقة بل لكل مصطلح مشى عليه والمختار عندي تبعاً للداني وابن الجزري وغيرهما أنها أربعة أقسام...¹³ ومن المعلوم أن الشيخ الهبطي لم يتعرض في تقييده لبيان أي شيء من هذه المراتب ولكن يتضح لمن تتبع وقفاته أنه كان يراعي ولاشك في وضعها هذه المراتب وإن كان لم يشر إلى ذلك.

وعليه فالوقف نوعان:

الأول: وقف اضطراري وهو ما اضطر إليه بسبب ضيق النفس ونحوه كعجز ونسيان فعلى القارئ وصله بعد أن يزول سببه وذلك بأن يبدأ من الكلمة التي وقف عليها إن صلحت للابتداء بها وإلا ابتداء بعد وقف صالح مما قبلها.

الثاني: وقف اختياري وهو ما قصد بذاته من غير عروض سبب من الأسباب فهو مما يختاره القارئ ويقصده للاستراحة والتنفس. وهذا القسم الثاني هو المقصود بالحديث عن الوقف وهو مناط التقسيم الرباعي السالف الذكر، وهو كما يلي:

1- الوقف التام: وهو الوقف على كلام لا تعلق له بما بعده لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى والتام نفسه يتفاوت في درجة تمامه ما بين تام وأتم، والأتم أدخل في كمال المعنى من التام، لأن التام قد يكون له تعلق بما بعده على احتمال مرجوح، أو يكون بعده كلام فيه تنبيه وحث على النظر في

13- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين للشيخ علي النوري التونسي صفحة 130.

عواقب ماسبق، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصحين وبالليل أفلأ تعقلون﴾¹⁴ حيث الوقف على (وبالليل) تام وعلى (أفلأ تعقلون) أتم.

وبالجملة فإن الوقف التام يتحقق تحقيقاً ثابتاً في بعض المواضع منها كما ذكر السيوطي - آخر كل قصة، وما قبل أولها وآخر كل سورة، وقبل ياء النداء، وقبل فعل الأمر والقسم ولامه دون القول، والشرط ما لم يتقدم جوابه.

2- الوقف الكافي: وهو الوقف على كلام لا تعلق له بما بعده من جهة اللفظ لكن له تعلق به من جهة المعنى، ومعنى (لا تعلق له بما بعده من جهة اللفظ) أنه لم يفصل فيه بين المبتدأ وخبره ولا بين النعت ومنعوته ولا بين المستثنى والمستثنى منه ولا بين التمييز ومميزه ولا بين الفاعل وفعله ونحو ذلك، وأما كونه له تعلق به من جهة المعنى فكأن يكون الكلام الذي جاء بعده تماماً لقصة أو وعد أو وعيد أو حكم أو احتجاج أو إنكار.

واستدلوا على جواز هذا الوقف بما جاء في صحيح البخاري بالسند المتصل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لي النبي ﷺ اقرأ علي القرآن قلت اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فأني أحب أن أسمع من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾"¹⁵ قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان" فهذا قطع وهو أبلغ من الوقف، وقد أمر به الرسول عليه السلام مع أن معنى الآية لا يتم إلا بما بعده وهو قوله تعالى: ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً﴾"¹⁶ قال السيوطي: "ويدخل تحت هذا الوقف كل رأس آية بعدها لام وإلا بمعنى لكن - يعني الاستثناء المنقطع -

14- سورة الصافات، الآيتان: 137-138.

15- سورة النساء، الآية 41.

16- سورة النساء، الآية 42.

وإن المشددة المكسورة والاستفهام، وبل، وألا المخففة، والسين وسوف ونعم وبئس وكيلا ما لم يتقدمهن قول وقسم...¹⁷.

3-الوقف الحسن: عرفه السيوطي بأنه "الذي يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به لفظاً ومعنى"¹⁸ ومثاله الوقف على (الحمد لله) فإنه أفاد معنى بذاته، لذلك فإن الوقف عليه حسن لكن لا يحسن الابتداء بما بعده لأنه صفة له، فلا يحسن الابتداء ب (رب العالمين) لأنه مجرور حيث هو نعت لما قبله فيترتب عليه الفصل بين النعت ومنعوته، والبدء بمجرور والأصل أن يتبدى بمرفوع، لأن المجرور لا بد من ذكر عامله معه.

4-الوقف القبيح: وعرفه السيوطي بأنه الذي لا يفهم المراد منه، وذلك كأن يقرأ سورة الفاتحة فيقول (الحمد) ويقف فإنه لم يفد معنى، أو يفصل بين المضاف والمضاف إليه كأن يقف على (رب) دون (العالمين) فذلك قبيح أيضاً لأن المضاف والمضاف إليه كشيء واحد، وأقبح منه الوقف الذي يفسد المعنى كأن يقف على قوله تعالى (قالوا) من قوله سبحانه ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَاذِبُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾¹⁹ لأن الابتداء بما بعد (قالوا) يؤدي إلى إثبات ماهو كفر، لذلك قال السيوطي: من تعمده وقصد معناه فقد كفر، ومنه الوقف على (ويل للمصلين) مع أنه رأس آية، ولا يدخل في ذلك من اضطر إلى الوقف بسبب انقطاع النفس أو نسيان أو نحوه فإن على القارئ أن يرجع إلى موضع يجوز الابتداء به وصولاً إلى موضع يجوز الوقف عليه. وليس لكل واحد من الناس أن يحدد مواضع الوقف والابتداء بل ينبغي توفر شروط في من يقوم بذلك منها:

17- الإتقان للسيوطي الجزء الأول صفحة 84.

18- نفسه.

19- سورة المائدة الآية 17 - وكذلك الآية 72 من نفس السورة.

- العلم بالنحو: فمعرفة به تجعله لا يقف على العامل دون المعمول، ولا على المعمول دون العامل، ولا على الموصول دون صلته ولا على المتبوع دون تابعه، ولا على الحكاية دون المحكي، ولا على القسم دون المقسم به، مما لا يتم به المعنى.

- العلم بالقراءات: لأن الوقف قد يكون تاماً على قراءة غير تام على قراءة أخرى.

- العلم بالتفسير: لأن الوقف قد يكون تاماً على تفسير معين غير تام على تفسير آخر.

- العلم بالقصص: حتى لا يقطع قبل تمام قصة.

- العلم باللغة: التي نزل عليها القرآن.

هذه الشروط اشترطها ابن مجاهد ونقلها عنه السيوطي موجزة.

الفصل الثاني: أبو عبد الله الهبطي

اختص المغاربة بوقف قرآني خاص وضعه الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي المتوفى سنة (930 هجرية/1524 ميلادية) وهو الوقف الذي لا يزال شائعاً إلى اليوم.

ويعتبر العصر الوطاسي الذي نشأ فيه الهبطي عصر علوم القرآن، فقلما نجد عالماً فيه لا يحسن علم القراءات، بل صار هذا العلم مادة أساسية في برنامج المدرسة المغربية، كان هناك كرسي للتيسير لأبي عمرو الداني والشاطبية، وأوقاف ومرتبات لل سبع والعشر لا ينالها إلا العاملون البارزون، ولقيت علوم القرآن تشجيعاً كبيراً من ملوك العصر.

وقد ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري في مدشر أهباطة من قبيلة سماتة إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب وتعلم على عادة أبناء البادية في الكتاب فحفظ القرآن، وكانت مدينة القصر الكبير -وقتئذ- من أهم المراكز الثقافية، ولا بد أنه درس بها، وألم بشيء من علوم القراءات ثم رحل إلى فاس، واستكمل بها شخصيته العلمية، وهناك التقى بشيخه الإمام أبي عبد الله ابن غازي الذي انتهت إليه الرئاسة في علوم عصره تدريجاً وتصنيفاً، وكان إماماً وخطيباً بجامع القرويين، وتوفي شهيداً سنة 919 هجرية ودفن بضرريحه المعروف بفاس. وقد خلف مؤلفات في مجالات متعددة منها علوم القرآن، وأرجوزته : (تفصيل عقد الدرر في طرق نافع العشر) معروفة، لخص فيها كتاب (التعريف) للإمام الحافظ أبي عمرو الداني وأخذ زبدته وأضاف إليها إضافة ذات أهمية، مما جعل الفرع يفوق أصله، وقد نظم ابن غازي أرجوزته سنة 891 هجرية وأبياتها مائة وتسعة وأربعون بيتاً، وقد شرحها جماعة، ومما يدل على تأثير ابن غازي في وقف الهبطي ما قاله الدكتور وكاك : "وإذا ثبت أن من بين مواد منهاج مدرسة ابن غازي مادة التدريب على أوقاف القرآن وثبت أن الشيخ الهبطي من تلامذة ابن غازي عرفنا أن الذي سهل على الهبطي تقييد الوقف المعهود لدينا هو تدريبه على محاسن الوقف والابتداء بين يدي شيخه ابن غازي، وأنه ولا شك، متأثر به في تقييده هذا، فالفضل إذن يرجع إلى ابن غازي فيما يخص رسم الخطوط العريضة لتقييد الوقف بالمغرب، كما يرجع الفضل إلى الشيخ الهبطي فيما يخص إبراز صورة هذا التقييد على شكله الحالي للقراء"²⁰.

ويجب التمييز بين الهبطي صاحب وقف القرآن وبين عالمين هبطيين

20- تقييد وقف القرآن الكريم للشيخ الهبطي، تحقيق الدكتور الحسن وكاك، صفحة 39 في مبحث تحقيق نسبه هذا التقييد إلى الهبطي مع ذكر من تأثر بهم من الشيوخ في وضعه.

مشهورين ترجم لهما القادري في كتابه (نشر المثاني)، ولكن الذي خلص إليه الأكثر هو أن مترجمنا هو المتوفى سنة 930 هجرية المدفون بروضة الهزميري بفاس الأندلس رأس القليعة.

ورغم شهرة الإمام الهبطي في أوساط قراء المغرب باسمه ووقفه، فلم تتوسع المصادر في ترجمته، وإنما تكتفي بذكر شيخه ابن غازي، وتلميذه ابن عدة الأندلسي والشيخ السنوسي ولا بذكر من آثاره إلا هذا الوقف الموجود بين أيدي الناس، وهو العنوان البارز للمصحف المغربي والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية المغربية كما قال الدكتور محمد حجي في كتابه (الحركة الفكرية بالمغرب أيام السعديين).

– **الوقف قبل الهبطي:** القراءة المتبعة في المغرب منذ صدر المائة الرابعة من الهجرة هي قراءة نافع برواية ورش من طريق أبي يعقوب يوسف الأزرق المصري، وقد التزم المغاربة بهذه القراءة وضبطوها وأتقنوا أصولها وأصول غيرها من القراءات المروية بالتواتر. ولم يكن الوقف راجعاً عندهم إلى الرواية اللازمة بل إلى الاجتهاد الجائز، فالمغاربة قبل الهبطي كانوا يقفون كما يقف غيرهم، كل حسب اجتهاده واختياره، فمنهم من يقف على رؤوس الآي لكونها فواصل القرآن، ومنهم من يقف على حسب تمام المعنى أو الإعراب دون التزام حرفي لأماكن الوقف. وهذا ظاهر ماتدل عليه الكتب الموضوعية في فن الوقف والابتداء، يقول ابن الجزري في النشر:

وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ما له سبب

وألف في الوقف كثيرون قبل الهبطي من بينهم أبو حاتم السجستاني وأبو جعفر النحاس والزجاج وأبو سعيد السيرافي وأبو بكر الأنباري وأبو عمرو الداني وآخرون.

مذهب الهبطي في الوقف: بالإضافة إلى ما درج عليه السلف من الوقوف على رؤوس الآي، بنى الهبطي مذهبه في الوقف على مراعاة الإعراب والمعنى معاً، أو مراعاة الإعراب دون المعنى، أو مراعاة المعنى دون الإعراب، وهو في كل يخضع لنكت مستوحاة من التفسير أو من الفقه والتشريع، أو لوجه من وجوه القراءات، أو لأسرار أخرى. والوقف عنده أقسام:

- قسم وافق فيه غيره كالدايني و ابن الانباري وغيرهما، وهو أكثر وقفه.
- قسم تركه ولم يعتمد لترجيح أدلة الوصل عنده ولأنه الأصل والوقف طارئ.
- قسم انفرد به، ولم يوافق فيه أحداً ممن سبقوه.

وكانت هناك دواع وأسباب حتمت على الهبطي المبادرة إلى تقييد وقفه منها ما كان عليه الناس من انحراف في التلاوة وخطأ في الأداء يقفون على غير ما ينبغي الوقف عليه، ويصلون ما لا يجوز وصله، فيفسد المعنى، ومنها القراءة الجماعية للقرآن مما يقتضي توحيد مواضع الوقف والابتداء تفادياً للخلط، ومنها صناعة الإرداف في القراءات السبع أو العشر، مما جعلهم يحرون الوصل مجرى الوقف ويقفون وقوف اختلاس، فرأى أبو عبد الله الهبطي أن يضع لهم هذا الوقف وأن يحدده لهم في تقييد لقي قبولاً واستحساناً في المغرب، ولم يسع الناس إلا التسليم به، رغم انتقادات بعض المنتقدين وأصبحت المصاحف تحمل الوقف والوصل، وعندما نرجع إلى المصاحف القديمة لا نجد أي علامة تدل على الوقف، وإنما الموجود بها علامة رؤوس الآي.

ومما يدل على حرص الإمام الهبطي على التقييد بوقفه، وأنه كان يخضع فيه إلى مدارك دقيقة يلتزم بها، قصته مع الإمام السنوسي الذي كان ديدنه (الحكمة ضالة المؤمن) يأخذ العلم أنى وجدته، فعندما التقى بالشيخ الهبطي سأله أن يقرأ

عليه القرآن بوقفه فأجابه إلى ذلك، وقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾²¹ من سورة يونس، فوقف الشيخ السنوسي على (لكم) فأبى الشيخ الهبطي الوقف عليها، ثم عاد السنوسي فأبى إلا الوقف عليها فمنعه الهبطي إلى آخر الحكاية... ففي ذلك مدرك دقيق يدل على توحي الوقف على تمام المعنى.

- **متن تقييد وقف الهبطي:** تقييد وقف الهبطي يقصد به هذا المخطوط الذي اعتمده المغاربة في الوقف منذ ما يقرب من خمسمائة سنة، و هو مخطوط يشتمل على الكلمات التي جردها الشيخ الهبطي أو أحد تلامذته عن إذه من المصحف الكريم لغرض تعيين وتقييد أماكن الوقف في المصحف المغربي بواسطة تجريد الكلمة الموقوفة منه، وهذا الشكل هو أحد الأشكال المعروفة للوقف بالمغرب، ولعله الشكل الأول لتقييد وقف الهبطي قبل أن يضع بعض القراء المغاربة علامة (صه) رمزاً لتقييد أماكن الوقف في الألواح والمصاحف بعد الشيخ الهبطي، وقد قام بتحقيق هذا المتن وإنجاز دراسة عنه الاستاذ الحسن أحمد وكاك في رسالة جامعية بدار الحديث الحسنية جمعت بين التحقيق و النقد.

وقد اختلفت نسخ هذا التقييد ما بين زيادة و نقصان، فمنها ما فيه زيادة على الكلمات الموقوفة، أسماء السور، وكونها مكية أو مدنية، والتنصيص على مواضع الأحزاب، والأنصاف والأرباع والأثمان، ومنها ما هو مجرد من كل ذلك، وكأن الشيخ كان يملئ على طلبته هذه الوقوف ويبين لهم وجه الوقف عليها، وربما ذكر الحجة في ذلك، وهم يدونون في مذكراتهم. وكان من المنتظر بعد هذا الإقبال على وقف الهبطي في الداخل والخارج، أن يحظى بشروح كثيرة وتعليقات تتناسب وحجم صداه، ولكن لم يفعل ذلك إلا قليل من العلماء،

وماكتبه هذا القليل مع قلته مفقود، و قد يكون عزوف الناس عن الاشتغال بهذا، سببه كما قال الأستاذ وكاك - تأثير القصة التي ذكرها ابن عبد السلام الفاسي سماعاً عن شيخه عبد الرحمن المنجرة، ومضمون هذه القصة يفيد أن وقف الهبطي كله صحيح موافق لما في اللوح المحفوظ وأن تأثيرها في القراء هو السبب في انتشار وقف الهبطي في المغرب و في تهييب القراء كل كلام حوله.

ومن الذين كتبوا عن وقف الهبطي وتتبعوا مواضع الضعف فيه أبو عبد الله المهدي الفاسي في كتابه (الدرة الغراء في وقف القراء) وبعده الأستاذ المقرئ محمد عبد السلام الفاسي في فصول متعددة من كتابه (المحاذي)، وعنوانه الكامل: (إتحاف الأخ الأود المتداني بمحاذي حرز الأمان ووجه التهاني) وبعده الملك مولاي سليمان العلوي في رسائل انتقد فيها مواضع من وقف الهبطي، ووافقه عليها علماء عصره، ولعله كان يميل إلى الوقف السني، وبعده الشيخ أحمد بن عبد العزيز السجلماسي في رسالة سماها (عرف الند في أحكام المد) ثم جاء بعدهم آخرون.

ومن الذين دافعوا عن وقف الهبطي واستحسنوه صاحب الرسالة (هز السيف على من أنكر الوقف) وهو سوسي من هشتوكة، والشيخ حسن البعقلي في مخطوط له سماه (إتحاف المتحزين) وآخرون.

ويتميز وقف الهبطي عن غيره بميزات ثلاث كما قال الأستاذ وكاك:

أولاً: التحام مراحلها بالتلاوة المغربية حتى إنه أصبح جزءاً منها لا يتجزأ حيث أصبحت لا تعرف للقارئ إلا بمقاطع وقف الهبطي، كما أصبحت علامة (صه) قاعدة جديدة مضافة إلى قواعد الرسم والضبط في الألواح والمصاحف المغربية، وقد كانت هذه العلامة فور ظهورها مرفوضة من بعض القراء واعتبروها زائدة، ثم ما لبثت أن انتشرت واشتهرت واندجت مع قواعد الضبط

في المصحف المغربي.

ثانياً: كون هذا التقييد لازماً بعد أن التزم به الخاص والعام من قراء المغرب، وكل الذين ألفوا في الوقف قبله إنما بحثوا في صلاحية الكلمات القرآنية للوقف أو عدم صلاحيتها له ثم تركوا الاختيار للقارئ يقف حيث اختار من المقاطع الصالحة، ولعل تقييد وقف الهبطي نفسه قبل أن يلتزم به قراء المغرب كان من هذا القبيل، والظن بالشيخ الهبطي أنه لا يلزم أحداً إسوة بشيخه ابن غازي، والظاهر أن القراء بعد الهبطي هم الذين اختاروا وقفه والتزموا به واقتصروا عليه.

ثالثاً: ينفرد تقييد وقف الهبطي بكون الرمز الذي اقتصر عليه وهو علامة (صه) رمزاً قاصراً عن تحقيق ما حققته الرموز المحدثه اليوم كبيان مراتب الوقف زيادة عن تقييد أماكنه، ذلك لأن علامة (صه) لاتفيد أكثر من (أسكت هنا) والأمر للقارئ بالسكوت دون إرشاده إلى مراتب الوقوف برموز مرنة مما يفوت عليه الغرض المقصود من تقييد الوقف وهو الترتيل المطلوب شرعاً و أداءً.

وقد نظم بعضهم عدد وقفات الهبطي فقال:

عدد وقف الهبطي عند المقرئين عشرة آلاف أقل ستين

ونصفه والجلود يا تال هذا هو الصحيح في الأقوال

ومعنى ذلك أن تقييد وقف الهبطي يضم عشرة آلاف وقفة وأن نصف هذا العدد ينتهي عند قوله تعالى: ﴿وَالْجُلُودَ وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾²². وقد قام الشيخ محمد بن إبراهيم السوسي البعقلي الملقب بـ: (أعجلي) بإحصاء هذه الوقفات وترتيبها على الحروف الهجائية فكان عدد ما أسفر عنه إحصاؤه متفقاً

22 - سورة الحج، الآيةان: 20-21.

مع ما ورد في البيتين وهو 9945 وقفة بزيادة خمس وقفات هي الوقفات الخمس في سورة المؤمنون، وبما في ذلك أواخر السور.

انتقادات على وقف الهبطي: تصدى أغلب الذين تكلموا في وقف الهبطي لبعض الوقفات الضعيفة من تقييده، وقد لاحظ الأستاذ وكاك أن نقدهم في الغالب معيب إما لعدم استقصائه وإما لكون أحكامه غير مشروحة وغير معللة بقواعد الفن واصطلاحات أهله، بالإضافة إلى اتسام نقدهم بروح الدفاع عن الشيخ الهبطي والتماس العذر له.

ومن صور انتقاد وقف الهبطي بدون تعليل ما ذكره الأستاذ عبد الله الجراري عن شيخ الجماعة أبي شعيب الدكالي الذي قال: "أيها الطلبة الراغبون في فهم القراءة وأحكام القرآن أن الشيخ الهبطي ارتكب غلطاً بل أغلاطاً في الوقف تقديماً وتأخيراً، وبالأخص ما يسطر تحته من الوقفات التالية، فالمرجو حفظه أو على الأقل تقييده ونشره ليكون نبراساً لمن يرغب فيه"، ثم ذكر أوقاف الهبطي على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هَـذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾²³ وعلى قوله تعالى: ﴿الْحَرِّ الْقِيَوْمِ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾²⁴ وعلى قوله تعالى: ﴿مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾²⁵ وعلى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾²⁶ وعلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانٍ مِائَةٍ كُلِّ مِائَةٍ﴾²⁷ وعلى قوله تعالى: ﴿إِلَهُ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾²⁸ وعلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾²⁹ إلى آخر ما ذكر دون أن يبين وجه ضعف الوقف في تلك الأماكن.

23- سورة البقرة، الآية 2.

24- سورة البقرة، الآية 255.

25- سورة المائدة، الآية 64.

26- سورة المائدة، الآيتان 31-32.

27- سورة الكهف، الآية 22.

28- سورة طه، الآية 8.

29- سورة الكهف، الآية 63.

وقد أشار الشيخ عبد الرحمن الفاسي صاحب الأقتوم في منظومته إلى ضعف بعض الوقفات عند الهبطي وترجيح الوصل فيها فقال:

وجاء في الوقف به ما يحتمل الوصل بالترجيح فيه إن وصل

ومن أمثلة ما تأباه قواعد الإعراب من وقفاته إلا بتكلف قوله تعالى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجمون﴾³⁰ وقوله: ﴿عم يتساءلون﴾³¹ وقوله: ﴿كماء أنزلناه من السماء فاختره به نبات الأرض﴾³².

ومن أمثلة ما يرفضه جمال المعنى من وقفاته قوله: ﴿لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾³³ وقوله: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾³⁴

ومن أمثلة ما يتعارض مع جرس الفواصل من وقفاته قوله تعالى: ﴿ميصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب﴾³⁵ وقوله: ﴿ذو العرش المجيد فعال لما يريد﴾³⁶.

انتقادات الأستاذ وكاك على وقف الهبطي: في تحقيقه لنص متن التقييد وتعليقه على ما ضعف منه، ذكر الأستاذ الحسن وكاك أن غرضه هو إبطال ما اعتقده قراء المغرب من لزوم الوقف أو الوصل على كل ما وقفه أو وصله الشيخ الهبطي، وأن ما أورده من نقد لا يقصد به الحصر أو الاستقصاء لما هو ضعيف عنده، وإنما ساق أمثلة و نماذج يقاس عليها غيرها.

ونكتفي بما عقب به على سورة الفاتحة، فقد وقف الشيخ الهبطي على آخر

30- سورة الذاريات، آية 17.

31- سورة النبأ، الآية 1.

32- سورة يونس، الآية 24.

33- سورة يوسف، الآية 92.

34- سورة الأنعام، الآية 109.

35- سورة المسد، الأيتان 3-4.

36- سورة البروج، الأيتان 15-16.

سورة الفاتحة كما وقف على آخر كل سورة من القرآن الكريم، ولعله لاحظ فيه كونه محل التمام، ولا أتم من أواخر السور، إلا أن هذا يخالف ما التزم به المغاربة من الترتيل بطريق الأزرق عن ورش الذي لا يقف في أواخر السور، بل يسكت أو يصل، وعلى هذا فلا ينبغي أن يعد أواخر السور محلاً للوقف إلا على شرط أن يشمل بعده.

كذلك انتقد الأستاذ وكاك اقتصار الشيخ الهبطي في أوقاف الفاتحة على ما كانت مرتبته التمام، ووصل غير ذلك، وهذا مخالف لمنهجه في كل سور القرآن الأخرى حيث كان يقف على أماكن التمام وأماكن الكفاية وأماكن الحسن بل وأماكن القبح أحياناً فقد وصل أربعة مواضع ضعيفة هي (العالمين - الرحيم - المستقيم - أنعمت عليهم) مع أن الوقف عليها صحيح وجائز عند أهل الأداء لأنها رؤوس الآي وفواصل القرآن ولعل الشيخ الهبطي رحمه الله وصل هذه المواضع لكونه نظر إلى ما بعدها وارتباطه بما قبلها لفظاً ومعنى، فما بعدها كله توابع، بعضه نعت وبعضه بدل، ووصل التوابع أولى من قطعها إذا كانت أسماء مفردة كما يقول ابن جزري في التسهيل، ومع ذلك يقول الأستاذ وكاك - غرضنا إثبات جواز الوقف عليها مع مراعاة جواز وصلها أيضاً حتى يرتفع الحرج على الذين يظنون من قراء المغرب أن كل ما وقفه الهبطي أو وصله لازم لا يجوز الخروج عنه قيد أمثلة.

وقد عقب الأستاذ وكاك على كل سورة سورة من سور القرآن الكريم مبيناً الأماكن الضعيفة من تقييد الشيخ الهبطي ومعللاً ذلك مستأنساً بما رسمه الإمام الداني و الشيخ ابن عبد السلام الفاسي وغيرهما في حدود معينة.

وإذا كنا نقر منهج الأستاذ وكاك في سحب صفة القداسة عن وقف الشيخ الهبطي باعتباره عملاً بشرياً يخطئ ويصيب، وأنه من الخطأ ما ينسب إليه البعض

من أنه موافق لما في اللوح المحفوظ، فإن من الخطأ كذلك الغلو والمجازفة في النقد لأن وقف المهبطي منذ ما يقرب من خمسة قرون كفيل للمغرب وحده التلاوة الجماعية والفردية للقرآن الكريم والتواطؤ على الوصل والوقف في مواضعهما في المصاحف والألواح، أثابه الله تعالى على عمله الجليل ووفقنا جميعاً لخدمة الترتيل والاستعداد ليوم الرحيل.

وقف الإمام الهبطي عند المغاربة وتباين مواقف بعض العلماء منه

أحمد البوشيخي

أستاذ بالمعهد التربوي الجهوي بمراكش

تقديم

نحمد الله تعالى ونشكره على ما منّ به علينا من نعمة الإيمان، وخصنا به من إنزال القرآن، فهو القرآن العظيم، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو كلام الله الذي لا يشبهه كلام ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، مكتوب في اللوح المحفوظ وفي المصاحف، محفوظ في الصدور، متلو بالألسن، ميسر للتعلّم والتدبر، ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر¹﴾، وإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا في هذا العصر في هذا البلد الأمين، تيسر الحصول على القرآن لمن طلبه، وتوفير المصاحف في المساجد والبيوت والمكاتب، وإذاعة تلاوته في القنوات المتخصصة، مثل إذاعة محمد السادس السمعية والقناة السادسة التلفزيونية، كل هذا من أعظم النعم على من وفقه الله لتعلم كتاب الله وسماعه والعمل به.

وقد اخترت أن أشارك في هذا اللقاء بمداخلة حول وقف الإمام الهبطي لما له من الأهمية عند المغاربة من قديم، وقبل الحديث عن هذا الوقف أقدم تعريفا موجزا بالإمام الهبطي.

■ الإمام الهبطي

جاء في سلوة الأنفاس: "هو الشيخ الإمام، العالم العلامة، الفقيه، الأستاذ، المقرئ، الكبير، النحوي، الفرضي، الشهير، الولي الصالح، والعالم الواضح، أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي منسوب لبلاد الهبط، السماقي، الفاسي، صاحب تقييد "وقف القرآن"، ولد في حدود القرن التاسع الهجري في مدشر أهباطة من قبيلة سماتة إحدى قبائل الجبل شمال المغرب.

قرأ الهبطي في الكتاب -على عادة أبناء البادية- فحفظ القرآن، وجوّده، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، حتى أصبح العالم العامل، المتبحر في علوم العربية، العارف بالقراءات ووجوهها، المرجوع إليه فيها، توفي سنة ثلاثين وتسعمائة (930هـ)، ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس².

أخذ عن الإمام ابن غازي، وعن شيخه أبي عبد الله الصغير، وقد اشتهر بمناظراته مع الشيخ السنوسي في الوقف وإقناعه له.

ولعل أبا عبد الله الهبطي أول واضع لوقف القرآن في المغرب، وقد تلقاه الناس بالقبول، ولا يزال العمل به إلى اليوم.

ولم يصلنا - فيما أعلم - من آثار الهبطي إلا هذا الوقف الموجود بين أيدي الناس، وهو العنوان البارز للمصحف المغربي والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية بالمغرب.

ولعل اهتمام الإمام الهبطي بتعليم القرآن، واشتغاله بتدريب الطلاب على النطق السليم والتلاوة الصحيحة، هو الذي دفع به إلى وضع هذا الكتاب، بحيث

2- محمد جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 2 ص 76.

يعرفون كيف يقفون؟ وأين يصلون؟ وما هي مواطن الوصل والوقف حتى لا يختل المعنى وتضيع الحكمة التي نزل من أجلها القرآن الكريم³.

يقول المدغري في تكميل المنافع:

واسلك طريق الهبطي في الأوقاف فإنه لصناعة الإرداف

سهل معين إذ به جرى العمل في غربنا ذا وبه الأداء حصل⁴

■ التعريف بالوقف

الوقف في اللغة: الحبس⁵. قال الجوهري⁶: أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه أي أقلعت. وحكى أبو عمرو⁷ ثم أوقف أي سكت. والوقف في القراءة: قطع الكلمة عما بعدها⁸، والموقف الموضع الذي تقف فيه.

وقد وردت مادة "وقف" في أربعة مواضع في القرآن؛ عند قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾⁹، وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾¹⁰، وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾¹¹، وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾¹²، وهذه المعاني تدل على الحبس وسكون الحركة، وكثر ورودها في الحديث النبوي¹³.

3- سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ص 177.

4- تقييد الوقف، ص. 127.

5- الجرجاني، التعريفات، ص. 274.

6- إسماعيل بن حماد الجوهري، يقوت معجم الأدباء، ص. 269/2.

7- أبو عمرو بن العلاء من أئمة اللغة البصريين توفي بالكوفة سنة 154هـ. (السيرافي، أخبار النحويين البصريين، 22).

8- السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص 22.

9- الصافات، الآية 24.

10- الأنعام، الآية 27.

11- الأنعام، الآية 30.

12- سبأ، الآية 31.

13- أبو عمرو الداني، المكتفى، ص 47، 48.

والوقف: فن جليل يعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على المواضع التي نص عليها القراء، لإتمام المعاني.

والوقف، والقطع، والسكت بمعنى واحد، وقيل:القطع عبارة عن قطع العبارة رأساً، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمناً ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس¹⁴.

يقول محقق المكتفى: "والناس مختلفون في تعيين مواضع الوقف، فمنهم من جعله على انتهاء التنفس، ومنهم من جعله على رؤوس الآي" والصواب يقول: "أنها تتعلق بالمعاني لأنها الأصل والأنفاس تابعة لها، فقد يأتي وقف في وسط الآية، والأغلب مجيئها في أواخرها"¹⁵.

ويقول سعيد أعراب: "ولا يقوم بهذا الفن إلا من له باع في العربية عارف بالقراءات والتفسير والفقه، عالم باللغات التي نزل بها القرآن"¹⁶.

والأصل فيه ما أخرجه أبو جعفر النحاس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لقد عشت برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فتتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته وخاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره، ولا ينبغي أن يوقف عنده"¹⁷.

يقول محقق المكتفى: "وأول من نعلم أنه ألف في الوقف والابتداء: شيبه بن نصاح

14- أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف والابتداء، ص 48.

15- المصدر نفسه، ص 48.

16- القراء والقراءات بالمغرب، 178-179.

17- لم أقف على هذا الحديث في مسند ابن عمر، ذكره سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، 178-179 ولم يخرج.

المدني الكوفي ت 130هـ¹⁸، قال ابن الجزري: "وهو أول من ألف في الوقوف"¹⁹.

وأغلب من ألف في الوقف والابتداء كانوا من القراء والنحويين.

مذاهب الوقف:

في الوقف مذاهب، لكل مذهب مغزاه ومبناه، إلا أن المعول والمعتمد هو مراعاة حسن الوقف والابتداء كما عند نافع، وهو مذهب جمهور القراء، ويرجع الاختلاف إلى مذهبين اثنين:

أحدهما: اعتماد كلمات هي رؤوس الآي.

والثاني: مراعاة كلمات يتم المعنى والإعراب عندها، أو الإعراب دون المعنى أو المعنى دون الإعراب، وعلى هذا المذهب بنى الهبطي وقفه فهو يراعي الإعراب والمعنى، ومن الدواعي التي دفعت الهبطي لوضع هذا الوقف: ما كان الناس عليه من انحراف في التلاوة، وخطأ في الأداء، يقفون على غير ما ينبغي الوقف عليه، ويصلون ما لا يجوز وصله، وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب، وبالعكس، فيفسد المعنى، ويضيع الذي نزل من أجله القرآن الكريم، وقد يضطر أحدهم فلا يدري كيف يقف؟ ولا أين؟ سيما وقد اشتهر بين الناس في هذا العصر، وقبله بأزمان صناعة الإرداف في القراءات، فيقفون وقوف اختلاس، ويجرون الوصل مجرى الوقف.

فرأى أبو عبد الله الهبطي أن يضع لهم هذا الوقف كمراحل يتزل المسافر بها، ويتجدد نشاطه من أجلها، فحدد المواضع التي يقف فيها القارئ يدفع النفس الحار، ويحلب النفس البارد، وبذلك يندفع عنه التعب والحر، وتقع له الاستراحة الداعية للوقف، ثم تُستأنف القراءة من بعد الكلمة الموقوف عليها،

18- المحقق، المكتفى، ص49.

19- ابن الجزري، غاية النهاية: 1/330.

إلى الموضع الذي يقف عليه ثانية، وهكذا إلى أن يقف وقوف انقطاع، وينتهي من القراءة²⁰.

على أن الوقف مما ينبغي تعلمه ولا يجوز للقارئ جهله، ولعل معنى قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾²¹ يدل صراحة على وجوب تعلم الوقف وتعليمه.

وإذا تساءلنا - كما تساءل من قبلنا - عن العوامل التي جعلت مذهب الإمام الهبطي في الوقف ينتشر بهذه السرعة داخل المغرب وخارجه، وقد كانت قبله مذاهب، وألفت في الوقف مؤلفات لم يلتزم الناس العمل بها، لا قديما ولا حديثا؟ بل عندما نرجع إلى المصاحف القديمة في المشرق والمغرب، لا نجد أي علامة على الوقف، وإنما الموجود بها علامة رؤوس الآي؟

يمكن الإجابة على كل تساؤل سابق أو لاحق بأن الروح المعنوية - والله أعلم - التي كان يتحلى بها الإمام الهبطي، والانتصارات التي سجلها على خصومه المناهضين له هي التي جعلت مذهبهم ينتصر، ويحمل طابع الخلود.

ولعل قصة السنوسي مع الهبطي، ومناظرته له في الوقف الذي اصطلح عليه، والتي لم يسع السنوسي إلا التسليم للشيخ الهبطي، كان سببا من أسباب إقبال الناس على ما قيد عنه من الوقف.

هذا بالإضافة إلى أمر هام ينبغي التركيز عليه، والتنويه به ألا وهو كون المغاربة نزاعين إلى الوحدة بطبيعتهم، مالكيين مذهباً، وأشعرين عقيدة، وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش، فغير بعيد أن يختاروا مذهب الهبطي في الوقف، وهو في الحقيقة مذهب إمامهم نافع، علما بأن الهبطي قد بنى مذهبهم في الوقف على مراعاة الإعراب والمعنى في الوقف كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

20- سعيد أعراب - القراء والقراءات بالمغرب، ص 181.

21- المزمّل، الآية 4.

وربما كان بعضه خاضعا لنكت في التفسير والبعض الآخر لمدارك في الفقه والتشريع، أو لوجه من وجوه القراءات، أو لأسرار وحكم أخرى قد لا يدركها القارئ العادي.

- وأما المذهب الثاني الذي اعتمد الوقف على رؤوس الآي فهو مذهب يتزع إلى الاتباع والالتزام بالوقف الذي كان عليه رسول الله ﷺ في قراءته حيث كان يقف على رؤوس الآي. واختاروا هذا المذهب للدفاع عن هذا الوقف، فكان أبو عمرو البصري من المدافعين على هذا المذهب الذي اعتمد رؤوس الآي، وكان يقول: "هو أحب إلي" واختاره البيهقي في شعب الإيمان وغيره من العلماء، وقالوا: "الأفضل الوقوف على رؤوس الآي، وإن تعلقت بما بعدها واتباع هدي رسول الله ﷺ واتباع سنته أولى، وكان أهل الزاوية الناصرية ممن اختاروا هذا المذهب اقتداء بإمامهم العالم السلفي أبي عبد الله الناصري.

▪ ذكر من كتب عن الوقف الهبطي مع تباين مواقف العلماء منه

لقد كان من الذين كتبوا عن الوقف الهبطي، واتبعوا مواضع الضعف فيه:

-أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي العالم الصوفي (ت 1109 هـ) الذي ألف في الوقف كتابه: "الدرة الفراء في وقف القراء". ومما ورد في مقدمته: "وكان مما قيد في ذلك عن الأستاذ المقرئ أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي على قراءة نافع، الذي جميع بلاد المغرب له فيه تابع، قد شاع في هذه البلاد..."²².

ومن الذين كتبوا عن الوقف الهبطي الباحث سعيد أعراب الذي أوضح في مقال مستفيض كثيرا من الأمور منها:

22- سعيد أعراب - القراء والقراءات بالمغرب، ص 185.

- صحة نسبة هذا التقييد إلى الهبطي، ولو لم يكن يعرف من الذي قيده من تلامذته.
ولقد أعطى الأستاذ سعيد أعراب أمثلة من الوقوف التي انتقدت ودافع عنها
ومنها:

وقوفه على الشرط دون الجواب في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾²³
والمعنى إنما يتم بذلك.

وأجيب بأن هذا من الوقف الكافي عند الهبطي على حذف جواب "لَمَّا"،
وتقديره: "طَفِئَتِ النَّارُ"، والسياق دال عليه، وذهاب النار لا يَعْنِي انطفاء النار
المستلزم عَدَمَ انتفاعهم بشيء من أعمالهم المراد من التشبيه، وعلى استئناف
جملة: ذهب الله بنورهم والضمير للمنافقين، وقد اختار هذا الوجه الزمخشري،
وناقشه فيه أبو حيان.

- وقوفه على السبب دون المسبب في قوله تعالى: ﴿رَزَقْنَا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أُنْدَادًا﴾²⁴ وأجيب بأن هذا أيضا من الوقف الكافي لتعلقه بما بعده إذ هو مسبب
عنه، وليس خبرا عن الذي، لما قاله بعض العلماء من أن صلته ماضية فلا
تدخل في خبره.

- وقوفه على المعطوف عليه دون المعطوف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُم﴾²⁵
وأجيب بأن هذا من الوقف الكافي فلا محذور فيه، قال ابن عبد السلام: "ولعله
نظر إلى أن الإمامة الأولى المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا﴾، والإحياء
الذي بعدها، والإمامة التي بعدها هي من عالم الدنيا، وأن الإحياء الذي للإمامة
الثانية هو مبدأ عالم الآخرة، فوقف بينهما لتغايرهما بهذا الاعتبار وقفًا كافيًا

23- البقرة، الآية 17.

24- البقرة الآية 22.

25- البقرة الآية 28.

للارتباط الذي بينهما".

- ومما انتقد عليه وقوفه عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَهُ الْوَلَدُ الْمَغْلُولُ﴾²⁶.

وكان من المتشددین في ذلك عالم تطوان: أبو الحسن علي بركة، فقد قيل: إنه أوقف حبسا على من ينبه القارئ عند وقفه على "مغلولة"، والذي عليه المحققون أنه من الوقف الكافي، وعده بعضهم من الوقف الجائز²⁷.

ومما انتقد الوقف عليه اعتبارا على أنه من الوقف المنوع، بل من الحرام الذي يكفر به صاحبه وقوفه عليهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّي ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30] وقد تصدى أبو العباس الأشموني في كتابه: (منار الهدى في الوقف والابتداء) للرد على صاحب هذا الرأي، وشنع عليه القول بالحرمة، وقال إن ما نسب لابن الجزري من قوله:

مغلولة فلا تكن بواقف فإنه حرام عند الواقف

ولا على المسيح ابن الله فلا تقف واستعذ بالله

فإنه كفر لما قد علما قد قاله الجزري نصا حسما

قال: هو مخالف لما عليه الأئمة، بل هو من الوقف الكافي لتناهي مقول الفريقين، وقيل إنه من الوقف الجائز²⁸.

ومن انتقد وقوف الهبطي: السلطان المولى سليمان العلوي حيث كتب رسائل فيها انتقادات، واستدراكات على الهبطي، ووافقه على ذلك جماعة من علماء عصره، والشيخ أبو شعيب الدكالي، وذكر أنه كان ينبغي للهبطي أن

26- المائدة الآية 64.

27- سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، ص. 188.

28- سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، ص. 188-189.

يقف في المعوذتين خمس وقفات في كل من السورتين.

ومن كتب عن الوقف الهبطي وانتقده بشدة: الشيخ المحدث سيدي عبد الله بن الصديق الغماري؛ في رسالة صغيرة أسماها: "منحة الرؤوف المعطي ببيان ضعف وقف الشيخ الهبطي" في حوالي 34 صفحة، تعرض لبعض الكلمات التي اقترح الإمام الهبطي الوقوف عندها وهي -في نظر صاحب الرسالة- ليست مما ينبغي الوقوف عليها.

يقول مؤلف الرسالة: "...وصرحوا بأن لا يقوم بالوقف إلا عالم بالنحو والقراءات والتفسير والقصص، لكن الشيخ الهبطي الذي عمل الوقف، لم يقرأ هذه النصوص، ولم يكن يعرف علم العربية، ولا شيئاً مما اشترطه لصحة الوقف، بل أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له من غير مراعاة للقواعد، فكان كثير من وقوفه من قبيل الممنوع..."²⁹.

وما قاله الشيخ الجليل سيدي عبد الله يتنافى وشخصية الإمام الهبطي، نعم يمكن للرجل رحمه الله أن يخطئ - لأنه إنسان - ولكنه لم يصل إلى درجة الجهل بالعربية والقراءات، واقتحام كتاب الله بدون علم ولا فهم وتبصر، وهو من الذين شهد له العلماء في عصره بطول النفس في القراءات، وعلم اللغة العربية، فلقد أشربه الله حب القرآن الكريم، وحب تعليمه، وتقريب دراسته وتفسيره، مسترشداً في ذلك بالحديث الذي يروى عن أبي عبد الرحمن السلمي³⁰ الذي كان يحدث الناس بحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"³¹، والذي كان يقول للناس الذين تَرَجَّوْهُ لتولي مناصب إدارية وقضائية: "هذا هو الحديث الذي أقعدني مقعدي هذا"

29- منحة الرؤوف المعطي، ص 4.

30- المتوفى سنة 74هـ- ابن الجزري، غاية النهاية، 1/411.

31- أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن.

يشير إلى لزومه المسجد الجامع بالكوفة يقرئ الناس القرآن على جلال قدره، وحاجة الناس إلى علمه.

لقد وقعت في عهد صاحب الوقف مناظرات وانتقادات، وقف الإمام الهبطي عندها كالطود الشامخ لا تنال منه العواصف والزوابع حتى رست قواعده، وطبقت مناهجه في الحاضرة والبادية، وأصبح وقفه المذهب السائد في المغرب وأفريقيا³².

ويكفي المغاربة فخرا أن يكون وقف المصاحف المتداولة حاليا في إفريقيا الغربية، والمغرب العربي برواية ورش كلها بوقف الإمام الهبطي الذي جاء تتويجا للوحدة السياسية والمذهبية والعقدية.

وإذا كان وقف الإمام الهبطي رحمه الله قد أخذ مكانته في المدرسة القرآنية بالمغرب العربي وأفريقيا فإنه حاز ثقة العلماء والقراء في مختلف العصور من بعده، رغم وجود النقاد الذين تصدوا للوقف الهبطي وانتصروا للوقف السني الذي كان يعتمد رؤوس الآي.

فهذا عالم من سوس يؤلف كتابا يسميه: "هز السيف على بعض من أنكر الوقف" وكأنه ينتصر للهبطي في مذهبه في الوقف، ولعله أبو عمران الهشتوكي³³.

وهذا ابن عبد السلام يقول في مقدمة كتابه: "إن مما امتن الله به علي أن جعلني من خدمة العلم الشريف، ثم أهلي -ولله الحمد- لخدمة كتابه المجيد، ثم جعلني ملجأ لحملته، ومفتيا للمتعلمين من خدمته؛ تبياناً لخلاف قارئه، وتعليماً لكيفية أدائه..."³⁴.

32- سعيد أعراب - دعوة الحق السنة 1968/11 عدد 4.

33- أبو عمران موسى بيورك بن الحسن الأسكاري الهشتوكي، تعلم ببلده فحفظ القرآن ثم رحل إلى فاس، وقيل إنه أول من أدخل وقف الهبطي إلى قبائل جزولة بجنوب المغرب.

34- الوقف والابتداء ذكره سعيد أعراب - القراء والقراءات بالمغرب، ص 193.

ومن هنا يمكن القول، بأن ابن عبد السلام الفاسي هو الرجل الذي خدم وقف الهبطي خدمة لا ينساها له التاريخ، فأوفاه حقه، وأوضح مقاصده.

ولعل من البواعث التي دفعته لتأليف كتاب في الوقف: أن صناعة الإرداف التي اشتهرت بين الناس، يحتاج القارئ فيها إلى وقف في غير محل تمام أو كفاية أو حسن وفي غير رأس آية، وإلى الابتداء كذلك، وأنه كثيرا ما يقع السؤال من الطلبة عما يجوز في ذلك وما لا يجوز.

ويهاجم أولئك الذين يعتقدون - خطأ - أن كل كلمة قيدت بالوقف عن الهبطي وردت بها الرواية، جهلا منهم بمعنى الرواية ومن جملة ذلك الوقوف على الكلمات التي قيدت على الهبطي، ويقول إنه تهادى بهم الحال حتى خطأوا من ترك الوقف عندها، أو زاد شيئا عليها، وجهلوا أنه لا تتعين متابعتها في ذلك، ولا تضر الزيادة عليه، ولا النقص منه مع مراعاة ما هو مذكور في أقسام الوقف عند كثير من القراء وهي: تام، وكاف، وحسن وقبيح³⁵. أو هي ثلاثة أقسام كما عند ابن الأنباري³⁶: تام، وحسن، وقبيح، وخمسة أقسام كما عند السجاوندي³⁷: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز لوجه، ومرخص لضرورة. وثمانية أقسام عند غيره³⁸: تام، وشبيه به، وناقص، وشبيه به، وحسن وشبيه به، وقبيح، وشبيه به. أما ابن الجزري فقد قسمه إلى قسمين: اختياري واضطراري³⁹...

لقد تباينت مواقف العلماء من الوقف الهبطي تباينا كبيرا أدى أحيانا إلى

35- الزركشي، البرهان، 342/1.

36- محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، أبو بكر صاحب كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" توفي سنة 328هـ -ابن الجزري، الغاية، 231/2.

37- محمد بن طيفور، إمام مقرئ له كتاب "إيضاح الوقف والابتداء" توفي سنة 560هـ -ابن الجزري، الغاية، 157/2.

38- السيوطي، الإتقان، 86-85/1.

39- ابن الجزري، النشر، 225/1.

إثارة منافسات ومناقشات كادت تكون حربا شعواء على الذين أنكروا على الإمام الهبطي وقوفه.

ولسنا نميل إلى الترجيح بين هذه الأقوال، لأن المصاحف الحالية المتداولة، تعتمد على جميع أقوال هؤلاء العلماء كل قطر يعتمد ما يعده صحيحا، على أن الهبطي ترك كثيرا مما وسمه الداني بالتمام أو بالكفاية، وزاد مواضع كثيرة لم يذكرها الداني.

والغريب أن الهبطي - كما قال سعيد أعراب - من المتشبهين بمذهب الداني، والمغالين فيه، حتى لقد قيل: إنه كان يأمر تلامذته - أن يكتبوا (لغية) بلام ألف (لاغية) حتى لا ينسى مذهب الداني فيه... والله في خلقه شؤون⁴⁰.

والحق أن ابن عبد السلام، كان رفيقا بالهبطي بقدر ما كان قاسيا على الداني في مناقشاته وملاحظاته. ومع ذلك نجده لم يطمئن لبعض وقوف الهبطي كل الاطمئنان من ذلك مثلا: وقوفه على أواخر السور مخالفا مذهب نافع برواية ورش الذي عليه عمل أهل المغرب.

ولا يخفى أن عمل القراء بالمغرب - إلى اليوم لا يزال على وضع علامة الوقف أواخر السور عملا بالقول المأثور "خطأ مشهور، أفضل من صواب مهجور" على أن وضع علامة (صه) على الكلمات الموقوفة ليس من وضع الهبطي، فالنسخ القديمة للوقف الهبطي مجردة من هذه العلامة، وربما كانت من صنع بعض تلاميذه⁴¹.

40- القراء والقراءات بالمغرب، ص 194-195.

41- سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ص 197.

فوقف المهبطي على ذلك - كما يقول ابن عبد السلام - إما باعتبار أنه محل وقف وتمام - ولا أتم من آخر السورة، وعليه فتتعين البسملة حسبما هو منصوص؛ وإما باعتبار رواية قالون، وأنه كان يقرأ لنافع من روايته معا بالبسملة؛ فعلى ما به الأخذ عن ورش من السكت والوصل - على التخيير بينهما - يجب أن لا يذكر آخر السورة فيما يوقف عليه إلا مع بيان أن ذلك باعتبار رواية من ييسمل بين السورتين، ثم بيان أن ذلك أيضا باعتبار أخذ من يقف على آخر السورة ممن ييسمل؛ أما ذكره على الإطلاق لنافع، فيوقع عامة الآخذين - في جهل وخطأ عظيمين، قال: "...و كنت أسأل حفاظ السبعة منهم فأجدهم على هذا الاعتقاد الفاسد، وإذا نهوا، أقاموا على جهلهم تقليدا لأشياخهم"؛ وزاد يقول: "...و كنت آمر الآخذين عني بأن لا يضعوا علامة الوقف "صه" على أواخر السور، لأن الوهم إنما أتاهم من قبل وضعها".

ومن يقرأ ما وضعه الأشياخ من أنصاف في هذا المجال لا يمكنه إلا أن يكون تابعا ومقلدا، وواضعا علامة الوقف "صه" على أواخر السور، فقد قالوا في ذلك:

وضع (صه) علامة للوقف	في آخر السور تفز بالعرف
لمن ييسمل وغيره فلا	حجته التمام عند النبلا
بذا جرى الأخذ عن شيخنا الهمام	استاذ عصره ابن ادريس الامام ⁴²
وجوده في المهبطي قيد يا فتى	قدوة ما جاء من بعده أتى
وعمل السلف عليه العمل	في الغرب كله فصار أفضل
فتابعن مسلك هذا الأثر	ولا عليك من يخالف أثر
والخير كله في الاتباع	والشر كله في الابتداع ⁴³

42- يعني: الشيخ ادريس المنجرة، شيخ القراء بفاس توفي 1137 ترجمته في الأعلام، للمراكشي ج 3 ص 19.

43- د. عبد العزيز العيادي العروسي - الأنصاف القرآنية، ج 2 ص 505.

وقد جمع صاحب الأنصاف الأستاذ الدكتور عبد العزيز العيادي ما يتعلق بالوقوف من الأنصاف في المواضيع التي يجب الوقوف عليها أو يجوز أو التي لا ينبغي الوقوف عليها، وقد أتى بنص في رجز يحصي عدد أوقاف القرآن الكريم البالغ عددها 9945.

وأما الدكتور حميتو فقد قدم دفاعا علميا دقيقا عن الإمام الهبطي، مشيرا إلى مكانة الرجل وأنه عالم فاس، ليس نكرة بل كان عالما مبرزاً مقرئاً ونحويًا كبيراً، معتبرا الوقوف المنتقدة عليه ليس هو المسؤول عنها لأن التقييد مر بمراحل تعرض خلالها لتعديلات أو إضافات، ربما كان بعضها مسؤولاً عن طائفة من المواقع التي يتجه إليها الانتقاد⁴⁴.

ويقول سيدي محمد بن يالوشة: "واعلم أن أوقاف الشيخ الهبطي رضي الله عنه كلها مرضية، موافقة جارية على قواعد من القراءات، ووقوفه، ومما تقتضيه اللغة العربية وأصولها"⁴⁵.

وكما نفخر بالسابقين في هذا الفن، فإننا نقدر ونثمن جهود المعاصرين واللاحقين من الذين يجدون ويجهدون من أجل ترسيخ هذا الفن في الأذهان، يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا.

44- وقد أحال أقوال دجميتو على كتابه قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج 5 ص 1755، ولعل هذا الجزء لم يطبع بعد في منشورات الأوقاف.

45- رسالة مطبوعة على هامش كتاب النجوم الطوالع الأوقاف القرآنية للإمام أبي عبد الله الهبطي ص 191.

المحور الثاني

الآليات المساعدة لحفظ القرآن الكريم
وضبط الرسم العثماني (الأنصاف)

وسائل تحفيظ القرآن في الكتاب المراحل والآليات

محمد منكيط

رئيس المجلس العلمي المحلي بالصويرة

إن الاهتمام بالقرآن الكريم وتعليمه مما جبل عليه هذا البلد المسلم منذ أن أكرمه الله بالفتح الإسلامي، وسطع نور القرآن على ربوعه، باديته وحاضرتيه، ومدنه وقراه. نعم حين يتأمل المرء في نواحي هذا الوطن شماله وجنوبه، شرقه وغربه، يجد المراكز والمعاهد، كما يجد عبر التاريخ سواء تعلق الأمر بالرواية الشفوية، أو المكتوبة، يجد القراء الكبار والحفاظ المتقنين الجهابذة الأعلام، منهم من كان يحفظ القراءات السبع، ومنهم من كان يحفظ القراءات العشر. وأما رواية ورش عن نافع قد تجد بعض المداشر، كل سكانه حفاظا لهذه الرواية رسما ولفظا، وإذا كنا اليوم في لقائنا مع أحبتنا وأعلامنا اجتمعنا لتدارس هذا الأمر الجلل ولنتحاور ولنتذاكر، فإننا نشكر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في مديرية التعليم العتيق على رعايتها وعنايتها واهتمامها بعقد هذه الندوة المباركة وغيرها من الندوات في ميادين مختلفة ومواضيع أخرى متنوعة.

لا زالت الأمة مهتمة بكلام ربها معتنية به لفظا ورسما، تعلموا وتعلما، فهما وتفهما، تعظيما وعملا وخلقا قويمًا، فيه ترفع الأمة وتقوى شوكتها، وبه يتماسك بنيانها الاجتماعي والخلقي والفكري والإيماني، وبه يعظم قدرها ويعلو شأنها، يقول ﷺ: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين" رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه، وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "أليس تشهدون ألا إله إلا الله وأنني رسول الله قالوا بلى قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا"¹.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه أو كلمة نحوها، زخ في قفاه إلى النار"².

وحول فضائل كتاب الله تلاوة وحفظا وتحفيظا، وقراءة وإقراء، وعناية ورعاية واهتماما، يقول الإمام الشاطبي في منظومته "حرز الأماني":

وبعد فحبل الله فينا كتابه	فجاهد به حبل العدا متحبا
واخلق به إذ ليس يخلق جدة	جديدا مواليه على الجدة مقبلا
وقارئه المرضي قر مثاله	كالا ترج حاله مريحا وموكلا
هو المرتضى أما إذا كان أمة	ويممه ظل الرزاة قنقلا
هو الحر إن كان الحري حواريا	له بتحريره إلى أن تنبلا
وإن كتاب الله أوثق شافع	وأغنى غناء واهبا متفضلا
وخير جليس لا يعمل حديثه	وترداده يزداد فيه تجملا
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته	من القبر يلقاه سنا متهللا
هنالك يهنيه مقيلا وروضة	ومن أجله في ذروة العز يجتلا

1- رواه الطبراني في الكبير بسند جيد، وقال الألباني أخرجه ابن حبان في صحيحه وابن نصر في قيام الليل بسند صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب.

2- أي دفع تقول: زخ يزخ يدفع يدفع بالزاي وفي بعض النسخ: زج بالزاي والجيم وهو خطأ. والحديث رواه البزار موقوفا على ابن مسعود.

يناشد في إرضائه لحبيبه وأجدر به سؤلا إليه موصلا
فيا أيها القارئ به متمسكا مجال له في كل حال مبجلا
هنيئا مريئا والذاك عليهما ملابس أنوار من التاج والحلا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولوالبر والإحسان والصبر والتقوى حلاهم بها جاء القرآن مفصلا
عليك بما ما عشت فيها منافسا وبع نفسك الدنيا بأنفاسها العلا
جزى الله بالخيرات عنا أئمة لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

فانطلاقا من هذه الحوافز الإيمانية والوجدانية، وانطلاقا من محبة القرآن الكريم والإيمان العميق واليقين الصادق بأنه حبل الله المتين الذي طرفه بيد الرحمان، وطرفه الآخر بيد العباد، عكف أسلافنا على تعليمه وتلقينه وضبطه وإنفاق الزمان والمكان في سبيله؛ بل وبذل المال والوقف في سبيل الله من أجله، فتصدر لتعليمه شيوخ جهابذة أعلام، وحفاظ عابرة كرام، فاخترعوا أعظم الطرق وأتقنها، وأوثق المناهج وأعلاها، فحين يقارنهما بين مناهج المحدثين وطرق التلقي عندهم فلا يجد فرقا بين قراءة الشيخ وتلميذه يسمع، وقراءة التلميذ وشيخه يسمع، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مدرسة القرآن الكريم ومدرسة السنة المطهرة مدرسة واحدة والمناهج المطبقة عند المدرستين كلها من معين واحد. نعم حين نعود إلى المدرسة القرآنية- واسمحوا لي أن أقف هنا وقفة وجيزة- ففي اليوم الذي تنتهي الأسرة لإدخال ولدها الكتاب القرآني؛ فإنه يكون يوم عرس وفرح واحتفال، وكذلك بالنسبة لتلامذة الكتاب أوالمسيد؛ لأن اليوم الذي يلتحق بهم أخ لهم، يكون لهم يوما مشهودا؛ لأن أهل الولد الجديد يكرمونه، كما يكرمون الشيخ المعلم، وتحاول الأسرة والفقهاء والتلاميذ

أن يعطوا للولد الجديد انطبعا جميلا عن المدرسة وأنها أجواء أخوة، بحيث تكون العناية به شديدة، والحفاوة فوق العادة، وشاهدنا من الآباء من يأتي بالطعام والحلوى إلى الكتاب خاصة إلى شيخ المدرسة؛ ليتناول الولد الطعام قريبا من شيخه في تلك الأيام الأولى؛ ليحظى بالقرب منه والرعاية حتى يألف الكتاب والأصدقاء وتصير الأمور عادية. أما الشيخ رغم عنايته ورعايته لتلامذته وقربه منهم، فإنه لا يفارقه وقاره وهيبته، يرى فيه تلامذته الأب الروحي، والمعلم والمربي والموجه؛ لأنه لا يقتصر على تعليم الكتابة والقرآن والحفظ والتحصيل والمراجعة، وإنما يعمل بجانب كل هذا على غرس الفضيلة ومكارم الأخلاق.

في بداية أمر التلميذ "المحضر" يعلمه النطق بالحروف، ثم يعلمه الحروف المعجمة والمهملة منفردة، ثم جملة، ثم طريقة الكتابة "بالتحنش"، وبرفقة هذا يحفظه الشيخ قصار السور كـ ﴿سُبْحَ اسم رَبِّكَ الأعلى﴾ إلى آخره، كما يحفظه التشهد مع قنوت الصبح ويعلمه قواعد الإسلام الخمس وأصول الإيمان الستة، ويحث تلامذته على حضور الصلاة معه، قصده من هذا أن "المحضر" إذا انقطع عن متابعة قراءته يكون قد حصل من الكتاب معرفة ولو أنها بسيطة، يعرف كيف يتوضأ ويغتسل ويتيمم ويصلي، فإذا استمر في الحفظ والتلقي فإن الشيخ بحكم الممارسة والاطلاع والقرب من تلامذته ومعرفة قوة كل تلميذ في الحفظ والتحصيل والاستيعاب؛ لأن هناك من حافظته قوية، وهناك المتوسط، وهناك الضعيف، فهو خبير بالكل فلا يكلف "المحضر" فوق طاقته. فمنهم من يحفظ بعض السطور، ومنهم من يحفظ الثمن، ومنهم من يحفظ الربع، ومع هذا فإن المشايخ ينهجون مع تلامذتهم كالاتي: أولا يكتب التلميذ بعض السطور، أي: في اللوح، فإذا ظهرت نجابته وقوة حافظته، انتقل معه إلى ثمن الحزب فإذا ظهرت نجابته وقوة حافظته انتقل معه إلى ربع الحزب، ويحرص الشيخ على أن

يكتب التلميذ لوحته بيده؛ لأنها أسهل له وأيسر للحفظ والاستظهار، وبعد فراغ التلميذ من كتابة لوحته يصححها الشيخ بمحضر التلميذ؛ لتنبيهه على ما عسى أن يكون في اللوحة من تصحيف أو خطأ، وبعد الفراغ من التصحيح يلزم أن يسمع التلميذ من شيخه عند التصحيح ويتابع معه، ثم يأخذ التلميذ اللوحة ويقرأها والشيخ يسمع؛ ليصحح له وينبهه على كيفية القراءة ومخرج الحرف، ومن المشايخ من يقرأ مع التلميذ بعد سلك اللوحة وتصحيحها وتسمى عندهم "بالنفدة"، ثم يذهب المحضر لحفظ ما كتبه في هذا اليوم وتسمى هذه الحصة "بالجديدة"، وما كتبه بالأمس تسمى "البالية"، فما كتبه اليوم في الصباح بعد تصحيحه ينتقل إلى حفظه واستظهاره ثم عرضه على شيخه وتسمى "العرضة الجديدة"، فإذا حفظها واستظهارها وعرضها على شيخه أو على مساعد شيخه إن كان له حزب سبق له أن كتبه وعرضه وحفظه راجعه وعرضه على شيخه كذلك. وعند قرب نصف النهار يطلق الشيخ سراح التلاميذ بعد مراجعة "الماحية" وعرضها، يذهب التلاميذ إلى منازلهم، وعند آذان الظهر يحضرون جميعاً وهم متوضئون لحضور صلاة الظهر، وإذا كان النهار طويلاً يكلفهم بالعودة بعد الغذاء لنوم القيلولة، ثم يشرعون في حفظ ما كتبوه بالأمس بالكيفية التي سبق ذكرها وتسمى "البالية"؛ لأن الجديدة هي التي كتبت في صباح اليوم، والبالية هي التي كتبت في صباح الأمس والماحية هي التي محيت في صباح اليوم وكتب مكانها الجديدة أي حصة اليوم الجديد، وبعد صلاة العصر يعرض المحضر البالية، وبالتأمل نجد المشايخ يحرصون على تتبع التلاميذ، بحيث يعرض التلميذ الجديدة قبل الذهاب إلى المنزل في النصف الأول من اليوم وفي المساء بعد العصر يعرض البالية ثم إذا حفظ فحسن، وإن لم يحفظ يكلف بالحفظ ولا يغادر المسيد إلا بعد الحفظ والاستظهار. وبعد العرض في المساء يضع لوحته ويشرع في مراجعة وتكرار "الاسوار" هذا اصطلاح يطلق على ما وفره التلميذ من الأجزاء

المحفوظة، بحيث يراجعها بعد عرض البالية وبين العشاءين، وفي فصل الشتاء قبل صلاة الفجر بساعتين أو ساعة على الأقل، يلزم المحضر أن يحضر قبل الفجر إذا كان الفصل فصل شتاء لمراجعة "الاسوار" ومراجعة البالية مرة ثانية قبل عرضها مرة أخرى على الشيخ أو من يساعده، ولا يسمح له بمحوها إلا إذا كانت محفوظة حفظاً جيداً، كما يعبر عنه طلبة القرآن وحفظته حيث يقولون: "كالماء".

ومن الطرق التي كان يعتمد عليها المشايخ جزاهم الله أحسن الجزاء، توزيع التلاميذ جماعات في اللوحة وحزب الجديد "والأسوار" مع المحافظة على قراءة الحزب الراتب، كما كان يستعين بالطلبة الذين حفظوا القرآن لفظاً ويعملون على إتقان رسمه؛ لأن العرف جرى لا بد من إتقان اللفظ والرسم، ومساعدة هذه الشريحة للشيخ تكون في الحفظ والاستظهار، وإذا نصح المحضر وصار يكاد يحفظ القرآن عن ظهر قلب يضاف إلى ما ذكر من العروض الثلاث أو الأربع عرضة أخرى، وهي عرض ما سيكتبه التلميذ على شيخه قبل محو لوحته، يعرض نصف الحزب ليكتبه بنفسه عن ظهر قلبه، وأما قبل هذا كان يكتب لوحه بتلقين من شيخه أو من يساعد الشيخ، وهو ما يصطلح "بالفتيا"، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الكتابة عن ظهر قلبه وهو المعبر عنه بالكتابة "من رأسه"، وفي هذه المرحلة التي صار التلميذ يكتب لوحته من رأسه، وأصبح حافظاً يبقى له الاهتمام بالرسم أكثر من اللفظ، ينتقل الشيخ لتحفيظه "الحذفية" و"الكناوية" و"الأنصاف" وما اصطلح في بعض المناطق "بالخوات" وأحكام التفخيم والترقيق، والأحكام الأخرى التي تتعلق برسم الكلمة "كرحمة" متى تبسط تأوها و"نعمة" و"سنة". وإذا كان فقهاؤنا لم يتركوا وسيلة من وسائل حفظ القرآن الكريم واستظهاره وضبط ألفاظه ومتشابهاته، فنظموا أنصافاً ورمزوا لذلك برموز، والأنصاف نوعان: منها ما يضبط به الرسم، ومنها ما يضبط به اللفظ

ويحصن به؛ كتقديم لفظ النفع على الضر والعكس، قد يشتهب الأمر على الحافظ خاصة الطالب في أول أمره فقال القائل مثلاً:

في بلغ وأحسنوا أعجلك لا تجعلوا فخذ ضرا ولا نفعا أربع مرتلا

وعكسهم قل نفعا ولا ضرا ثلاثة نتقنا وإن تعجب يرزقكم مكملًا

وفي قوله تعالى: ﴿من قبلهم من قرن﴾ [الأنعام: 6] و[ص: 2] وقوله: ﴿وقبلهم من قرن﴾ [مريم: 98] [ق: 36] قال:

من قبلهم من قرن قل حرفان في الأنعام وصاد والقرآن

وقبلهم من قرن خذ ثلاثة اثنان مريم وقاف بعده

وفي قوله تعالى: ﴿فيه مواخر﴾ [فاطر: 12] قال:

يا طالبا تقرأ وتنفخ في الليرا سبق فيه مواخر في فاطر

وفي قوله تعالى: ﴿لعب ولهو﴾ [الحديد: 20]، [الأنعام: 32] و[محمد: 36] و﴿لهو ولعب﴾ [العنكبوت: 64]، ﴿لعبا ولهول﴾ [الأنعام: 70] و﴿لهول ولعبا﴾ [الأعراف: 51] في التقديم والتأخير والرفع والنصب حيث قال:

ما سكن أطيعوا ألم يان يا أخوي لعب ولهو ضمتين ثلاثة

ولهو ولعب تجادل غريب ولهوا ولعبا صرفت أنزلا

ولعبا ولهوا مفاتيح يا إنسان غريبة بالبيان فخذهم مكملًا

وفي قوله تعالى: ﴿من في السماوات والأرض﴾ وفي قوله: ﴿من في السماوات ومن في الأرض﴾ قال:

من في السماوات والأرض تسعة في جملة القرآن خذ مفصلة

في قال آقررتم وإن تعجب كفا وقل كونوا حجارة فخلفنا
اقترب الله نور السماوات فما كان جواب قل للسادات
في سورة الروم مع الرحمن لا غيرهم جاؤوا بالبيان
من في السماوات ومن في الأرض أربعة لا غيرهم يا سيد
في يونس والحج ثم النمل وزمر يا طالبا خذ قولي
وفي الآخر:

من في السماوات ومن خذ الخبر في يونس وحج وغمل وزمر
وقد يختلط الأمر على الطالب في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ وقوله:
﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فقررُوا وضع نص يحكم الأمر ويزيل الشك فقالوا:
تلبسوا إذا لقوا ما ننسخ وزد رتقا غلمان ولا هم ينصرون
الصفاء ومن أهل ير يتوفاكم فضل ولا هم ينظرون فخمسة

وبالتأمل في هذه الثروة العلمية والتراث الشعبي والعلمي في نفس الوقت، نجد
أن مشايخنا وفقهائنا استعملوا عدة وسائل لحفظ كتاب الله وضبطه وتحسينه من
التحريف والتبديل والتغيير تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لِحَافِظُونَ﴾³ فحفظه الله في صدور الرجال والنساء، كما حفظه بإلهام عباده لوضع
الخطط والمناهج والوسائل؛ ليبقى محفوظاً لفظاً ورسماً وشرحاً وأدباً وقيماً وأخلاقاً،
فجزى الله عنا حملة كتابه المبين أحسن الجزاء والحسنين من الملوك والأمراء
والأغنياء الذين بذلوا جاههم وسلطانهم ومالهم في سبيل إحياء دور القرآن
والمدارس والمعاهد والمراكز؛ ليبقى للقرآن روحه ونوره ولفظه ورسمه وأدبه.

كما يكتب له بعض الأنصاف المتعلقة بالرسم، وبعض المتشابهات كـ "خالصة" متى تكون مضمومة وكـ "فنجيناه" و"نجيناه" و"فأنجيناه" وكـ "فلا تكن" و"لا تكن" وبعدما تحصل للطالب الملكة في الحفظ والرسم، فحينئذ الأمر لا يخلو إما أن يوجه الشيخ الطالب للقراءة بشيخ آخر، وإما أن يوجهه لحفظ المتون لدراسة العلوم الشرعية واللغوية حسب ميول الشيخ.

ونعود مرة أخرى إلى منهاج التحفيظ عند القراء وعلاقته بمناهج المحدثين في التلقي، نجد من بين طرق التحديث عند القراء **أولاً**: إملاء الشيخ على تلميذه وهو المعبر عنه بالإفتاء. **ثانياً**: قراءة الشيخ والتلميذ يسمع. **ثالثاً**: عرض التلميذ على الشيخ إما من اللوحة المصححة، وإما من حفظه. يقول في الباعث الحثيث: القراءة على الشيخ حفظاً أو من كتاب وهو العرض عند الجمهور، والرواية بها سائغة عند العلماء، ثم قال: وعن مالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب أنها أقوى⁴. وطالب القرآن يجتمع له من أقسام التحمل أمران: سماع القرآن من الشيخ، والثاني العرض. فالقسم الأول هو أعلى أقسام التحمل وبعده العرض، وهذا يدل على حرص المشايخ أن يجتمع للطالب أدق وسائل التلقي، فلم يكونوا يسمحون للطالب أن يكتب من المصحف الشريف ويعتبرون ذلك نقصاً ومهانة⁵، يقول الحافظ العراقي رحمه الله في أنواع التلقي:

أعلى وجوه الأخذ عند المعظم وهي ثمان لفظ شيخ فاعلم
كتاباً أو حفظاً إلى أن قال:

ثم القراءة التي نعتها معظمهم عرضاً سوا قرأها
من حفظ أو كتاب أو سمعت والشيخ حافظ لما عرضت

4- الباعث الحثيث مع الحاشية بتحقيق محمد شاکر ص. 102، وانظر "تدريب الراوي" ص. 235.

5- لهذا قالوا: "لا تأخذ العلم من صحفي، ولا القرآن من مصحفي".

أولا ولكن أصله يمسه بنفسه أو ثقة ممسه⁶

ومن هنا نعلم أن مشايخنا في المغرب اعتمدوا هذا المنهج العلمي المتقن أولا: الاعتماد على الحافظة، ثانيا: المتابعة المستمرة، ثالثا: الاستعانة بالحفاظ الطلبة، رابعا: تكوينهم وتدريبهم على هذه المهمة الجسيمة اعتمادا على قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكر﴾ فتعالى الله الملك الحق، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليه وحيه وقل رب زدني علما [طه: 113-114]. يقول القرطبي رحمه الله: قوله تعالى (وكذلك) أي كما بينا لك في هذه السورة من البيان فكذلك جعلناه ﴿قرآنا عربيا﴾؛ أي بلغة العرب، ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي: بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب، ﴿لعلمهم يتقون﴾ أي: يخافون الله فيتجنبون معاصيه ويحذرون عقابه، ﴿أو يحدث لهم ذكر﴾ أي: موعظة. وقال قتادة حذرا وورعا. وقيل شرفا، فالذكر ها هنا بمعنى الشرف كقوله: ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف: 44] وقيل أي: ليتذكروا العقاب الذي توعدوا به، وقرأ الحسن ﴿أو يحدث﴾ بالنون وروى عنه رفع الشاء وجزمها، ثم قال رحمه الله قوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ لما عرف العباد عظيم نعمه وإنزال القرآن، نزه نفسه عن الأولاد والأنداد فقال تعالى: ﴿فتعالى الله﴾ أي: جل الله، الملك الحق أي: ذوالحق، ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليه وحيه﴾ علم نبيه كيف يتلقى القرآن، قال ابن عباس كان عليه الصلاة والسلام يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه عن ذلك وأنزل ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة : 16] وفي نفس الآية يقول الصاوي معلقا

6 - انظر ألفية الحافظ العراقي رحمه الله.

على الجلالين قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك حتى يقرأه عليك، ثم يقول: وسبب ذلك أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن فيلبس جسمه ويضعه في قلبه فيريد النبي ﷺ التعجل والنطق به، فأمره الله ألا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهرا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة : 16- 19]، ثم قال رحمه الله : والحكمة في تلقي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأئمة فهم يأملون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقي له سر آخر، أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال: عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ وهنا قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: بل "أنصت فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراه بعده وقل رب زدني علما" انتهى كلامه رحمه الله. تأمل سورة طه الآية: 114، والقيامة الآيات: 16-17-18-19. فانطلقا مما سمعنا نعلم أن كلا من القراء المحفظين المدررين والمحدثين نهجوا هذا المنهج الرباني واستنبطوا منه هذه المنهجية العلمية، حيث يجتمع لكل من نهج هذا السبيل السماع من الشيخ والعرض عليه، كما أن هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مدرسة الحديث الشريف اقتدت بمدرسة القرآن الكريم، وقد يلاحظ المتأمل في مقارنتي مدرسة القرآن الكريم بمدرسة الحديث الشريف، وكأنني جعلت مدرسة الحديث هي الأصل المقيس عليه، ومدرسة القرآن هي الفرع، لا؛ لأن مدرسة القرآن شيء، ومدرسة الحديث شيء آخر، فالقرآن لا بد من تواتره؛ أي لا بد أن يكون قطعي الثبوت. أما الحديث فلا يشترط تواتره، قد يكون متواترا لفظا، وقد يكون تواتره معنويا،

كما يكون خبر الآحاد، وجله خبر الآحاد فمنه الصحيح، ومنه الحسن، ومنه الضعيف، ومنه الموضوع، ومنه الموقوف؛ بل إن بعض المحدثين تساهلوا في الرواية بالمعنى بشروطها. أما القرآن الكريم فكله قطعي الدلالة، ولهذا قالوا: القراءة لا تكون صحيحة إلا إذا صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، ووافقت المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وشرح هذه الأركان يطول، والمقام لا يسمح. كما كان الحديث المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، وفي رواية فيدارسه القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وفي الحديث ملحوظة "يعرض عليه النبي ﷺ القرآن" والرواية الأخرى "فيدارسه القرآن". قال أهل العلم: "يقرأ جبريل أولاً، والنبي يسمع. ثم يسكت جبريل، والنبي يقرأ ثانياً. واقتداء بهذا يحصل الأمران القراءة من الشيخ، ثم العرض على الشيخ. هذا تأصيل المسألة في القرآن الكريم والحديث الشريف، (والحديث كما سبق في الصحيحين). لكن الذي يهمنا في هذا البحث المتواضع هو أن مشايخنا لهم فهمهم العلمي الدقيق، وهم متبعون لا مبتدعون، ومستنبطون مدققون، وما داموا متبعين مهتدين، يبارك الله تعليمهم وعلمهم، وجهدهم واجتهادهم، ومع هذا فلا مانع من استعمال وسائل العصر مع المحافظة على الأصالة التي يجب أن تبقى للكتاب روحانيته وهيبته، ووقاره وشرفه، وللشيخ وقاره ومزله، يرى فيه التلميذ الشيخ الوقور المربي المرح الفكاهي في حدود الوقار والحشمة والاحترام، لا قسوة ولا شدة، ولا عقاب ولا ميوعة، ولا تحلل ولا تفسخ، وإنما السداد والمقاربة، واليسر والترية، حتى وإن كان من الضروري أن يعاقب فعقاباً في طيه رحمة ولين ونصح.

وشاهدنا كذلك في بعض المداشر بباديتنا أنه بعد صلاة الصبح مباشرة، يشارك الشيخ المدرر بعض مشايخ القرية في "تكتيب" التلاميذ وسلك الألواح وتصحيحها، يكون عملهم هذا تطوعيا وتعاونيا، حفاظا على القرآن من التفلت والنسيان.

هذه باختصار المنهجية المتبعة عند مشايخنا في تلقين القرآن الكريم وتحفيظه والتي كانت لا تعتمد التلقين والتحفيظ فقط، وإنما تعتمد التحفيظ والتلقين والتكرار والمراقبة المستمرة، مع التربية على القيم والخلق الكريم، وحفظ النفس عن الحرام، والمحافظة على الفرائض بالقول والفعل، بحيث كان التلميذ يرى ويشاهد الشيخ الزاهد المضحى المتفاني في خدمة كتاب الله، والحريص على نجاحهم وتحصيلهم، أن أمنيته ونشوته وفرحه وحبوره، حين يتخرج أحد طلبته يحفظ كتاب ربه، ويكثر تلامذته، فيزهو معززا مكرما أينما حل وارتحل، حيث يصير منهم العالم المفتي، والقاضي والمدرس، وأعيان القبيلة والبلدة، أما فيما يرجع إلى الآليات المستعملة في الكتاب، فمنها ما هو مادي: كاللوح، والدواة، والقلم، والصنصال، والسمخ ويقال له: "الصماغ"، والكرار ويقال له: "الحناش". ولا مانع من استعمال بعض الوسائل العصرية الحديثة إن كانت مفيدة، كالأقراص المدججة، والأشرطة السمعية والبصرية. وهذه وسائل تستعمل للاستعانة على الحفظ فقط، أما اللوحة التقليدية فلامناس منها بداية وانتهاء. ومنها ما هو معنوي يرجع أساسا إلى أهل القرية أو المداشر فإنهم يساهمون كذلك ويشاركون ماديا، بحيث يتكفلون بنفقة الشيخ المدرر بشرطه السنوي: كالقمح والشعير وتوفير النفقة الأسبوعية وهو ما اصطلاح عليه "بالأربعية والحدية" حسب سوق المنطقة، وعند العطلة الدينية "التعوشيرة" يأتيه التلاميذ بمبلغ من المال كل حسب قدرته ويسر الوالدين، أما في عيد الأضحى فالمداشر يتكفل بشراء

الأضحية. أما إذا ختم الطالب القرآن وحفظه، فتلك قضية أخرى بحيث يعم الفرح والبهجة والسرور والحبور، حيث تقيم الأسرة حفلة كبرى يستدعى لها الفقهاء وحملة كتاب الله، وأعيان القبيلة والمدشر، وتقدم للفقهاء المدرس هدايا وعطايا وإتحافات، منها أن العائلة بعد انتهاء الحفل العام تقيم حفلا خاصا في بيت الفقيه المدرس، يقدم له مبلغ من المال وكسوة: كالجلباب والفرجية والقميص والعمامة والبلغة، كما تكرم زوجة الفقيه الشيخ من طرف أم التلميذ، والإكرام يكون على قدر حال أب الولد، فالمدرس فنوع، لا يشترط على أحد، والآباء ينفقون ويكرمون على قدر حالهم، ومما ينبغي ملاحظته والإشارة إليه أن العائلة تتضامن وتتعاون فيما بينها إكراما للقرآن الكريم، وتحفيزا للمعلم المدرس وللتلميذ. رأينا بعض الأسر أنهم يتحفون الطفل بهبة أو صدقة إذا حفظ القرآن الكريم، وعرفنا كثيرا من الفقهاء وحفظة كتاب الله أنهم نالوا هذه الخطوة من أقاربهم، إما بتعيين صدقة معينة: كالثلث بعد الموت، ويعتبر هذا من وسائل تحفيظ القرآن الكريم والتشجيع على التفرغ والحفظ والتحصيل.

وفي هذا الصدد تدخل جائزة محمد السادس - نصره الله وأيده - في حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله، والتي تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال شهر رمضان الأبرك من كل سنة تقديرا وتشجيعا لحملة القرآن وحفاظه.

مراحل وآليات تحفيظ القرآن الكريم في الكتاب

محمد بن العربي الدويري (شوقي)

عضو المجلس العلمي المحلي بالرشيدية

1- اهتمام الإسلام بالقرآن الكريم مع القراءة والكتابة والتعليم

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكتابه المبين، والدستور الجامع لأحكام الإسلام، ومصدر العقائد الدينية، والأحكام التشريعية، والهادي إلى إصلاح الفرد، وتنظيم شؤون الجماعة، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾¹.

ومن فضائل القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ قال: "يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفصل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"².

وتعلم القرآن الكريم بالقراءة والكتابة، يمهّد السبيل لاكتساب الخبرة، ويفتح الطريق أمام الإنسان للاعتماد على النفس، والاستزادة من العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مَجْزِي السَّلامِ، وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾³.

1- سورة: فصلت . الآية: 42.

2- كتاب أبواب فضائل القرآن الباب 24 جامع الترمذي ح 3094.

3- سورة: المائدة . الآية: 15 - 16.

ورسول الله ﷺ يقول: "الماهر بالقرآن مع السفرة، الكرام البررة"⁴.

انفرد به الله تعالى وحده، حتى لا تطغى النفوس البشرية، فتحرفه عن مواضعه. قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾⁵ لذلك ومن أجله، كان أول خطاب إلهي عظيم، وجهه إلى رسول الله ﷺ هو قول الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾⁶ فالأمر الإلهي العظيم، يدل على فضل علم القراءة والكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الإنسان، ولولاه - أي علم القراءة والكتابة - ما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم، وما كتب الله المترلة: إلا بالكتابة، فالكتابة إذا ضرورية ولا غنى لأحد عنها، ومن الحكمة: "قيدوا العلم بالكتابة".

والعلم إما أن يكون: ذهنيا أولفظيا أو رسميا، والرسمي يستلزمهما معا من غير عكس، فلهذا قال الله تعالى: ﴿اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾⁷.

فالقلم نعمة من الله تعالى، ولولاه لم يقم دين، ولم يصلح عيش، ولا استقرار، فدل على كرم الله سبحانه وتعالى، أنه علم عباده بالقلم ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمات الجهل، إلى نور العلم والمعرفة.

فسبحان الله الرؤوف الرحيم. يهدي الضالين بالقرآن الكريم إذا ضلوا وانحرفوا.

4- رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها 38 باب فضل الماهر في القرآن والذي ينتفع فيه (ج 4937) الطبعة الأولى ص 381.

5- سورة: النساء. الآية: 82.

6- سورة العلق - من الآية: 1 إلى الآية: 5.

7- سورة العلق - الآية: 4-5.

ويرشداهم بالقرآن الكريم كلما تفرقوا واختلفوا. ويغفر ذنوبهم إذا آمنوا بالقرآن الكريم ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا واستغفروا، والله غفور رحيم.

2- الأنشطة الذاتية، في ترسيخ القرآن الكريم ورسم الآية

سئل رسول الله ﷺ ذات يوم عن نفسه فقال: "أنا دعوة إبراهيم". ودعوة إبراهيم عليه السلام واردة في قول الله تعالى: ﴿رَبِّنا وابحث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾⁸ فثبت أن الله عز وجل، أرسل نبيه معلماً، يعلم القرآن لفظاً وخطاً ورسماً وفهماً، وهذا يتطلب جهداً كبيراً، ويذا فاعلة، ولذلك: اختار رسول الله ﷺ كاتباً يساعده ويدون ما يوحى إليه، ولما نزلت الآية القرآنية: ﴿لا يستوي القاعدون﴾⁹. قال رسول الله ﷺ: "ادع لي زيد، وليجيء باللوح والدواة والكتف - أو الكتف والدواة -" ثم قال: اكتب ﴿لا يستوي القاعدون...﴾¹⁰ كما أضاف إليه كتاباً ومعلمين آخرين، حيث قال ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب"¹¹.

ولما لاحظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاة القراء يوم اليمامة: طلب من أبي بكر أمير المؤمنين أن يأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن، فاستجاب أبو بكر...، وقال لزيد: "إنك رجل شاب عاقل، وقد كنت تكتب الوحي للرسول ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه". وبعد التلبية بدأ زيد يجمع القرآن من العصب واللخاف والرقاع والأضلاع والأكتاف والأقتاب وصدور الرجال.

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة: "يا أمير المؤمنين أدرك

8- سورة: البقرة - الآية: 129 .

9- سورة: النساء - الآية : 95 .

10- رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ح 4990 المجلد 10 ص 26.

11- نفسه.

هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب"، فاستعار عثمان من أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت بتكليف من الخليفة الأول أبي بكر الصديق، بناء على رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم طلب من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها بمعيته وتحت إشرافه، وبعد نسخها، احتفظ لنفسه بنسخة، وأرسل نسخا إلى الأمصار، ليجمع الناس على القراءة العامة التي قرأها الرسول ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وتسمى بالعرضة الأخيرة.

بدءا من هذا المنطلق، وبعد اليقظة من الغفلة التي سادت في العصر الجاهلي، وكشف مساوئ الجهل والامية: بزغ هلال القراءة والكتابة في الأفق، وبدأ الناس يهتمون بقراءة القرآن وكتابته ورسمه وتجويده، متأثرين بقول الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹². وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ نَفْسًا لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَهْدَهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَأَن يُقْرَأُوا، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ قَوْمًا لَا يَعْلَمُونَ﴾¹³. راغبين في الحصول على فضائل القرآن الروحية والاجتماعية، مرددين قول الرسول ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"¹⁴، وبذلك كثرت الأنشطة الذاتية، في ترسيخ القرآن الكريم وتثبيته في القلوب، ورسم آياته وحفظها من الأخطاء والعيوب.

3- استقبال الآباء والأقارب، داخل الكتاب والكتاتيب:

يخاطب الله عباده المؤمنين من الآباء والأمهات بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

12- سورة: الزمر- الآية : 9.

13- سورة: فاطر- الآية : 32-33.

14- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ج 5027 المجلد 10 ص 91 دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

آمنوا قولا أنفسكم وأهليكم نارا¹⁵، ووقاية الناس والأهل من النار، تكون بالتعليم والتربية النافعة وتنشئة الأطفال على الأخلاق الفاضلة وإرشادهم إلى ما فيه نفعهم وفلاحهم. من أجل ذلك خاطب الرسول ﷺ الآباء والأمهات بقوله: "أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم"¹⁶ وحملهم المسؤولية فقال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"¹⁷، وبهذا أصبح الآباء والأمهات يهتمون بالقراءة والكتابة، ويعتنون بالتربية والتعليم، والأب المحظوظ، والأم السعيدة: هما اللذان رزقهما الله ولدا سليما وصل سن الدراسة، فيقومان كلاهما بتعليمه وتربيته، عملا بالحديث الشريف: "مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"¹⁸، ومن ثم يستعدان لتسجيل أبنائهما في الكتاب القرآني كغيرهما من الآباء والأمهات.

4- الشيوخ في الكتاب القرآني، شرط أساسي للحفظ وتعليم الرسم العثماني:

إن الآباء والأمهات كانوا يعتمدون في تربية أبنائهم وتعليمهم في الكتاتيب القرآنية الخاصة بتدريس القرآن الكريم على الشيوخ الذين يحفظون القرآن الكريم ويعملون به كما كانوا يتقنون قواعد التجويد والرسم العثماني، ويتصفون بالأخلاق الفاضلة، والتقوى والقناعة. شعارهم الحديث الشريف "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"¹⁹.

وبهذه الصفات الجليلة كسب المدرسون ثقة الآباء والأمهات الذين يسلمون أبنائهم وفلذات أكبادهم كل صباح ومساء إلى شيوخ الكتاتيب الذين يتصفون بصفات الإخلاص والتراهاة، يصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له

15- سورة: التحريم - الآية: 6.

16- ابن ماجة عن ابن عباس.

17- متفق عليه.

18- أبو داود بسند حسن.

19- رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن 21 باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح 5027 المجلد 10 ص 91 دار الفكر

للطبع والنشر والتوزيع.

مخرجاً ويزقّه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً²⁰.

5- المدررون والطلبة، في تعليم القراءة والكتابة

عندما يدخل الطفل الكتاب القرآني لأول مرة، يقدم له المدرر - أي المعلم - لوحاً خشبياً يحمل في أوله: البسملة والصلاة على النبي ﷺ وفتحة الكتاب، هذا في الوجه الأول من اللوح، أما الوجه الثاني: فيحمل الحروف الهجائية مجردة، والغاية من هذه الطريقة العتيقة: هي تحسين النطق بالحرف أو الكلمة، والاستعانة بالله لمعرفة وتوحيده وهداية الطفل إلى الصراط المستقيم.

وهذه الطريقة لا تخلو من فوائد وأحكام، فتقدم اللوح للطفل أولاً، يدل على المثل التالي: "ما نزل من اللوح لا يحفظ إلا باللوح".

يقطع المدرر مع أطفاله مراحل زمنية طويلة:

المرحلة الأولى: يعلم الأطفال النطق بالحروف الهجائية والحركات، نطقاً سليماً، كما يعلمهم قراءة الكلمة قراءة جيدة، مع ملاحظة الحروف دون المطالبة بكتابتها.

المرحلة الثانية: يرسم المدرر الحروف، ثم يأمر الطفل بمسك القلم بأنامله الثلاثة: الإبهام والسبابة والوسطى، كما يأمره بتمرير القلم على الحرف المرسوم، ويساعده كلما دعت الضرورة. وبالتدريب والإستمرار والإستئناس، يستطيع الطفل أن يكتب بيده معتمداً على نفسه.

المرحلة الثالثة: ينتقل المدرر مع طلابه إلى الفتوى، الطلبة يستفتون المدرر، والمدرر المفتي يجيبهم كلا على حدة. ولا نستغرب إذا تصورنا الشيخ

20- سورة: الطلاق - الآية : 2 - 3 .

وهويكتب اللوح بيده، ويفتي لأكثر من خمسين طالبا بلسانه، لا يتردد ولا يخطئ، دلالة على التقوى والاستقامة والإخلاص.

وفي هذه المرحلة: يقف الطالب أمام أمرين: إما أن يكون ممتازا، فيحفظ القرآن الكريم تصاعديا، وإما أن يكون متوسطا أو دون ذلك، فيتابع القراءة تصاعديا ثم تنازليا، قصد الحفظ وضبط القواعد. وفي الحالتين كليهما: يحرص على القراءة والكتابة ويواظب عليهما، مع استعمال الوسائل وآليات الحفظ، وضبط الرسم العثماني، قائما بنفسه، معتمدا على شيخه منسجما مع أصدقائه ورفقائه، شغله الشاغل، وهدفه الوحيد: حفظ القرآن الكريم حفظا تاما لا لحن فيه ولا عيوب، ولا إثم ولا ذنوب، بل فيه حسنات مضاعفة، لا يدركها إلا من أحبه الله واصطفاه، وإلى سبل الخير والفلاح أرشده ووجهه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف" رواه الترمذي.

6-الوسائل والأنصاف والآليات،مساعدة لضبط الرسم العثماني وحفظ الآيات

إن للكتاب برنامجا يعتمد عليه الشيوخ في ضبط الوقت والاستمارة.

الحصة الأولى: يحضر الأطفال والطلبة وقت طلوع الشمس مبكرين، وبعد استحضار الدروس وعرضها، تمحي الألواح بالماء النقي الطاهر، ويلقى ماؤها في إناء خاص، حفظا للقرآن الكريم من الدنس، ثم يصب في حفرة ترايبية. بعدما تطلّى الألواح بالصلصال الأبيض، وتترك إلى أن تجف وتيبس، وبكتابة الدروس وقراءتها تنتهي الحصة الأولى.

الحصة الثانية - التولية - : يقوم المدرر بالتصحيح وتدريب الأطفال على قراءة الآية والنطق بها، ومخرج الحروف ومعرفة حركاتها.

الحصة الثالثة: خاصة للحفظ والدراسة والتجود. تبتدئ من آذان الظهر وتنتهي بعد آذان العصر.

الحصة الرابعة: لقراءة السور ومراجعتها، وقتها من غروب الشمس إلى آذان العشاء ما عدا حصة يوم الأحد المسائية التي خصها الشيوخ المدررون للتوحيد والفقه، والذكر ودراسة حزب (أفلا يعلم).

العطلة الأسبوعية: تبتدئ من ظهر يوم الأربعاء إلى ظهر يوم الجمعة.

- التصحيح: يقوم به الشيخ نفسه في الحصة الثانية المذكورة، وكلما عثر على خطأ، ربما كان أو شكلاً أصلحه وكتب نصاً أسفل اللوح لمعرفة قواعد الرسم والحفظ، مع العلم أن الرسم العثماني يدرك بحفظ قواعد النحو وضبطها، لكن الطالب المبتدئ يصعب عليه معرفتها وتطبيقها في هذه المرحلة لذلك أتى الشيوخ -المدررون- بالأنصاف لتساعد الطالب على الرسم والحفظ.

الأنصاف في الرسم والحركات والحفظ والفهم

1) الرسم

أ- كتب طالب النفائات بالألف الممدودة، جاهلاً الرسم العثماني، وبعد التصحيح كتب له الشيخ نصاً يحتوي على الثاء المحذوفة في القرآن الكريم، كما وضحه محمد التهامي بن الطيب الغري الفلالي رحمه الله في منظومته النصر التالية:

الثاء أواثره²¹ خبيثت²² ويستغيث²³ كذا النفث²⁴

21- سورة الأحقاف - الآية : 4.

22- سورة النور - الآية : 26.

23- سورة الأحقاف - الآية : 17.

24- سورة الفلق - الآية : 4.

مِثْقَ²⁵ مَعَ اثْبَكُمْ²⁶ أَثْبَهُمْ²⁷ ءَاثِرَهُمْ²⁸ بِمِمْ الْجَمْعِ فَدِ رَسْمِ
لَفْظِ أَوْثِنَا²⁹ وَأَثْنَا³⁰ ثَلْثَنَ³¹ الْأَمْثَلِ³² مِنْ نَوْرِ لُحْتِمِ الْإِنْسَانِ

وما قيل في الثاء من ضبط الحذف في الرسم العثماني، يقال في جميع حروف القرآن الكريم المحذوفة . والحذف معناه ألف قصيرة تكتب بشق القلم أمام الحرف المحذوف. وحكم الحذف مشار إليه في منظومة النصرة المذكورة كالتالي:

فاحذف الملحق بشق القلم ودع له فسحة في اللوح اعلم
واكتبه بالحمراء في المصاحف وصله بالسطر بها فتصف

ب- ولاهتمام المغاربة جميعهم وعنايتهم بقراءة القرآن الكريم وكتابته ورسمه وحفظه، فإن الشيوخ الأمازيغيين المدررين رحمهم الله، كانوا يكتبون الأنصاف لطلابهم باللغة الأمازيغية، والدليل: عشر شيخ أثناء تصحيحه على كلمة: (لابنه) وكلمة (لامراته) بدون ألف، وكلمة (لنت لهم) بالألف، وبعد التصحيح كتب النص التالي:

لابنه لامراته³³ لم الف ينا³⁴ لنت³⁵ لهم مجبود العجينا

2) الحركات

أ- من الشيوخ من رأى أن الشدة - ثلاث نبرات - كحرف الشين، ومنهم

25- سورة المائدة - الآية : 12 .
26- سورة آل عمران - الآية : 153 .
27- سورة المائدة - الآية : 85 .
28- سورة الصافات - الآية : 70 .
29- سورة العنكبوت - الآية : 25 .
30- سورة مريم - الآية : 74 .
31- سورة النساء - الآية : 176 .
32- سورة العنكبوت - الآية : 43 .

33- سورة لقمان الآية : 13 .
34- سورة : يوسف - الآية : 21 .
35- سورة آل عمران . الآية : 159 .

من رأى أنها -نيرتان- كحرف الدال، ولسد باب الاختلاف كتب الشيوخ النص التالي:

الشد شين للخليل قدرواه وسيبويه وكذا المشاركة
وابن نجاح قال الدال دأ بنا وهو الذي صح عليه كتبنا
ولا يجوز الدال في التنوين ولا الإمالة فخذ تبين
ففي التنوين قوله تعالى: "منسيا"، وفي الإمالة قوله عز وجل: ﴿وما يلقاها الا
الذين صبروا﴾، وأما الدال فظاهر في شكل الآيتين: ﴿وربك فكبر﴾³⁶
﴿وما ربك بظلام للعبيد...﴾³⁷ منسيا = سورة مريم (23). وما يلقاها = سورة
فصلت (35).

ب: قرأ طالب أن أرضعيه بكسر النون والألف، فناده شيخه بالنص التالي:

يا طالبا تقرأ أن ارضعيه³⁸ فالنون مفتوح وما يليه
وكل من يقرأ بلا شيخه يتبعه الجهل حتى يعميه

3) الحفظ

وقف طالب حائرا أمام قول الله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا
ما شاء الله﴾³⁹ وقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله﴾⁴⁰ مع
العلم أن في القرآن الكريم آيات كثيرة وردت فيها كلمتا النفع والضرر. وحتى لا
يبقى حائرا كتب الشيخ النص التالي:

36- سورة المدثر - الآية : 3.
37- سورة فصلت - الآية : 46.
38- سورة : القصص - الآية : 7.
39- سورة : الأعراف - الآية : 188.
40- سورة : يونس - الآية : 49.

والثاني رسول الله	بدأت ببسم الله
قبل الضر يقرأه	على النفع لا تنسى
لا أملك ⁴² بعده	الأول وعنده ⁴¹
يرزقكم ⁴⁵ لا ضير ⁴⁶	بؤنا ⁴³ ورشده ⁴⁴
مد الظل ⁴⁸ في الفرقان	وإن تعجب ⁴⁷ يا إخوان
بجنتك الخضراء	جد علينا يا رحمان

(4) الفهم :

سئل شيخ عن رسم بسطة، متى تكتب بالصاد ، كما سئل عن الكلمات التي تكتب بالصاد قبل الطاء في القرآن الكريم، فكان جوابه النص التالي :

إذا أتاك الصاد قبل الطاء	فارسمه بالسین بلا امتراء
إلا حروف عشرة وواحد	مرسومة بالصاد قال الناشد
نحو اصطر ⁴⁹ وتصلون ⁵⁰ اثنان	ثم اصطفى ⁵¹ يصط ⁵² في الأعوان
وبسطة ⁵³ الأعراف هم يصطرخون ⁵⁴	وفي الصراط ⁵⁵ أم هم المصيطرون ⁵⁶

-
- 41- سورة: الأنعام- الآية : 71 .
42- سورة: الأعراف - الآية : 188 .
43- سورة : يونس - الآية : 106 .
44- سورة : الأنبياء - الآية : 66 .
45- سورة : سبأ - الآية : 42 .
46- سورة : الشعراء- الآية : 73 .
47- سورة: الرعد - الآية : 16 .
48- سورة : الفرقان - الآية : 55 .
49- سورة: طه- الآية : 132 .
50- سورة: القصص - الآية : 29 .
51- سورة: آل عمران - الآية : 33 .
52- سورة: البقرة - الآية : 245 .
53- سورة: الأعراف - الآية : 69 .
54- سورة: فاطر - الآية : 37 .
55- سورة : الصافات - الآية : 118 .
56- سورة: الطور - الآية : 37 .

واصطنعتك⁵⁷ فرد فاصطادوا⁵⁸ وبالمصيطر⁵⁹ قد تم الصاد

هكذا كان الطالب يتابع دراسته في الكتاب القرآني قراءة وكتابة وحفظا وتحويدا، وعندما يختم سورة البقرة، يهني والده مأدبة غداء يستدعى لها: الشيوخ والطلاب والأقارب والأصدقاء فرحا، وسرورا يبلوغ ولده هذه الدرجة السامية.

يجتمع المدعوون أمام المسجد- الكتاب- يتوسطهم الولد المحظوظ بلباسه الأبيض الأبيض والأخضر، وحذائه الجميل، آخذا بيد شيخه ووالده، ثم ينطلق الموكب متوجها إلى منزل الأسرة الشريفة بعد أن ينقسم الموكب إلى قسمين:

الأول يقول: بسم الله يا فتاح القلوب. والثاني يردد: علمنا يا علام الغيوب. مارين بمنازل الحي، متوجهين إلى منزل الأسرة المباركة الشريفة التي تسهر على تربية أبنائها وبناتها تربية قرآنية خلقية، وبهذا المنظر الشيق تقشعر جلود الآباء والأمهات ويتمنون أن يرزقهم الله أطفالا صالحين، فيتنافسون في تربيتهم وتعليمهم ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين:26].

بعد هذا يزداد الطالب حرصا واهتماما بالقراءة والكتابة والحفظ، استعدادا للمثول أمام اللجنة المختصة وذلك بالقراءة والتجويد والترتيل مع الشيخ تارة، وأخرى يقرأ الطالب والشيخ يستمع إليه، وكما تكون القراءة فردية، تكون جماعة للتدريب على القراءة في حالة المد والوقف والتتبع، ولا غرابة إذا قلنا: يقرأ الطلبة ختمة من القرآن الكريم في كل يوم عند اقتراب الامتحان، وفي إبانة تحضر لجنة مكونة من اثني عشر شيخا- عضو- حسب أخماس القرآن الكريم،

57- سورة: طه - الآية : 41.

58- سورة: المائدة - الآية: 2.

59- سورة: الغاشية - الآية: 22.

كل عضو يأمر الممتحن بقراءة ربع حزب من خمسة أحزاب خاصة، والفائز المتفوق هو الذي لا تنقصه ولو كلمة واحدة، وقد يسمح لغيره بكلمة أو كلمتين، وحرصا على الحفظ والتزاهة، يجري الامتحان داخل المسجد مساء، بعد تشكيل دائرة من الشيوخ يتوسطهم الطالب الممتحن، والآباء والسكان يلاحظون ويستمعون قصد التزاهة والعدل، وبعد النجاح يسجل الطالب في لائحة حفظة القرآن الكريم داخل القصر أو القرية، ثم يتابع دراسته في البحث والقراءة كدراسة القواعد والفقه والأمهات وحفظها، استعدادا للدخول في جامع القرويين قصد تتميم الدراسة إذا كان ممكنا، وإلا فيكتفي بما أخذه من الشيوخ متضلعا في الحرف أو الروايات التي يفضلها ويتقنها.

الحرف - القراءة - الرواية:

قال رسول الله ﷺ: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"⁶⁰، والتيسير هنا معناه الاستطاعة والقدرة العقلية والذهنية فإذا استطاع الطالب أن يقرأ "الحرف الواحد" أي "الرواية الواحدة" قراءة جيدة تامة واستطاع أن يعرفها قراءة وتجويدا وبلاغة ومعنى، ولغة وحكمة وعلماء، وتمكن من الفرق بين روايتين أو الروايات فله الأجر العظيم والثواب الجزيل، وهذا لا يتأتى إلا للعالم العلامة الماهر الذي قضى مدة طويلة من عمره في البحث والتعليم والتنقيب عن المفاهيم، أما الذي يتسبب في الخلط بين قراءة هذا وقراءة غيره، ويسميه العلماء: التركيب أو التلفيق، فإن كان على سبيل الرواية فحرام لأنه كذب، وإن لم يكن على سبيل النقل والرواية ولم يؤد إلى خلاف المعنى المراد، أو إلى الخروج عن اللسان العربي فجائز، ولكنه عيب في حق أهل المعرفة.

60- كتاب النشر - ج : 1 من صفحة : 19 الى 54.

ويخشى من التركيب على الجاهل أن يقرأ القرآن بغير ما أنزل فيؤثم على قراءته.

ولكثرة الخلط بين القراءات في هذا العصر جهلاً وبدون علم، ينبغي بل يجب أن يقرأ الطالب أو المقرئ القرآن بحرف واحد أي برواية واحدة، وبعد إتقانها ومعرفة معانيها وأحكامها جاز له أن يتعلم الرواية الثانية ثم الثالثة وهكذا. إن القراء لو استوعبوا معنى القراءات وأركانها ما قرأ أحدهم القرآن إلا بالرواية التي تعلمها من شيخه، وبطريقة معلمه ومعاشرته. لأن الاعتماد في نقل الحرف يكون على الحفظ والمشافهة، لا على الكتب فقط كما يعتقد الكثير في هذا العصر.

فعن سيدنا علي رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا القرآن كما علمتم⁶¹.

وعن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة، وعمر بن عبد العزيز وغيره من التابعين أنهم قالوا: " القراءة سنة، يأخذها الآخر عن الأول، فاقروا كما علمتموه"⁶² ولذلك كان الاعتماد في أخذ القراءة على المشافهة، وهي أن يسمع التلميذ من شيخه وأن يعرض عليه والشيخ يستمع ويصحح.

هذه الطريقة سادت في الكتابات القرآنية، حتى أصبح الطالب الذي لم يجد ببلده صاحب السند الصحيح، يرحل من قطر إلى قطر لطلبه. رغبة في حفظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة المفضلة عنده على الشيخ الماهر، والحصول على الثواب والأجر العظيم، لا على السمعة والرياء والفخر العجب والجاه، ولا المشاركة في المآدب والتسول وجمع المال.

61- كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري، المجلد الأول ص 33 مكتبة دار الفكر.

62- نفسه، ص 17.

وبدراسة قول الله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾⁶³ يتضح معنى الروايات.

كلنا نعلم أن: (إن) حرف تأكيد ونصب تدخل على المبتدأ والخبر فت نصب الأول ويسمى اسمها وترفع الثاني ويسمى خبرها.

كما نعلم أن المثنى ينصب ويجر بالياء، فلم لم تطبق هذه القاعدة في هذه الآية؟ وما هو جوابك أيها المقرئ إذا سئلت عن فهمها وإعرابها، والروايات التي تقرأ بها؟

وبالتدبر في القراءات التالية يتجلى الفرق ويظهر المعنى:

- قراءة ورش: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾⁶⁴

- قراءة أبي عمر ﴿إِنْ هَذَيْنِ لَسَا حِرَانِ﴾ بالياء لأن تشنية المنصوب والجرور بالياء، في لغة فصحاء العرب . وأبو عمرو مستغن عن إقامة دليل صحتها. كما أن القارئ في قول الله عز وجل ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ...﴾ [سورة المائدة: 23] مستغن عن الاحتجاج على منازعه إن نازعه في صحة قراءته.

- وقال الباقر: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرَانِ﴾ بالألف وحجتهم أنها مكتوبة هكذا في (الإمام) مصحف عثمان، وهذا الحرف في كتاب الله مشكل على أهل اللغة، وقد كثر اختلافهم في تفسيره، ونحن نذكر جميع ما قاله النحويون: فحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب وهو رأس رؤساء الرواة: أنها لغة كنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد. يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان.

- قال الزجاج: وقال النحويون القدماء: (ها) هنا: هاء مضمرة. والمعنى (إنه هذان لساحران) كما تقول: (إنه زيد منطلق) ثم تقول: (إن زيد منطلق).

63- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن - الصفحة: 454-455.

64- سورة طه - الآية: 63.

- وقال المبرد: أحسن ما قيل في هذا أنه يجعل (إن) بمعنى (نعم) المعنى "نعم هذان لساحران" فيكون ابتداء وخبراً أي نعم. فإن قيل : اللام لا تدخل بين المبتدأ وخبره، لا يقال : زيد لقائم، فما وجه: هذان لساحران؟
الجواب في ذلك: أن من العرب من يدخل لام التوكيد في خبر المبتدأ فيقول زيد لأخوك.

- وقال الزجاج: المعنى: "نعم هذان لساحران".

- وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى (أجل)، فيكون المعنى والله أعلم : ﴿ فتنان عوا أمرهم بينهم وأمرول النجوى ﴾ [طه : 62] قالوا : (أجل) تصديقا من بعضهم لبعض. ثم قالوا: "هذان لساحران"، ويجوز أن تكون اللام داخلية في الخبر على التوكيد.

النون في الشنية، وتركوها على حالها في الرفع والنصب والجر، كما فعلوا في (الذي) فقالوا: (الذين) في الرفع والنصب والجر.

- وقرأ حفص (إن هذان) بتخفيف (إن) جعل (إن) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلا) (ما هذان إلا ساحران).

- وقال ابن كثير: (إن) بالتخفيف (هذان) بالتشديد، و(إن) تكون أيضا بمعنى (ما)، والأصل في (هذان): (هذا ان) فحذف الألف، وجعل التشديد عوضا من الألف المحذوفة التي كانت في (هذا). [المرجع : حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن ص456].

فإذا كان هذا: الحديث عن ثلاث كلمات فقط هي: (إن، هذان، لساحران) فماذا نقول في كلمات القرآن التي يبلغ عددها: (77464) وآياته البالغة: (6666) كما حصرها صاحب النصرة محمد التهامي بن الطيب في منظومته مع العلم أن اختلاف العلماء في الموضوع كثير، قال صاحب النصرة في

منظومته:

وعدد الآيات في القرآن عدد الأدراج في الجنان
ستة آلاف وستمائة ست وستون تمام العدة
سبعة آلاف مع سبعين ألفا وأربع من المئين
وأربع مع ستين كلمة للحروف ألف ألف محكمة

القراء والقراءات:

إن الناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح، العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النبط القبيح، استغناء بنفسه، واستبدادا برأيه وحده، اتكالا على ما ألف من حفظه، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يساعده على تصحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك، وآثم بلا ريب، وغاش بلا مريئة، فقد قال رسول الله ﷺ: "الدين النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"⁶⁵، وأما من كان لا يطاوعه لسانه، أو يجد من يهديه إلى الصواب، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها.

-وقال ابن الجزري رحمه الله في وصف القراءة: "فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقوير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتقطيع المد، ولا بتطبيق القناة، ولا بمصرمة الرءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج

65- المحجة في تجويد القرآن الكريم، الصفحة : 33 .

عن طباع العرب، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء".⁶⁶

وحتى لا يتسبب القراء في الخلط بين قراءة هذا بقراءة غيره، فضل المغاربة بصفة عامة أوجلهم، وسكان منطقة تافيلالت بصفة خاصة في الأربعينيات والخمسينيات التي عشناها في الكتاب (قراءة ورش عن نافع) كقراءة أولية. وفتحوا الباب لمن أراد أن يتضلع في القراءات كلها، بشرط الحزم والعزم والصبر، والعلم والمعرفة.

إن الهدف من (قراءة ورش عن نافع) هو الانطلاقة بالطفل من الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، طريقة شرعية عتيقة، وللمدرسة الحديثة طرق مبتكرة، وأهداف عصرية مع العلم أن لكل مدرسة محاسن ومساوئ، ومن محاسن المدرسة العتيقة الشرعية، أنها تربي الأطفال تربية قرآنية، وتنشئهم على التوحيد والطاعة، والحياء والحشمة، والاعتماد على النفس والأخلاق الفاضلة. كما أنها تغرس في قلوبهم الصبر والحلم والتصافح، والسلم والسلام والتسامح، وتترع منها : الكبر والحقد والفرقة والعداوة.

الأنصاف والخطية (التان ساعرتان لضبط الرسم العثماني في الكتاتيب القرآنية المغربية)

محمد الزياتي

أستاذ بمركز تكوين المعلمين بالرباط

الحمد لله الذي أنزل القرآن مرتلا ترتيلا، ووعد من تعلمه وعلمه وعمل به توابا جزيلا. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه السالكين على منهجه القويم، من برعوا في الفصاحة والبلاغة فهمسوا الهاء وجهروا بالجيم، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب، وعلى كل من نقل القرآن عذبا سلسلا من الأئمة الأنجاء.

وبعد : فإن أكمل ما اعتنى به المعتنون، وأشرف ما قدمه الباحثون، وأسمى ما سعى إليه المؤلفون، ما كان في خدمة القرآن العظيم وعلومه الجليلة... وشرف الإنسان بشرف الرسالة التي يحملها، والغاية التي يسعى من أجل تحقيقها... وليس ثمة جهد يضاهي جهد العلماء، فهم مشاعل للنور والضياء في كل زمان ومكان، فقد رفع الله قدرهم وأعلى شأنهم بقوله جل وعلا ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. [الزمر:9].

ومن العناية بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تلاوته تلاوة صحيحة، تلاوة توقظ الإحساس. ذلك أن تعويد الألسن بالاستقامة في النطق له انعكاسات حميدة على استقامة اللغة وتقويم اللسان وتعويده على الفصاحة في الدرس والخطابة. وقد كان للمغاربة أشد الارتباط بعلوم القرآن منذ أبد الأبدان.

اهتمام المغاربة بالقرآن الكريم وبعلمه

لقد ظل القرآن على مر العصور والأزمنة محط اهتمام المسلمين عامة والمغاربة خاصة، حيث كانوا فرسان الميدان في حفظه وإتقانه وضبطه ورسمه. لأنهم بهروا بحسن نظمته، مما جعلهم يغترفون من معينه الذي لا ينضب، ويؤلفون التأليف العديدة في رسمه؛ الذي يعتبر من أجل العلوم وأسمائها، لتعلقه بأشرف الكتب وأعلاها. ونظرا لهذه الأهمية قيض الله عز وجل لكتابه العزيز أئمة من الفحول، اعتنوا بعلم رسمه فنقلوا كيف كتب القرآن على ما في مصحف عثمان، وبينوا كيفية ضبطه بما يزيل اللبس عن حروفه، وقد وضعوا في ذلك مؤلفات عديدة من أجلها قدرا وأعظمها نفعا: "كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار"¹، هذا الكتاب الذي قال عنه العالم الهمام ابن عبد الله محمد بن إبراهيم الشريسي المشهور بالخراز، وهو يعدد بعض أفاضل العلماء الذين ألفوا في هذا العلم:

ووضع الناس عليه كتبا كل يبين عنه كيف كتبا

أجلها فاعلم كتاب المقنع فقد أتى فيه بنص مقنع

واهتمام المسلمين بهذا العلم-الرسم العثماني- والمغاربة على وجه الخصوص لم يأت اعتباطا وإنما هوأت من اقتناعهم أن:

هذا العلم توقيفي وعليه، لا تجوز مخالفته، وسندهم ما روي عن أشهب أن الإمام مالكا بن أنس (إمام دار الهجرة)، سئل "أرأيت من استكتب مصحفا أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتابة الأولى"².

1- أبو عمرو الداني، كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ص.13.

2- الداني، المقنع، ص.19.

- ومما قاله الإمام الداني "لا مخالف له في ذلك من علماء هذه الأمة"³.
- وما قاله الإمام أحمد بن حنبل: "أتحرم مخالفة المصحف العثماني في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك"⁴.
- وما قاله الإمام الخراز في كتابه - "عمدة البيان في الزجر عن مخالفة رسم المصحف"، ما نصه :

فواجب على ذوي الأذهان	أن يتبعوا المرسوم في القرآن
ويقتدوا بما رأوه نظرا	إذ جعلوه للأنام وزرا
وكيف لا يجب الاقتداء	لما أتى نصابه الشفاء
إلى عياض أنه من غيرا	حرفا من القرآن عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو أن أبدا	شيئا من الرسم الذي تحصلا ⁵

- آت من اقتناعهم كذلك أن : القرآن أشد تفلتا من الإبل في عقلها، سندهم في ذلك ما رواه بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت"⁶.
- وما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها".
- ولعلمهم بأن القرآن الكريم بمثابة ضيف عزيز ومن واجب المضيف أن يكرم ضيفه ومن حق الضيف إذا لم يجد المضيف كريما أن يرحل. وهل يكون إكرام القرآن إلا بتعاهده وتلاوته، وعدم الغفلة عنه، وبوضع ما يحافظ على رسمه وتثبيتته في صدور حفاظه؟

3 - الداني، المقنع، ص. 19.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/460.

5- صابر حسن محمد أبو سليمان : عمدة البيان في تجويد القرآن: ص 251 - 252.

6- رواه البخاري ومسلم.

فلهذه الغاية أبدع المغاربة تقنيات معرفية حافظوا بها على هذا الرسم كما جاء في منبعه الأصلي خاصة أولئك الذين عرفوا بحفظ كتاب الله حفظاً متقناً ودون أن تكون لهم دراية بعلوم اللغة المساعدة على إقامة إعرابه.

وتعتبر الأنصاف والحطيات والرموز آليات ابتدعها الحفاظ المغاربة درءاً لهم ولغيرهم من الحفاظ من الوقوع في الخطأ سواء على مستوى الرسم أم على مستوى الأداء.

فما الأنصاف، والحطية، وما الرموز؟ وما وظائفها؟ نماذج لكل تقنية، كيفية الحصول على هذه الآليات، ذلك ما سنتطرق إليه في هذا العرض المتواضع.

أولاً: تحديد المفاهيم المركزية

1- مفهوم الأنصاف

الأنصاف جمع نص وهو من جموع القلة على وزن أفعال. وهي عبارة عن قواعد منظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة ينظمها الفقهاء لتلامذتهم بطريقة عفوية.

ومصطلح الأنصاف مصطلح مغربي صرف نجده في كثير من الاستعمالات اليومية على شكل جمع أو مفرد.

"النص في الراس والخسارة في الكراس" ويقصد به التلميذ -المسافري- المحضار الذي لا يحسن تطبيق ما يحفظه من قواعد عند كتابة اللوح أو أداء القراءة.

- "حافظ أنصافوا": يقصد بها المسافري -المحضار- التلميذ السريع البديهة في الإستشهاد بما يحفظه من نصوص وقواعد ومنظومات.

- "اللي ما يقرأ الأنصاف يبقى لوحو رصاص": يقصد بها لمن يترك اللوح ثقيلاً بالأخطاء القرآنية.

ويقولون : "للي ما عندو نص لص".

كما يقولون : "للي ما عندو نصاص كالخيمة بلا خصاص".

2 - مفهوم الخطية

الخطية تقنية من التقنيات التي ابتدعها الحفاظ درءا لهم ولغيرهم من الحفاظ والمتعلمين من الوقوع في الخطأ أثناء كتابتهم للألواح أو استظهارهم لما يحفظونه. ويعتبر الفقيه أعجلي من مؤسسي مدرسة الخطية بالمغرب. هاته المدرسة التي تركت القراءات جانبا واعتمدت اتجاهها آخر هو دراسة القرآن من الجوانب اللفظية فأحصت ما فيه من كلمات وحروف وجمل متكررة أو متشابهة فوضعت فوقها أرقاما تدل على عددها مع الإشارة إلى مكان وجودها⁷.

3 - مفهوم الرموز

الرموز تقنية من التقنيات التي ابتدعها الحفاظ لتقييد العديد من الكلمات، والمواضع الخاصة برسم القرآن والعاملة على تيسير حفظه. فهي تبدو غريبة في طريقة صياغتها لكنها تنم عن نبوغ وحذق لدى هؤلاء الحفاظ، ولتوضيح أهميتها لدى القارئ الكريم نأخذ النص التالي الذي يقيد لنا لفظة "أينما" التي وردت متصلة في مجموع القرآن الكريم حيث يقول الناظم:

ما ننسخ فليقاتل فضل وينته أينما بالاتصال دال عددهم

فالنص يحدد لنا المواضع الأربعة التي ذكرت فيها كلمة "أينما" متصلة في مجموع القرآن الكريم.

والرمز كي يحصر هذه اللفظة "أينما" ويحدد مواضعها لا يتضمن إلا أربعة حروف وهي "مفول"، فالرمز غالبا ما يأتي بعد النص.

7- الدكتور عبد العزيز العيادي: الانصاف القرآنية (رواية ورش)، ج 1 ص 106.

ثانيا- وظائف الأنصاف والخطية والرموز:

يمكن تصنيفها إلى صنفين رئيسيين:

أ) وظائف عامة: والمقصود بها:

- ضبط قضايا تتسم بالعموم ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تحديد موقع الكلمات وعددها.

ب) وظائف خاصة: تتعلق ببعض المشاكل التي تعترض الحفاظ، إن على مستوى الرسم أو الأداء في مواطن معينة. وعليه تكون وظائف الأنصاف والخطية والرموز بشكل عام:

- 1- تبيان كيفية رسم الكلمات حسب ورودها في المصحف الكريم.
- 2- تثبيت الآيات المتشابهة التي يصعب حفظها وتذكرها.
- 3- تأطير الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإثبات والضبط.
- 4- تأطير الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو كيفية أدائها.
- 5 - جعل الحافظ لكتاب الله في منأى عن الوقوع في الخطأ إن على مستوى الرسم أو الأداء.

ثالثا: نماذج توضيحية:

أ) من الأنصاف:

1 - نماذج متعلقة بالرسم:

النص 1: لكيلا بالاتصال:

قال الناظم:

تصعدون والحج نكحتم ألم يان لكيلا بالاتصال دال عددهم⁸

8- محمد الزيناني- عبد المطلب الهاشمي- الأنصاف التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني- بحث لنيل الإجازة تحت إشراف الدكتور التهامي الراجي، شعبة الدراسات الإسلامية السنة الجامعية 89 - 90، ص 77.

لما رأى الناظم كثرة اللبس والخلط في وسط الحفاظ عند كتابتهم للفظـة "لكيلا" أبى جزاه الله خيرا، إلا أن يجنبهم الوقوع في هذا الخلط، ناظما لهم هذا النص الذي يضبطه ويسهل على الحفاظ تجنب الوقوع في هذا الخلط بين لفظـة "لكيلا" متصلة ومنفصلة. فالنص يحدد المواضع التي وردت فيها لفظـة "لكيلا" متصلة في مجموع القرآن الكريم.

- الموضع الأول: في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الآية 153.

- الموضع الثاني: في قوله تعالى من سورة "الحج": ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْحَلِ الْعَمَلِ لَكَيْلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...﴾ الآية 5.

- الموضع الثالث: في قوله تعالى من سورة "الأحزاب": ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا...﴾ الآية 50.

- الموضع الرابع: في قوله تعالى من سورة الحديد ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ...﴾ الآية 23.

والناظم وهو يحدد هذه المواضع فإنه يحترز من التي وردت مثلا منفصلة، في سورة "الأحزاب" في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ زَيْجُهُمَا وَلُصِرَ زَوْجُهُمَا لَكَيْلًا لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ...﴾ الآية 37.

النص 2 : فنجيانه

قال الناظم:

ثلاثة فاعلم فنجيانه وائل أنومن مع رشده⁹

9 - الدكتور عبد العزيز العيادي - الأنصاف القرآنية، ج2، ص 710.

وجه الاستدلال من هذا النص أن الناظم حدد فيه الأماكن التي وردت فيها كلمة "فنجينه" وقد وردت في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

- **الموضع الأول:** في قوله تعالى من سورة "يونس" ﴿فَكُذِّبُوا فَنَجَّيْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ الآية 73. وهو الموضع المشار إليه بـ "واتل" أي نصف الحزب 22.

- **الموضع الثاني:** في قوله تعالى من سورة "الشعراء": ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الآية 170. وهو الموضع المشار إليه بـ "أنؤمن".

- **الموضع الثالث:** في قوله تعالى من سورة "الأنبياء": ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الآية 76. وهو الموضع المشار إليه بـ "رشده" أي نصف الحزب 33.

والناظم وهو يحدد هذه المواضع يحتز من اللتين في سورة "الأنبياء" مثلاً من قوله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلَوْحًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الآية 71. ومن التي في نفس السورة من قوله تعالى ﴿وَلَوْحًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَاسْقِينَ﴾ الآية 74.

النص 3: رحمت

قال الناظم:

في واذكروا مع صرفت يا صالح رتلا أفحسب فأقم جنتكم وقل معا

رحمت بتلق التاء هاك فسبعة¹⁰ لا إله إلا الله محمد رسول الله

وجه الاستدلال من هذا النص، أن الناظم حدد فيه كلمة "رحمت" التي وردت مبسوبة في القرآن الكريم فعلى ضوء النص، وردت في المواضع التالية:

10- محمد الزباني - عبد المطلب الهاشمي - الانصاف التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني، ص 102.

- الموضع الأول: في قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿أولئك يرجون رحمت الله، والله غفور رحيم﴾ الآية 218. وهوالمشار إليه بـ"واذكروا".

- الموضع الثاني: في قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ الآية 56. وهوالمشار إليه بـ "صرفت"

- الموضع الثالث: في قوله تعالى من سورة هود: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ الآية 73. المشار إليه بـ "يا صالح"

- الموضع الرابع : في قوله تعالى من سورة مريم: ﴿ذكر رحمت ربك عبده زكرياء إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ الآية 2-3 . المشار إليه بـ "أفحسب".

- الموضع الخامس: في قوله تعالى من سورة الروم: ﴿فانصر إلى أثر رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ الآية 50. المشار إليه بـ "فأقم".

- الموضع السادس والسابع في سورة الزخرف من قوله تعالى ﴿أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ الآية 32. وهوالمشار إليه بـ "جئتكم وقل معاً"

النص 4 : إثبات الألف مجزوما بعد الواو

قال الناظم:

وأثبتت الألف بعد الواو أو يعفو في البكر قال الراوي

وأثقلت دعواً الله في الأعراف لتتلوا في الرعد بلا خلاف

لن ندعوا في الكهف خذ مثال وأن أتلوا القرآن في النمل

- ليلاً ونبلوا حرفان في سورة القتال موضعان
 وكلهم بالجزم فوق الألف إلا دعوا الله في الأعراف¹¹
- حدد الناظم في هذا النص مواضع الكلمات التي أثبت فيها الألف مجزوماً بعد الواو مستثنيا دعوا الله فإنها بدون جزم.
- الموضع الأول في سورة البقرة قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاءِ﴾ الآية 237. وهو المشار إليه بـ "البكر".
- الموضع الثاني في سورة الأعراف: 189 قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوُا اللَّهَ رُبُّهُمْ... لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وهو المشار إليه في الأعراف.
- الموضع الثالث في سورة الرعد قال تعالى: ﴿لَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ الْخَبْرَ أَوْحِينَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية 30.
- الموضع الرابع في سورة الكهف: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ الآية 14.
- الموضع الخامس في سورة النمل قال تعالى: ﴿... وَلَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ الآية 92.
- الموضع السادس والسابع في سورة القتال (محمد) قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية 4.
- وفي قوله تعالى من نفس السورة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ الآية 31.

11- عن الشيخ المكي الهاشمي الحمري، عافاه الله - مدرر كتاب قرآني، حي العكاري، مخطوط، نسخة خاصة.

النص 5 : قل لله بالإدغام

قال الناظم:

سيقول أوحيت اظلم مكملًا قل لله بالإدغام جيم عددهم¹²

وجه الاستدلال من هذا النص، أن الناظم حدد فيه مبحث قل لله بالإدغام، الذي ورد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

- الموضع الأول: في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ الآية 142.

- الموضع الثاني: في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ الآية 12.

- الموضع الثالث: في سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ الآية 44.

النص 6: نعمت

قال الناظم:

الخمر لن تنالوا والثاني في حرمت اثنين في بدلوا ثلاثة حفدة

من يسلم أعظكم والطور مكملًا نعمت بطلق التاء أي¹³ عددهم¹⁴

يستفاد من هذا النص، أن ناظمه تحدث من خلاله عن كلمة "نعمت" مبسطة التاء في مجموع القرآن الكريم وحدد مواضعها:

12- محمد الزياتي - عبد المطلب الهاشمي - الانصاف التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني، ص 86.
13- المقصود به العدد 11 فرقم الألف واحد والياء عشرة وعليه فيكون المجموع 11 حسب ترتيب الحروف الأبجدية وهو ما يسمى بحساب الجمل.

14- محمد الزياتي - عبد المطلب الهاشمي - الانصاف التي قيد بها حفاظ رواية ورش الرسم العثماني، ص 103.

- الموضع الأول: في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعصمكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ الآية 231. وهوالمشار إليه من طرف الناظم بقوله "الخمر" أي الربع الثاني من الحزب الرابع ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾

- الموضع الثاني: في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ... تهتدون﴾ الآية 103. وهوالمشار إليه بـ "تناولوا" أي الحزب السابع من القرآن الكريم.

- الموضع الثالث: في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ الآية 11. وهوالمشار إليه من طرف الناظم بـ "حرمت". أي نصف الحزب 11.

-الموضع الرابع والخامس: في قوله تعالى من سورة إبراهيم: ﴿ألم تن إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دارالبوار جهنم يصلونها وبيس القرآن﴾ الآية 28-29. وهوالمشار إليه بـ "بدلوا" أي الربع الأخير من الحزب 26.

وفي قوله تعالى من نفس السورة: ﴿وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفار﴾ الآية 34.

-الموضع السادس والسابع والثامن: في قوله تعالى من سورة النحل: ﴿أفبالباهل يؤمنون وينعمت الله هم يكفرون﴾ الآية 72.

وفي قوله تعالى : من نفس السورة: ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ الآية 83.

وفي قوله تعالى من نفس السورة: ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ الآية 114.

- الموضع التاسع: في قوله تعالى من سورة لقمان: ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته...شكور﴾ الآية 31. وهو المشار إليه بـ "ومن يسلم" أي الحزب 42.

- الموضع العاشر: في قوله تعالى من سورة فاطر: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنسى توفكون﴾ الآية 3.

- الموضع الحادي عشر: في قوله تعالى من سورة الطور: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ الآية 29.

فيد الناظم لفظة نعمت بهذه المواضع احترازا من التي في سورة إبراهيم مثلا في قوله تعالى ﴿ولم يقل موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم﴾ الآية 6، وغيرها كثير.

2- نماذج متعلقة بالمتشابهات اللفظية القرآنية

المراد بالمتشابهات اللفظية القرآنية الحروف التي تشكل على المبتدئ سواء على مستوى تقديم الكلمة أو تأخيرها، أو زيادة حرف أو نقصانه، أو تبديل حرف بآخر، فعلى مستوى التعليم في الكتابات القرآنية اهتم الفقهاء المدرسون بمثل هذه المتشابهات اللفظية وأطروها في أنصاف لتقريبها إلى (المسافرية - المحضرة) اختصارا للوقت ليتمكن هؤلاء من حفظها دون الوقوع في الأخطاء التي تنجم عنها. وقد اخترت من أنصاف المتشابهات ما كان له أهمية خاصة شكلا ومضمونا¹⁵.

النص 7: بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به

قال الناظم:

يا طالبا تقرأ وتخش في الجبال قدم لكم أخربه في لن تنال¹⁶

15- عن الدكتور عبد العزيز العيادي - الأنصاف القرآنية - ج 2 ، ص: 617. بتصرف.

16- ناولني هذا النص الشيخ زين العقيل إمام مسجد حي يعقوب المنصور، الرباط.

من المشاكل اللفظية القرآنية التي تشكل على الحفاظ "تقديم الكلمة أو تأخيرها" ورفعاً لهذا الإشكال نظم الناظم هذا النص ليزيل كل خلط ولبس حيث أمر بتقديم "لكم" وتأخير به في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتؤمنن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ الآية 126. وهو المشار إليه من طرف الناظم بـ (لن تنالوا) حتى لا يحدث للحافظ خلط بين هذه الآية وشبهاتها التي في سورة الأنفال، في قوله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتؤمنن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ الآية 10.

النص 8: الصم والبكم والعمي

قال الناظم¹⁷:

صم في ظلمات لا يرجع ينعق فلا يعقل دعاء لا يسمع

وجه الاستدلال من هذا النص أن الناظم حفظه الله، لما رأى كثرة اللبس والخلط في وسط الحفاظ عند تلاوتهم للآيتين المتضمنتين لـ الصم والبكم والعمي من سورة البقرة أبى إلا أن يجنبهم الوقوع في هذا الخلط ناظماً لهم هذا النص الذي يضبطه، ويسهل على الحفاظ تجنب الوقوع في الخلط بين الآيتين الكريميتين.

- فالشطر الأول من البيت: يشير للآية الأولى في قوله تعالى ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون...﴾. البقرة الآية 17-18.

17- الدكتور التهامي الراحي الهاشمي من مواليد قرية البهاليل قرب مدينة فاس بالمغرب سنة 1936 ومن الذين أسهموا ويسهمون في ازدهار الحركة الفكرية، ومن المهتمين بالدراسات القرآنية إطلاعا وتدريسا وتأليفا (وعنه أخذت هذا النص).

- والشرط الثاني: يشير إلى الآية الثانية من سورة البقرة في قوله تعالى:
﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم
عمي فهم لا يعقلون...﴾ البقرة الآية 171.

النص 9: ليطفئوا مع والله متم نوره

قال الناظم:

ولام كي مع يطفئوا مذكرة من قبل والله متم نوره

في سورة الصف بلا ارياب فاحفظهما هديت للصواب¹⁸

يستفاد من هذا النص أن صاحبه لما رأى كثرة اللبس والخلط والخطأ، إن
على مستوى الرسم أو على مستوى الأداء في الآيتين المتشابهتين الواردة إحداهما
في سورة التوبة في قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُكْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَبْئِسَ اللَّهُ إِلَّ
أَن يَتِمَّ نَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ...﴾ الآية 32. والثانية التي في سورة "الصف"
في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُكْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمَّ نَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ...﴾ الآية 8. نظم لهم هذا النص كي يرفع عنهم هذا الإشكال. كما
أن هناك نصا آخر يشرح جزءا من هذا النص، قال ناظمه:

يطلبوا تقرأ وتأكّل تفاحة يريدون ليطفئوا في سبح

النص 10: اللهو قبل اللعب

قال الناظم:

في سورة الأعراف مع العنكبوت اللهو قبل اللعب اقرأه حتى تموت¹⁹

وجه الاستدلال من النص أن اللهو قبل اللعب ورد في موضعين من القرآن الكريم.

18- عبد العزيز العبادي، الأنصاف القرآنية، ج2، ص: 702.

19- عن شَيْخِي السيد عبد الرحمن بن حيدة، منطقة دكالة.

- الموضع الأول: في سورة "الأعراف" قال الله تعالى ﴿الذين اتخذوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا... بَايَاتِنَا يَجْعَدُونَ...﴾ الآية 51.

- الموضع الثاني: في سورة العنكبوت ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ...﴾ الآية 64.

والناظم وهو يقيّد هذه المواضع فإنه يحترز في نفس الوقت من الأماكن التي ورد فيها اللعب قبل اللهو مثلاً في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ الآية 70. من سورة "الأنعام" فقد ورد هنا اللعب قبل اللهو كما ورد في أماكن أخرى.

النص 11: وإذ قلنا ادخلوا - فكلوا يغفر خطاياكم وستريد
قال الناظم:

في تلبسوا قلنا فكلوا رغدا يغفر لكم خطاياكم وستريد أبدا²⁰
من المشاكل القرآنية التي تعترض الحفاظ في الكتابات القرآنية وهم يكتبون
ألواحهم أو يستظهرون ما حفظوه تشابه الآيتين الآية من سورة البقرة 58، والآية
161 من سورة الأعراف. فرفعاً لهذا الإشكال حدد الناظم أماكن تواجد هذه
الألفاظ كما هو وارد في النص أعلاه وإلى ذلك أشار بقوله "في تلبسوا" وهو
الربع الثالث في سورة البقرة، قال الله عز وجل ﴿وَلِذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَرْيَةٍ
فَكُلًّا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَلَدْخُلُوا الْبَابَ مُجِبِّينَ وَقُولُوا حُكْمًا يُغْفَرُ لَكُمْ
خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة الآية 58.

أما التي في سورة الأعراف فقد قال الله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَرْيَةٍ
فَكُلًّا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حُكْمًا وَادْخُلُوا الْبَابَ مُجِبِّينَ تَغْفِرَ لَكُمْ
خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية 161.

20- عبد العزيز العيادي، الانصاف القرآنية، ج 2 ، ص: 904.
238

النص 12: لعلّي آتيكم

قال الناظم:

لعلّي آتيكم في القصص وطه سآتيكم في النمل لا تنساها²¹

رفعا لكل إشكال قد يقع فيه الحفاظ أثناء آدائهم أو كتابتهم للألواح في
مبحثي لعلّي آتيكم وسآتيكم نظم الناظم هذا النص محمدا أماكن المبحثين معا.

الشرط الأول من النص يحدد موضعا لعلّي آتيكم الواردة في سورة طه في
قوله تعالى: ﴿... إني أنست نارا لعلّي آتيكم منها بقبس أو أبعث على النار
هدى﴾ الآية 10.

والواردة كذلك في سورة القصص في قوله تعالى : ﴿إني أنست نارا لعلّي
آتيكم منها بخبير أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ الآية 29.

أما الشرط الثاني فقد حدد فيها الناظم موضع سآتيكم الواردة في سورة
النمل في قوله تعالى: ﴿إذ قال موسى لأهله إني أنست نارا سآتيكم منها بخبير
أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون﴾ الآية 7.

ب- نماذج متعلقة بالخطية

5	5	5
فلبتتافس	مثابة	لكننا هو
دنا فتدلى	مثاني	يتناهون
إنا فتحنا	المثاني	والناهون
نافلة	ثاني	إنا هدنا
نافقوا	وثامنهم	إنا هديناه (هديناه)

3	3	3
ذمة يرضونكم	نتقنا الجبل	إمرأة خافت
آية يعرضوا	جنا الجنتين	كاذبة خافضة
عاهة يعبدون	كلتا الجنتين	كرة خاسرة

3	3	3
محشورة كل	نبؤا عظيم	فوقهم قهرون (قاهرون)
جائية كل	يبدؤا الخلق	قلوبهم قسية (قاسية)
منشرة كلا	نبؤا الخصم	قتلهم الله (قاتلهم)

3	3	3
قربانا	الأوثن (الأوثان)	بالألقب (بالألقاب)
ركبانا	الثثن (الثلثان)	أعقبكم (أعقابكم)
رهبانا	يستغيثن (يستغيثنان)	متقبلين (متقابلين)

2	2	2
نسبا حوقما	بقرة صفراء	يستمع الآن
الرياح مبشرت (مبشرات)	مائة صابرة	في شيع الأولين

2	2	2
قال تزرعون	فذودعاء	ولوردوه
قال تالله	تذودن (تذودان)	ولورحمنهم (ولو رحمناهم)

2	2	2
من استبرق	راكعا	في الميعد (في الميعاد)
قل استهزءوا	متراكبا	والعديت (والعاديات)

2	2	2
أضغث (أضغاث)	عقبتهما (عاقبتهما)	الروح
فاستغثه (فاستغاثه)	عقدت	وعتوتوا

ج- نماذج من الرموز:

من الرموز التي وظفها الحفاظ للحفاظ على الرسم العثماني وعلى تيسير حفظ القرآن ما يلي:

*خذ حب غنمك

الرمز أعلاه خاص بالكلمات القرآنية التي وردت فيها الراء الثابتة وبعدها النون.
ولتقريب هذا الرمز من القارئ الكريم عملنا على تبسيطه في الجدول التالي:

الرمز	الحرف	الكلمة	الآية	رقمها	سورتها
خ	الخاء	خسران	"ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا"	119	النساء
ذ	الذال	ذكرانا	"أوزير وجههم ذكرانا وإنانا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير"	50	الشورى
ح	الحاء	حيران	"كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران"	71	الأنعام
ب	الباء	بل ران	"كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"	14	المطففين
غ	الغين	غفرانك	"غفرانك ربنا وإليك المصير"	285	البقرة
ن	النون	نصرانيا	"ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين"	67	آل عمران
م	الميم	من قطران	"سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليحزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب"	51	إبراهيم
ك	الكاف	كفران	"فلا كفران لسعيه وإننا له كاتبون"	94	الانباء

*سذك عش

الرمز أعلاه خاص بالكلمات التي وردت في القرآن الكريم بتاء مربوطة ومضمومة وأمامها ألف وصل. نوضح ذلك في الجدول التالي:

الرمز	الحرف	الكلمة	الآية	رقمها	سورتها
س	السين	سكرة الموت	"وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد"	19	ق
د	الدال	دعوة الحق	"له دعوة الحق"	14	الرعد
ك	الكاف	كثرة الخبيث	"ولو أعجبك كثرة الخبيث"	100	المائدة
ع	العين	عقدة النكاح	"ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله"	235	البقرة
ش	الشين	شجرة الزقوم	"أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم"	62	الصفافات

*مبكيخ

الرمز أعلاه خاص بالكلمات القرآنية التي وردت فيها الخاء ثابتة وبعدها طاء، نوضح ذلك في الجدول التالي:

الرمز	الحرف	الكلمة	الآية	رقمها	سورتها
م	الميم	من الخاطئين	"يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين"	29	يوسف
ب	الباء	بالخاطئة	"وجاء فرعون ومن قبله والموتفكات بالخطئة"	9	الحاقة
ك	الكاف	كاذبة خاطئة	"ناصية كاذبة خاطئة"	16	العلق
خ	الخاء	خاطبيهم الجاهلون	"وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"	63	الفرقان

*عد ثورهم

الرمز أعلاه خاص بالياءات التي وردت في القرآن الكريم دون تشديد وبعدها تنوين، نوضح ذلك في الجدول الآتي:

الرمز	الحرف	الكلمة	الآية	رقمها	سورتها
ع	العين	عاليا	"إنه كان عاليا من المسرفين"	31	الدخان
د	الدال	داعيا	"وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"	46	الأحزاب
ث	الثاء	ثاويا	"ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم ءايتنا ولكننا كنا مرسلين"	45	القصص
و	الواو	واديا	"ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون"	121	التوبة
ر	الراء	رابيا	"أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا.."	17	الرعد
هـ	الهاء	هاديا	"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا"	31	الفرقان
م	الميم	مناديا	"ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا".	193	آل عمران

رابعا: كيفية الحصول على هذه الآليات (مصادر الأنصاف والخطية والرموز).

من خلال المعاشية المستمرة التي قضيتها مع الأنصاف القرآنية أثناء المدة التي قضيتها في حفظ القرآن، ومن خلال البحوث التي أنجزتها وأنا طالب جامعي

تبين لي أن مصادرها ترجع في مجملها إلى الآتي:

- 1- قريحة الفقهاء المتضلعين في القرآن الكريم رسما وضبطا وتجويدا كما أشار إلى ذلك الدكتور عبد العزيز العيادي في كتابه الأنصاف القرآنية.
- 2- مؤلفات الفقيه أعجلي البعقلي السوسي وهي عبارة عن مخطوطات خاصة تحتاج إلى من يفك ألغازها.

- 3- مؤلفات الحاج محمد أشماخ الحزمري وهي أيضا عبارة عن مخطوطات خاصة تحتاج بدورها إلى من يخرجها إلى حيز الوجود.
- 4- الحدفيات والتبتيات المتعددة الجنسيات والتي على رأسها حدفية ورسمية الرجراجي - وتبتية محمد بن عبد الله زيان.
- 5- وقفية الإمام الهبطي والإمام أعجلي.
- 6- فتاوي العلماء المتصدرين للقراءات في المغرب.
- 7- الأخذ المباشر من الفقهاء المزاولين لمهنة التدريس.
- 8- الأنصاف القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي، وقد أشار جزاه الله خيرا إلى هذه المصادر وأثبتها في كتابه.

خاتمة:

من خلال هذه المداخل المتواضعة، يتضح جليا مدى أهمية الأنصاف والخطية والرموز في الحفاظ على رسم القرآن وتقييد آياته المتشابهة وتيسير حفظه، وبالتالي فإننا نؤمن إيمانا راسخا بنجاعة هذه التقنيات التي يغفلها الكثير. بيد أنه ما من فقيه فقيه إلا ويحفظ قسطا من هذه الأنصاف والخطية والرموز كحفظه للقرآن الكريم. من هذا المنطلق نرى أنه يكون لزاما على كل من يتوخى حفظ القرآن الكريم وتقييد آياته المتشابهة الإمام بهذه التقنيات (الأنصاف الخطية الرموز...).

إن فقهاءنا وشيوخنا حفاظ القرآن الكريم، خلفوا لنا ذخائر ونفائس علمية تفوق الحصر والعد، كونوا لنا المادة الخام التي تعتبر بمثابة تركة يجدر بنا الحفاظ عليها.

إن المكتبات الخاصة تضيق بالمخطوطات التي تحتاج إلى من يفك ألغازها، أرجو أن تكون لنا الغيرة على هذا التراث وأرجو أن نشمر على ساعد الجد لننفض عنه الغبار ونخرجه من الرفوف ومن صدور الفقهاء والحفاظ إلى حيز الوجود، لأن البرور بالسلف يقتضي الاعتزاز بهم والكشف عن حياتهم والتنقيب عن أعمالهم والتحدث للذرية والأحفاد عنهم وبذلك يتصل سند الأمة ويتسلسل مجدها.

هذه مداخلتي المتواضعة التي لا أدعي فيها الكمال، فالكمال لله وحده، فإن وفقت فمن الله تعالى، وإن كان غير ما يطمح إليه الباحث فهومني ومن نزعات الشيطان؛ واستغفر الله من ذلك، وحسبي أنني بذلت ما في وسعي من جهد في البحث والتقصي.

وأخيرا وليس آخرا أردد ما قاله الإمام الشاطبي في منظومته الشهيرة "حرز الأمانى ووجه التهاني":

جزا الله بالخيرات عنا أئمة لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا²²

22- البيت العشرون من منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني.
245

الأنصاف آلة ساعرة لضبط الرسم العثماني عند المغاربة : نصرة الكتاب نموذجا

سيدي محمد واحدي

عضو المجلس العلمي المحلي بالرشيدية

مقدمة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾¹ وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾² إنه وعد من الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التبديل والتحريف. وقد انفرد القرآن الكريم بهذه المزية دون سائر الكتب السماوية الأخرى. فقد هيا الله سبحانه وتعالى هذه الأمة لتتسابق طائفة منها لخدمة كتاب الله تعالى كتابة وقراءة وتفسيراً، وكلهم أمل في أن يكونوا من أهل القرآن عملاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْغَافِلِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُولَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾³. وعملاً بقول الرسول ﷺ: "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه"⁴. وقد حث الرسول ﷺ منذ بعثته على تعلم الكتابة مجيها ربه الذي دعاه منذ أول آية نزلت عليه إلى تعلمها لما لها من أهمية بالغة في حفظ المنطوق وتسهيل استذكاره بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁵. وقوله جل شأنه: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْخُرُونَ﴾⁶. ومن هنا تظهر أهمية الكتابة والتوثيق إلى جانب

1- سورة الحجر، الآية:9.

2- سورة القيامة، الأيتان: 16-17.

3- سورة فاطر، الأيتان: 29-30.

4- صحيح البخاري من كتاب فضائل القرآن : 353/3.

5- سورة العلق، الأيات: 3-4-5.

6- سورة القلم، الآية:1.

الحفظ. وقد سار حفظ القرآن الكريم في الصدور وتدوينه في السطور جنباً إلى جنب منذ نزول أول آية على النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وسيبقى إن شاء الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المحور الأول: اعتناء المسلمين بتدوين القرآن الكريم

منذ نزول أول آية على رسول الله ﷺ، كان عليه الصلاة والسلام يتلقى ما يوحى إليه من ربه فيحفظه ويعيه، ويحفظه أصحابه رضوان الله عليهم فيحفظونه مجوداً مرتلاً عملاً بتوجيه الله تعالى ﴿وَرَقُلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁷.

فيأمر ﷺ كتاب الوحي بتدوينه مبيناً عليه الصلاة والسلام موضع ما أنزل عليه قائلاً: "ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا قبل كذا وبعد كذا..."⁸. وتحرياً لعدم الخلط بين القرآن الكريم والحديث الشريف كان ﷺ يقول: "من كتب عني غير القرآن فليمح" ⁹ وقد وضع ﷺ منهاجاً لوضع الحروف. فقد نقل ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدبائغ أنه قال له: "ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولو شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصائها لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار التي خص بها كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية وكما أن نظم القرآن معجز فرسه معجز" ¹⁰. ولا بد من الإشارة في هذا المقام إلى أن القرآن كتب على عهد رسول الله ﷺ غير منقوط ولا مشكول. وأعني بالرسم القرآني الذي أقره رسول الله ﷺ هو أوضاع حروف القرآن الكريم في الصحف التي كتبت بحضور رسول الله ﷺ بدون

7- سورة المزمل، الآية: 4.

8- رواه الإمام أحمد في مسنده: 75/1.

9- مسند الإمام أحمد: 12/3.

10- د. محمد يعقوبي خبيزة، الوجيز في المدخل إلى تفسير القرآن: ص. 90.

تنقيط ولاشكل. وإلى هذا أشار العلامة التهامي الراحي الهاشمي في الدرس الحسني الذي ألقاه بين يدي جلاله المغفور له الحسن الثاني قدس الله روحه يوم الجمعة 13 رمضان 1419هـ بقوله: "الرسم العثماني هو الصوامت فقط دون سواها

- Les consonnes et seulement les consonnes -

وأما الحركات، وأما النقط، وأما الهمزات فهو الضبط الذي يضاف إلى الرسم العثماني قصد إغناء الأداء الحامل لمراد الله من كلامه، هذا الضبط يضاف إلى الرسم لإغناء النص القرآني الذي أداه الرسول ﷺ بأمر من ربه¹¹. ولم يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا والقرآن محفوظ في الصدور ومكتوب في السطور حسب الطريقة المشار إليها سابقا، غير أنه لم يكن مجموعا بين دفتي كتاب واحد. فكان أول جمع له على يد خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم من بعده على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ليتم بذلك جمع المصحف الإمام. وقد رتبت سورته وضمنها آياته وفق ما أمر به رسول الله ﷺ كتابه. وكانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل. ونظرا لاعتناق الإسلام من طرف عدة أجناس فإنه كثر اللحن والخطأ في النطق بالآيات القرآنية، الشيء الذي يفسد المعنى فأحس أولو الأمر بالخطر، فوضعوا علامات تساعد على النطق السليم دون المساس بالرسم العثماني. وأطلق على هذه العلامات نقط الإعراب ونقط الاعجام وأدخلت على هذه العلامات بعض التحسينات حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن في المصاحف.

وخلاصة القول فإن المسلمين قد اهتموا بتدوين القرآن الكريم اهتماما كبيرا. ويتجلى هذا الاهتمام في عدد المصاحف على اختلاف أشكالها الموجودة في العالم بأسره حيث إنها لا تعد ولا تحصى، أضف إلى ذلك عدد المؤلفات التي

11- د. التهامي الراحي الهاشمي، القراءة والرسم القرآني، الدروس الحسنية لعام 1419 ص 133.

تزخر بها المكتبات الإسلامية في رسم القرآن الكريم وذلك على امتداد رقعة العالم الإسلامي وتاريخه العريض.

المحور الثاني : انتشار القرآن الكريم بالمغرب واهتمام المغاربة بالرسم العثماني

1. العوامل التي ساعدت على انتشار القرآن الكريم بالمغرب

دخل القرآن الكريم إلى المغرب مع دخول الفاتحين الذين كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار ثم عرف انتشارا واسعا بفضل:

أ- **البعثات** : ابتداء من البعثة التي تركها عقبة بن نافع الفهري خلال فتحه للمغرب - 62 هـ - وذلك أنه لما أراد العودة إلى المشرق العربي عين جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين¹². ثم بعد ذلك بعثة موسى بن نصير الفاتح الثاني للمغرب، وبعثة عمر بن عبد العزيز الذي أرسل معلمين للمغرب لتعليم الناس أمور دينهم.

ب- **الكتاتيب**: يعتبر الكتاب أول معهد مستقل بمهمة تعليم القرآن الكريم وتحفيظه وقد اعتنى المغاربة بهذه الكتاتيب عناية فائقة، بحيث لا يمكن أن توجد قرية أو مدينة إلا وتجد بها كتابا أو أكثر بجانب كل مسجد، وأكثر من هذا فقد أوقفوا لها الأوقاف الوفيرة مما يضمن بقاءها وحياتها.

ج- **الزوايا**: لقد قامت الزوايا بالإضافة إلى ذكر الله تعالى بتخريج أفواج عديدة من حملة كتاب الله عز وجل بل ومفتين وقضاة...

د- **الرتبة**: وهو نظام تعليمي يتحمل فيه السكان (أهل القرية) تكاليف إقامة الطلبة القادمين من مختلف المناطق قصد حفظ القرآن الكريم، بحيث إن

12- عبد السلام أحمد الكنوني، المدرسة القرآنية بالمغرب: ص. 30.

الأهالي يوفرون لهؤلاء الطلبة الوجبات الغذائية اليومية بانتظام، ويكرمونه، ويترلوهم منزلة أبنائهم إلى أن ينعم الله عليهم بحفظ كتابه العزيز واستظهاره.

هـ - **قراءة الحزب**: فسنة قراءة الحزب التي سنها المغاربة مرتين كل يوم في جميع المساجد والزوايا قد ساعدت كثيرا على نشر القرآن الكريم حفظا وترتيلا خصوصا بالنسبة للذين لم يتمكنوا من حفظه في الصغر.

2. اهتمام المغاربة برسم القرآن الكريم

لقد اهتم المغاربة برسم القرآن الكريم اهتماما لا مزيد عليه، واحتراما لمقام الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين، التزموا بالرسم العثماني والضبط الذي أجمعت عليه الأمة باعتبارهما شيئا متلازمان لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر، فاهتموا برسمه وضبطه وحصر الكلمات المتشابهة فيه، وعد أجزائه وأجزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وكلماته وحروفه.

فوضعوا لذلك رموزا تساعدهم على الاحتفاظ به كما رسمه كتبه المصحف الإمام وما اجتمعت عليه الأمة من الضبط والشكل وسموها بالأنصاف خصوصا إذا علمنا أن كثيرا من الكلمات في القرآن الكريم خرجت عن الخط القياسي مرات وكتبت به مرات أخرى.

فأني لإنسان أن يتذكر مثلا أن كلمة كتاب تكتب محذوفة هنا وثابتة هناك إن لم يقيدها بنص أو رمز يسهل حفظها ويرشده إلى طريقة كتابتها بأسرع وقت ممكن. فما هي الأنصاف يا ترى؟

الأنصاف: الأنصاف جمع نص وهو جمع قلة على وزن أفعال يقول ابن

مالك:

ثَمَّةُ أَفْعَالٍ جُمُوعٌ قِلَّةٌ

أَفْعَلَةٌ أَفْعُلٌ ثَمَّ فِعْلَالَةٌ

وقد عرفت الأنصاف بتعاريف عديدة أذكر منها على سبيل المثال:
الأنصاف مصطلح متداول بين أرباب القراءة في المغرب للتعبير عن مجموعة من القواعد التي تؤثر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو في كيفية أدائها. كما تؤثر هذه الأنصاف الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإضافة مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم إما بواسطة السور أو بواسطة الأحزاب والأربع والأثمان¹³.

وهي عبارة عن كلمات مترابطة تحمل معنى من المعاني أو حكمة من الحكم هدفها التقييد والتأطير للكلمات والألفاظ القرآنية الخارجة عن القياس في رسمها أو كيفية أدائها. كما تبين هذه الأنصاف ما تشابه وروده من آي القرآن، كالتقديم والتأخير والزيادة والحذف، مع ذكر موقعها في المصحف بالتصريح باسم السورة أو بعلامة فيها أو بكلمة مشهورة أو بذكر الحزب الذي وقعت فيه. والهدف العام من هذه الأنصاف يتمثل في المحافظة على تواتر الرسم العثماني الذي يحمل بين طياته مواضع الإعجاز ثم الحفاظ على القراءة الصحيحة المنقولة عن ورش عن نافع. وبهذين العنصرين يكتمل حفظ القرآن الكريم رسماً ولفظاً.

الأنصاف تسهل على الحافظ مهمته في ضبط محفوظه خصوصاً للأطفال صغار السن الذين يجدون فيه حلاوة وسلاسة وتجعلهم يرددونها أكثر من مرة وشوقهم لها يزداد عندما تكون عبارة عن مستملحة أو كلام من العامة مثلاً. وفيما يلي بعض الأمثلة المتداولة بمنطقة الرشيدية والمناطق المجاورة لها :

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ مَا تَحْمَلُشِ أَصْدَقْتَ مَا تُقْفَشِ يَا طَالِبُنَا مَا تَكْذِبُشِ رَاهَا الزَّرْدُ مَا تَهْرَبُشِ ﴾ والمقصود أن كلمة سننظر من سورة النمل لا تختتم بالواو وأن كلمة أصدقت لا يجوز الوقف عليها.

13- د عبد العزيز العيادي العروسي، الأنصاف القرآنية (رواية ورش): ج 1 ط 1 ص 99.

➤ إِنَّ الصِّفَا أَلِفٌ قَدْ الصَّفِّصَفَا: والمراد أن كلمة الصفا لا تكتب بالألف المقصورة وإنما تكون ألفها ممدودة.

➤ مَا يَدِيرُ الشَّدَّ لَهُوَ وَهْيَ غَيْرُ وَلَدٍ الْمَرْحِيِّ: والمقصود أن الضميرين المنفصلين هو وهي لا يحملان علامة الشدة أثناء إعجامهما رغم أن النطق قريب من تضعيفيهما.

➤ صَغَّرَ حُرُوفَ مَزُورَ تَجِي الْكِتَابَ مَسْرَارَ: أن حروف مزورة تكتب صغيرة.

➤ الطَّا عَطِيهَا شَحْطُ: هناك قاعدة تجويدية تتعلق بكيفية إخراج ونطق حرف الطاء خلال الاستعاذة، أي إعطاء حرف الطاء ما يستحق من الإظهار. والمشهور بتأفيلالت أن القارئ يحكم على تجويده انطلاقاً من استعاذته.

➤ الطَّالِبُ مَنْ تَسْطَرُ وَالْفَلَّاحُ مَنْ تَمْطَرُ: إن الكتابة الجيدة وتنظيم اللوح عنوان نجابة الطالب واهتمامه كما أن الفلاح البارِع يظهر من غرسه وحرثه لحقله.

المحور الثالث : الأنصاف بتأفيلالت

يتناقل أهل تأفيلالت مجموعة كثيرة من الأنصاف، إلا أنه مع الأسف الشديد يصعب العثور عليها مجتمعة كاملة عند واحد من الحفظة لكتاب الله تعالى. فكل واحد منهم يتوفر على أجزاء منها، وهي غير مطبوعة إلا ما خطه بعض هؤلاء المهتمين بهذا الفن، وأغلب هذه الأنصاف غير منسوب لقائله، والسبب في ذلك حسب ما أعتقد والله أعلم أن هؤلاء الفقهاء الذين تصدروا لهاته الأنصاف بالنظم لا يجذون ذكر أسمائهم لكي يتطهر عملهم من الرياء والشهرة.

وقد عثرت بعد جهد جهيد على ثلاث وثائق متداولة في المنطقة وهي كالتالي:

1- الوثيقة الأولى: لقمان

وهي منظومة للشيخ الإمام العالم الفقيه الولي الصالح أبي عبد الله سيدي يحيى بن موسى الجزولي رحمه الله ورضي عنه، وسماها بلقمان وتحتوي على 84 بيتا وموضوعها "المحمول" حيث قال في ذلك:

يا سائلا بالحمل والوضع جُمعا فكن طالبا للعلم واجر إلى الخير
وهاك حروف الحمل في نظم أبيات مما حُرِّك بالضم والفتح والكسر
وتتضمن المنظومة مقدمة وأربعة وعشرين بابا. استهلها بقوله:

بدأت بيسم الله الرحمن مولانا وسيدنا الرحيم سبحانه ذي الغفر
وثم صلاة الله على محمد وعشرته وأصحابه ذوي النصر
وبعد فنبتديء بحمد الله الذي له الملك دائما تجلى عن النظر

والأبواب جاءت مرتبة ترتيبا هجائيا. (باب محمول الباء)

باب محمول التاء والتاء - باب محمول الجيم - باب محمول الحاء... - باب محمول الياء - وفي هذا يقول رحمه الله:

نظمتها حرفا بعد حرف على الإثر دليلا على التسهيل لمريد اليسر
وختم منظومته بقوله:

لَقَدْ كَمَلْتُ المحمول في نظم أبيات مِمَّا حُرِّك بالضم والفتح والكسر

2- الوثيقة الثانية: الأنصاف

وقد صدرت هذه الوثيقة بالمقدمة التالية:

"الحمد لله العظيم الوهاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم الأواب، الناطق بالحكمة والصواب، وعلى آله وجميع الأصحاب، ومن تلاهم بإحسان إلى يوم الإياب. وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الغني به عما سواه، المعتمد عليه في جميع أحواله دون ما عداه، المرتجي منه غفران ذنبه الأقرب والأبعد أبو عبد الله سيدي محمد التهامي بن الطيب بن أحمد وفقه الله. بمنه وكرمه توفيق من أرشده وأسعد، مقيدا لسائله ما أوعاه من النصوص، وما أصلحه منها وما نظمته بالخصوص مشيرا بالصاد لما أصلحه، وبالزاي لما زاد فيه وبالهاء لما نظمته مرتبة على ترتيب الأحزاب والصور مسقطا فيه المردد والمكرر. وما ذهلت عنه يلحق حيث بدا وظهر ولا فائدة في الإطناب الذي لا يعتبر".

ومن هذه المقدمة نستطيع أن نقول إن الفقيه الجليل أبا عبد الله سيدي محمد التهامي بن الطيب بن أحمد المسيفي الغري رحمه الله تعالى قد جمع هذه الأنصاف ونقحها بإصلاحها وزيادة ما رأى بها من نقص بالإضافة إلى ما نظمته مشيرا إلى ذلك بحرف من الحروف الهجائية.

وفي مطلع هذه المنظومة أشار إلى القبائل التي نزل بلسانها القرآن باعتبارها أفصح العرب وهي: قريش وأسد وكنانة وهذيل وبنو تميم وضبة وقيس، وفي هذا قال رحمه الله تعالى:

هاك القبائل التي قد نَزَلَ على لسانها القرآنُ مجَمَلًا

فقريشٌ وأسدٌ وكنانةٌ هُذَيْلٌ مَعَ بني تَمِيمٍ ضَبَّةٌ

وقيسٌ الذين أنزَلَ الكتابُ موافقاً لهم هم أفصح العربِ

✦ ثم انتقل رحمه الله تعالى إلى بيان ما احتوى عليه القرآن الكريم حيث بين أن القرآن الكريم لا يخلو من أن يكون أمرا أو نهيًا أو محكما أو متشابها أو بشرى أو إنذارا أو قصة أو موعظة أو مثلا وفي ذلك يقول رحمه الله تعالى:

أَلَا إِنَّمَا الْقُرْآنُ تِسْعَةُ أَحْرُفٍ أَتَتْكَ فِي الْبَيْتِ بَعْدُ خُذْهَا بِلَا زَلٍّ

حَلَالٌ حَرَامٌ مُحْكَمٌ مُتَشَابِهٌ بَشِيرٌ نَذِيرٌ قِصَّةٌ عِظَّةٌ مَثَلٌ

ثم انتقل ناصحا طلبة العلم إلى التمسك بآداب المتعلم حاثا إياهم على تقوى الله تعالى والصبر على المشاق والجد والاجتهاد، مبينا ثواب تلاوة القرآن الكريم وأن بكل حرف عشر حسنات مبينا فضل تعلمه وتعليمه مستشهدا بحديث رسول الله ﷺ "إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" -¹⁴ إلا أنه روى الحديث بالمعنى قائلًا في ذلك رحمه الله تعالى:

وإن ترد الحفظ للقرآن وسائر العلوم خذ بياني

عليك بالدرس والاعزال والصبر والتقوى وحسن الحال

ولتكن للشيخو كالمملوك تنل وتبلغ مبلغ المملوك

من لم يذق ذل التعلم فلا ينال حفظا ويموت جهلاً

جاء لكل حرف عشر حسنات كذا تُمحي عنه عشر سيئات

تعلم كتاب الله والزم تفهّمه تنل شرفا عند الإله ومكرّمه

لقول رسول الله خيركم الذي تعلم قرآن الإله وعلمه

وقد قال رحمه الله في كتابة بسم الله:

وطول الباء في بسم الله تعظيما ثم تشريفا لله

وقيل ذاك عِوَضٌ من الألفِ فحقق العلوم وافهم ما أصف

وقيل ليمتاز منه السينُ والأول أشهرُ يا إنسانُ

14- صحيح البخاري، من كتاب فضائل القرآن: 353/3.

✦ وكانت للشيخ رحمه الله تعالى علاقة وطيدة مع طلبة أهل فاس، وقد سأله يوما عن كيفية كتابة كلمة "ملئه" فأجاب رحمه الله تعالى:

يا غاديا للغرب لمكناس	بلغ سلامي طُلبَ أهل فاس
وقل لهم ملأته قد حُوِّلت	همزُؤه وتحت ياء ادخلت
ودارة فوق ألف اللام	وجدتها في الصحراء خُذْ نظامي

3- الوثيقة الثالثة: نصره الكتاب

نصرة الكتاب أو "النصرة" وهو الاسم الأكثر تداولاً عند أهل المنطقة، نظمها الفقيه الجليل أبو عبد الله سيدي محمد التهامي بن الطيب، الذي جمع ونقح الأنصاف.

وهي عبارة عن منظومة تشتمل على مدخل وخمسة أبواب وخاتمة تتضمن رسم وضبط القرآن الكريم بشكل مبسط وميسر وعدد أبياتها 367 بيتاً.

أ- مقدمة نصره الكتاب

قال رحمه الله تعالى في هذه المقدمة:

قال عُبيدُ ربه المحتجبِ	محمدُ التهامي بن الطيّبِ
من بعد بسم الله الرحمن الرحيم	مسهّل الخط لدى الذكر الحكيم
الحمد لله الذي قد أنزل	كتابه على إمام الفضل
ثم الصلاة والسلام سرمدًا	على محمد شفيعنا غداً
وآله ذوي التقى والعلم	وصحبه أولي الندى والحلم

ب- مرتكزات نصره الكتاب

وقد أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى وجوب الاقتداء بما رسم في المصحف

الإمام، ثم بين المنهجية التي اتبعها في نظمه تسهيلا على الباحث، وذلك أنه رتب عمله ترتيبا هجائيا مشيرا إلى اتباع قراءة ورش عن نافع ذاكرا أبواب منظومته الخمس وهي:

- الحذف وأحكامه - حذف الياءات والواوات - أحكام الهمزة - الوصل والفصل - حكم التاء المتصلة والملحقات بها.

ج- التسمية وطريقة البحث

وفي هذا يقول رحمه الله تعالى:

سميته بنبصرة الكتاب	بينت فيه مختار الأصحاب
فكل حكم ظاهر سكت	عن حصره وغيره قيئت
أشرت للمخصوص بالجاورة	أوبسورة أو حرف أو حركة
كيف أتت أو عُرف أو ضمير	أو اسم أو جمع لدى التحرير
أو بالإطلاق أو باللفظ للذي	قد علم الحذف نوعه حينئذ
أو كيفما أو حيث أو بكل	وفقنا الله لحسن القول

مما تقدم نعلم علم اليقين أن الناظم لم يهتم بالأحكام الظاهرة في منظومته، وإنما حصر فقط الأحكام غير المقيدة بقاعدة. وأما بالنسبة لطريقة البحث فقد استعمل كلمات يميز بها الباحث الأحكام المخصوصة (أي الخاصة بوضع دون سواه) من الأحكام العامة التي تطبق على لفظ ما، أينما ورد ذكره. فقد أشار مثلا للمخصوص بذكر السورة كقوله: "وفي الإسراء أخرتني" أي أن كلمة أخرتني في سورة الإسراء يقع فيها حذف الياء وإلحاقها وأما في قوله "وفي اليقطين غاوين" فقد أشار لموضع غاوين التي توجد في سورة الصافات التي يطلق

عليها الحفاظ سورة اليقطين لورود هاته الكلمة فيها دون غيرها من السور. وبالتالي استعمل هنا الإشارة بكلمة. أما عندما يتعلق الأمر بحكم مطلق فنجدّه يشير إلى ذلك بكلمات مثل: كيف أتت - كل - كلا- أو بذكر اللفظ دون تقييد والمثال على هذا أسوقه من حذف لام الذي حيث قال في شأنها - لله اللائي كيف يأتي.

وفيما يلي أذكر أمثلة من المنظومة مع استخراج بعض الأحكام والاستشهاد عليها من كتاب الله عز وجل.

د- قاعدة الحذف نموذجاً

مفاد هذه القاعدة أن تحذف ألف أو واو أو ياء بعض الكلمات. فتخرج الكلمة بذلك عن قواعد الإملاء المعروفة مثل "أبجيتكم" و"أطيعون" و"لا يستون" ففي الكلمة الأولى تم حذف الألف بعد النون، وفي الكلمة الثانية حذفت ياء المتكلم من آخر الكلمة. وأما الكلمة الثالثة فتم حذف الواو الثانية ويدخل تحت نطاق الحذف أيضاً حذف اللام المدغمة في مثلها، كقوله تعالى: "واليل" وبما أن بعض الكلمات تكتب تارة بالحذف وتارة بالاثبات فقد قام الناظم رحمه الله تعالى بإحصائها مرتباً إياها وفق الحروف الهجائية. وفيما يلي بعض الأمثلة.

1- حذف الألف: (مثل بعد الغين)

فقد ذكر الناظم أن أربع عشرة كلمة جاءت غينها محذوفة. (أي أن غينها متصلة بما بعدها). فقال رحمه الله تعالى في ذلك:

والغينُ جمعُ غالبين غافرين	كل مَعَارِب غاشية والغارمين
ولفظ غافل في اليقطين غاوين	وفاسْتَعَاثَهُ أضغاثُ غابرين
مُغاضبا أضغانُ أو مغرات	وضف إليهم أن اعمل سَابِغَاتُ

غالبين: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾¹⁵.

غافرين: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾¹⁶.

مغرب: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾¹⁷.

الغاشية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾¹⁸.

الغارمين: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾¹⁹.

غافل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرْيَكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾²⁰.

غاوين: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ، فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾²¹.

فاستغاثه: ﴿فَاسْتَعَاذَ الْخُزَيِّ مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الْخُزَيِّ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾²².

أضغاث: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾²³.

غابرين: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾²⁴.

15 - سورة الأعراف، الآية: 113.

16 - سورة الأعراف، الآية: 155.

17 - سورة المعارج، الآية: 40.

18 - سورة الغاشية، الآية: 1.

19 - سورة التوبة، الآية: 60.

20 - سورة النمل، الآية: 93.

21 - سورة الصافات، الآية: 31-32.

22 - سورة القصص الآية: 15.

23 - سورة الأنبياء الآية: 5.

24 - سورة العنكبوت الآية: 32.

مغاضبا: ﴿وَإِذَا النُّورُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا﴾²⁵.

أضغان: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾²⁶.

مغارات: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مَخْرَجًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾²⁷.

سابغات: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَيِيزَ أَنْ يَعْمَلَ مِصْبَغًا وَقَدَّرَ فِي السَّرْرِ﴾²⁸.

2- حذف الياء

وهاك ياء فصلت وتُليست وصلا لا وقفا وفي الخط الحقت

وفي طرف الداعي دعائي اتبعني أول عمران وفي الإسراء أخرتني

والمهتدي فيه وفي الكهف وأن يهديني ويؤتيني تعلمني

وفيه تبع تسألني هو دمع دعائي ربنا ويأتي لا فصع

وألأ تتبعني وينقدوني يكذبوني قصص وترجموني

فاعترلوني والتلاقي والتنادي أتاني الله الجواب والمنادي

والبادي ثم أربعا نكيري ونذري وعيدي مع نذيري

إن جرد الثلاث والجواري في بالوادي في الفجر ويسري أضف

أهانني أكرمني تُرديني أتمدوني باليقين

وقد ذكر الناظم أن أربع وعشرين كلمة حذفت ياؤها، ثم وضعت علامة على ذلك وهي:

25- سورة الأنبياء الآية: 87.

26- سورة محمد الآية: 37.

27- سورة التوبة الآية: 57.

28- سورة سبأ الآية: 10- 11.

الداعي: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرِهُشَءًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ﴾²⁹.

دعاني: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾³⁰.

اتبعني: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾³¹.

أخرتني: ﴿لَنْ أَخَّرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾³².

المهتدي: ﴿وَمَنِ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِتَ الْمُهْتَدِ﴾³³.

يهديني: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾³⁴.

يؤتيني: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾³⁵.

تعلمني: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾³⁶.

نبغي: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾³⁷.

تسألني: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ³⁸.

دعائي: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾³⁹.

يأتي: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁴⁰.

29- سورة القمر، الآية: 6-7.

30- سورة البقرة، الآية: 186.

31- سورة آل عمران، الآية: 20.

32- سورة الإسراء، الآية: 62.

33- سورة الإسراء، الآية: 97.

34- سورة الكهف، الآية: 24.

35- سورة الكهف، الآية: 40.

36- سورة الكهف، الآية: 66.

37- سورة الكهف، الآية: 64.

38- سورة هود، الآية: 46.

39- سورة إبراهيم، الآية: 40.

40- سورة هود، الآية: 104-105.

تتبعني: ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾⁴¹.

ينقدوني: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾⁴².

يكذبون: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ⁴³.

ترجموني: ﴿وَأِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾⁴⁴.

فاعتزلوني: ﴿وَلَنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتِزِلُونِ﴾⁴⁵.

التلاقي: يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ⁴⁶.

التنادي: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُكُونُ خُزُرَيْنِ﴾⁴⁷.

أتاني: ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُلَيْمَانٌ قَالَ أُمَيَّدُونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾⁴⁸.

الجوابي: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾⁴⁹.

المنادي: ﴿وَأَسْمَعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁵⁰.

نكيري: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾⁵¹.

البادي: ﴿.. يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً

41 - سورة طه، الآية: 92-93.

42 - سورة يس، الآية : 23.

43 - سورة القصص، الآية : 34.

44 - سورة الدخان، الآية : 20.

45 - سورة الدخان، الآية : 21.

46- سورة غافر، الآية : 15.

47- سورة غافر، الآية : 32-33.

48 - سورة النمل، الآية : 36.

49 - سورة سبا، الآية : 13.

50 - سورة ق، الآية : 41.

51 - سورة الملك، الآية : 18.

الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴿٥٢﴾ .

نذري: ﴿كَذَبْتُ عَادُ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾⁵³ .

وعيدي: ﴿فَذَكَّرْنَا بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِي﴾⁵⁴ .

نذيري: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نُنْذِرُ﴾⁵⁵ .

الجواري: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾⁵⁶ .

بالوادي: ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ بِالسَّخْرِ بِالْوَادِ﴾⁵⁷ .

يسري: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرُ﴾⁵⁸ .

أهانني: ﴿وَلَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾⁵⁹ .

أكرمني: ﴿فَلَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾⁶⁰ .

ترديني: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتُردِّيْنَ وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾⁶¹ .

أتمدونني: ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُلَيْمَانِ قَالَ تُمَدُّونِي بِمَا لِي فَأَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ...﴾⁶² .

52 - سورة الحج، الآية : 25.

53 - سورة القمر، الآية : 18.

54 - سورة ق، الآية : 45.

55 - سورة الملك، الآية : 17.

56 - سورة الشورى، الآية : 32.

57 - سورة الفجر، الآية : 9.

58 - سورة الفجر، الآية : 4.

59 - سورة الفجر، الآية : 16.

60 - سورة الفجر، الآية : 15.

61 - سورة الصافات، الآية : 56-57.

62 - سورة النمل، الآية : 36.

3- حذف الواو:

وقد بين الناظم أن حذف الواو إما أن يكون حذف إلحاق حيث تعوض الواو بواو صغيرة كما في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾⁶³، فكلمة (الغاوون) تكتب فيها الواو الثانية صغيرة، وقد حصر الناظم عددها في ثمان كلمات وهي: غاوون — وُوري — المؤودة — تلوون — داوود — فأووا — يستوون — ليسؤوا.. فقال في ذلك رحمه الله تعالى:

وألحق الثاني من غاوون وُوري مع مؤودة تلوون
كُلا داوود فأووا لفظ يستوون وليسؤوا الأولى منه فتُهون

وإما أن يكون حذف إسقاط وفيه تسقط الواو من الكلمة ولا تعوض فقال في ذلك رحمه الله تعالى:

وَأَسْقَطِ الْوَائِ مِنْ يَوْمٍ يَدْعُ وَصَالِحِ التَّحْرِيمِ مَعَ سَنَدْعُ
وَيَمَحُ مَا حَمِيمٍ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ خَمْسَةَ أَحْرَفِ فَلَاحِ التِّيَّانِ

والملاحظ أنه حصر الكلمات التي تحذف فيها الواو حذف إسقاط في خمسة وهي:

يدعو: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِمُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ﴾⁶⁴.
يدعو: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾⁶⁵.
صالحو: ﴿وَلَنْ تَصَافِرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁶⁶.

63 - سورة الشعراء، الآية: 94- 95.

64 - سورة القمر، الآية: 6.

65 - سورة الإسراء الآية: 11.

66 - سورة التحريم، الآية: 4.

سندعو: ﴿سَدَعُمُ الرَّبَّانِيَّةُ﴾⁶⁷.

يمحو: ﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاحِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾⁶⁸.

4- حذف اللام:

فقد بين الناظم رحمه الله تعالى أن اللام تنطق في بعض الكلمات ولكنها لا تكتب. وهذه الكلمات هي: التي والليل - اللاتي والذي ولله - واللائي...

وخلاصة القول: إنه بهذه الطريقة استطاع الإمام سيدي محمد بن التهامي بن الطيب رحمه الله تعالى أن يجمع عدة قواعد قرآنية في أرجوزته قصد المحافظة على الرسم العثماني وضبطه. وقد تطرق فيها بالإضافة إلى موضوع الحذف الذي سقت منه بعض الأمثلة إلى مواضيع أخرى مثل الزيادة وأحكام الهمز والفصل والوصل والتاء المربوطة التي كتبت مبسوطة. وتعد النصرة عند أهل تافيلالت بالإضافة إلى ابن بري والجزرية والأنصاف شيئا ملازما لحفظ القرآن الكريم.

وقد انتهى رحمه الله من نظم أرجوزته في رمضان 1247هـ وعدد أبياتها 367 بيتا وفي هذا أشار رحمه الله تعالى بقوله :

قد انتهى ملخصا مهذباً والحمد لله على ما وهب

في رمضان عام زاي جهزه وميم ثم راء وسين مُعْجَمَة

أبياته ستون بعد سبعة وزد عليهن ثلاثمائة

ثم ختم أرجوزته رحمه الله تعالى بقوله :

فإن وجدتم فيه نقصا فكمّلوه وإن رأيتم غلطا فأصلّحوه

لأن ما ذكرته لا يخلو من خطٍ والله الكمال يا فطين

67 - سورة العلق، الآية: 18.

68 - سورة الشورى، الآية: 24.

فَسَأَلِ النَّفْعَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ رَبِّنَا بِجَاهِ الْمُصْطَفَى الْكَيِّنِ
وَنَطْلُبِ الْغُفْرَانَ فِيهِ فِيمَا قَدْ جَنَيْتَهُ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَفَسَادٍ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْمُقَدِّدِينَ
وَأَنْ يَمُنَّ لِي بِخَيْرِ الْإِيمَانِ وَأَنْ لَا يَكْشِفَنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ

خاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية:

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم رسماً ولفظاً، فهياً هذه الأمة لتتسابق طائفة منها لخدمة هذا الكتاب المنير، أملاً في أن يكونوا من أهل القرآن عملاً بما أخرجهم البزار في مسنده وابن ماجة في سنته والأهوازي في الإيضاح عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن لله أهلين من الناس" قيل ومن هم يارسول الله؟ قال: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته".

ثانياً: لقد تشبث المغاربة بالقرآن الكريم منذ دخول الإسلام إلى المغرب. فانتشر انتشاراً منقطع النظير وذلك بفضل اعتنائهم بالكتاتيب القرآنية وانتشار الزوايا، وتشجيع الطلبة وذلك بتحمل تكاليف إقامة الغرباء منهم وإكرامهم، وإنزالهم منزلة أبنائهم، كما أن لسنة قراءة الحزب في المساجد والزوايا الآثار الكبيرة في تحفيظ كتاب الله خصوصاً بالنسبة للذين لم يتمكنوا من حفظه في الصغر.

ثالثاً: اهتمام المغاربة بالرسم القرآني اهتماماً لا مزيد عليه، فوضعوا لذلك الأنصاف. هذه الأنصاف التي اهتمت بالرسم وتثبيت الآيات المتشابهات التي يصعب تذكرها.

رابعاً: لقد ساعدت الأنصاف على الاحتفاظ بالقرآن الكريم كما رسمه

كتبة المصحف الإمام وأجمعت عليه الأمة من الضبط والشكل باعتبارهما شيئان متلازمان لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر.

خامساً: فإذا كان أهل الأندلس يفتخرون بالشاطبي، وأهل فاس يفتخرون بالخراز⁶⁹ وأهل تازة يفتخرون بابن بري⁷⁰ فيحق لأهل تافيلالت أن يفتخروا بالتهامي بن الطيب. وهذا فخر للمسلمين عامة وللمغاربة خاصة.

69- الخراز: محمد بن محمد الأموي الشريشي، الشهير بالخراز، والمتوفى سنة 718 هـ/1318م، وهو عالم بالقراءات أصله من شريش مدينة بالعدوة الأندلسية، وسكنه بمدينة فاس، وكان يعلم الصبيان بها، وتوفي بها ودفن بها، وكان بارعا في فن الرسم وفن الضبط، له عدة تأليف، من بينها: "مورد الضمان في رسم القرآن"، وله نظم في الرسم سماه "عمدة البيان"، وله شرح على منظومة ابن بري المسماة: "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع"، وله شرح على "الحصرية" ويذكر أن له شرحا على "العقيلة" وكان قد فتح عليه في التأليف وسهل عليه نثره ونظمه وقد ابتدأ الشريشي نظمه بقوله :

وبعد فاعلم أن أصل الرسم	ثبت عن ذوي النهي والعلم
جمعوا في الصحف الصديق	كما أشار عمر الفاروق
وذلك حين قتلوا مسليمة	وانقلبت جيوشه منهزمة

وهو أرجوزة طويلة تتكون من 608 بيت، خصص منها صاحبها الخراز 454 بيت للرسم، والباقي هو 154 بيت للضبط. وقد اشتهر هذا النظم أيما اشتهار، فدرسه المبتدئون والمتنهن، وقد تحدث ابن خلدون في المقدمة، في الفصل الخامس الخاص بعلوم القرآن من التفسير والقراءات عن الرسم والضبط، وأشار إلى أرجوزة الخراز، وقال عنها "واشتهرت بالمغرب، واقتصر على حفظها، وهجروا بها كتب أبي عمرو، والشاطبي في الرسم وقد قام بشرحها الكثير.

70- ابن بري التازي (ت 731 صاحب منظومة "الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع").

الآلات المعتمدة عند المدررين في كتابتهم للإتقان الرسم العثماني - سورة الضحى نموذجاً -

التهامي الراجي الهاشمي

أستاذ بكلية الآداب بالرباط

نعلم، بطول الممارسة أن لرسم سورة الضحى فوائد؛ ولها زيادة على ذلك خصوصية امتازت بها. تتمثل هذه الخصوصية في كونها، تطبق وبشكل رائع يهرنا، ما يعرف عند اللغويين العرب بـ(الانسجام الصوتي) وما يعرف عند غيرنا بـ: (Harmonisation vocalique).

هذا الانسجام الصوتي المطبق في هذه السورة وفي القرآن الكريم على طوله وعرضه هو الذي منح لرسم ألفاظ هذه السورة وضعاً خاصاً وفريداً إذا لم يتنبه له المدررون جيداً أخطأوا في رسمه. بل إنني أستطيع أن أقول: قد يخطئ في رسم حروفها حتى المتمكنون البارعون في علوم اللغة العربية. سأبين هذا في عرضي بعد قليل.

هذا الانسجام الصوتي المتبع في الرسم القرآني هنا في هذه السورة متبع كذلك في الأحاديث النبوية الشريفة. هذا الأمر، أي الانسجام الصوتي، هو الذي، أكررها مرة أخرى، جعل الرسم المطبق في سورة الضحى رسماً يخالف في جوانب معينة دقيقة الرسم الاصطلاحي المتبع في اللغة العربية كما يخالف أيضاً بعض القواعد النحوية المطردة.

يعلم الجميع أن الفعل "سجا" الموجود على رأس الآية الثانية في هذه السورة هو فعل ناقص واوي؛ حقه، من أجل هذا، أن يرسم بالألف الممدودة شأنه في

ذلك شأن فعل "دعا" و"شكا" لا أن يرسم، كما رسم في سورتنا، بألف مقصورة هكذا "سجى".

وما رُسم هكذا "سجى" بألفٍ مقصورة إلا ليتحقق الانسجام الصوتي بأسمى معانيه. وإلا فما الداعي لرسم هذا الفعل الناقص الواوي بألف مقصورة مع أنه، كما قلنا، واوي بلا خلاف. رسم هكذا لينسجم مع ما قبله وهو قوله تعالى "والضحى" الذي هو رأس الآية الأولى كما ينسجم مع ما بعده وهو قوله تعالى "قللى" الموجود على رأس الآية الثالثة وينسجم مع قوله "من الأولى" على رأس الآية الرابعة ومع قوله "فترضى" ومع قوله "فأوى" ومع قوله "فهدى" ومع قوله "فأغنى".

رسم هذا الفعل بألف مقصورة وأميل هو أيضاً كذلك كما أميل كلُّ ما انسجم معه.

وليتحقق هذا الانسجام كما أراده الله له خالف النص القرآني حتى في قواعد تركيب الجملة العربية.

نعلم أن الفعل في اللغة العربية نوعان؛ نوع يتعدى إلى مفعول أو مفعولين أو أكثر. هذا النوع من الأفعال لا يمكن أن يستعمل في الجملة العربية دون أن يكون مصحوباً فيها بمفعول يقع عليه أثر الفعل، ونوع ثان لا يطلب المفعول به، يعرف هذا عندهم بالفعل اللازم.

لكننا نرى في هذه السورة، التي كان للانسجام الصوتي الأولوية بكل المعايير، فعلاً من نوع الأفعال المتعدية، بحق وحقيق، أي فعلاً يطلب دائماً المفعول به، محروماً من مفعوله. هذا الفعل هو "قللى" (على رأس الآية الثالثة).

لسائل أن يسأل لماذا فعل القرآن هذا؟

أقول لقد فعله لأمرين اثنين:

الأمر الأول ليتحقق الانسجام الصوتي الذي أشرت إليه. وأين يتجلى هذا الانسجام؟ إنه يتجلى في ذلك النغم الجميل المتمثل في الإمالة الخفيفة (بالنسبة لرواية ورش التي نقرأ بها نحن في المغرب ولروايتي دوري البصري والسوسي) كما يتجلى أيضاً في جمال الإمالة الكبرى لرواة الأخوين. هذا بالضبط هو الذي جعل الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ولم يقل كما كان منتظراً وتطبيقاً لقواعد اللغة العربية: "ما ودعاك ربك وما قلاك". فلو قال هكذا لما تحقق الانسجام بل يحصل التنافر مع قوله: "قلاك" بما هو قبله: "الضحى" و"سجى" وبما هو بعده "الأولى" و"فترضى" و"فأوى" و"فهدى" إلى غيره.

الأمر الثاني إن الخطاب في هذه السورة موجه من الحق سبحانه وتعالى إلى رسوله. أي من كريم رؤوف رحيم إلى حبيب عزيز عليه.

السؤال الذي يجب أن يطرح هنا: هل الحبيب الكريم الرؤوف يقلبي حبيبه العزيز آن توديعه؟ هذا أمر لا يقول به أحد . فإذا كان هذا الفعل مهجوراً عند الناس، وهو مهجور عندهم لا محالة فكيف يفعله ربنا مع حبيبه؟

هو حقيقة نفى هذا الفعل فقال: "وما قلى" ولكن ربنا الكريم لم يرد، تعظيماً لرسوله عليه الصلاة والسلام، ذكر الضمير العائد إلى حبيبه مع الفعل "قلى" الموحى بالتعذيب، تعظيماً وإكراماً لرسوله. وهذا ديدانه في القرآن كله.

ألم يحك له ما تفضل به ربنا على موسى وهو محاذي للطور قائلاً له في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آ.44). وكرر له سبحانه هذا الحدث في نفس السورة

قائلاً له: ﴿وما كنت بجانب الصور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾. (آ.46).

يقول له في الأولى: "بجانب الغربي" ويقول له في الثانية: "بجانب الطور" لا يريد سبحانه وتعالى أن يجمع الطور مع الجهة، لأنه لوجعهما وحكى له ما وقع في المكان والجهة بالضبط لما تفاعل رسوله ﷺ مما يسمع.

نجد ما تفضل به ربنا لموسى عليه الصلاة والسلام في سورة مريم (الآيتان. 51، 52)، يقول له ربنا هناك: ﴿والذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسلاً نبياً فناديناه من جانب الصور الأيمن وقربناه نجياً﴾.

فلو حكى ربنا لرسوله ما وقع بالضبط لجاء الكلام على هذا الشكل: [مع التضرع إليك سبحانه أن تغفر لي وتسامحني بمنك وكرمك وجودك وإحسانك حين أتجراً فأترجم كلامك البليغ العظيم الذي لا يضاهى إلى كلامي البسيط العيي؛ عذري في ذلك وأنت عالم به قبل أن يخطر ببالي أنني أريد أن يتذوق الناس حلاوة كلامك الجميل بما تدركه عقولنا القاصرة]. أقول كان الخطاب سيكون على هذا الشكل: "وما كنت بجانب الطور الأيمن إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين". حينئذ يكون ربنا - لوفعل - وما كان سبحانه ليفعل - لكان نافياً عن حبيبه "الأيمن" هو الذي كان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل الحسن.

من أجل هذا قال له في سورة الضحى: "وما قلنى" مضمرّاً الضمير العائد إلى حبيبه.

من أجل كل هذا جاءت هذه السورة على منوال جميل؛ كله عبر وحكم.

تتكون سورتنا من إحدى عشر آية، يمكن أن أجمل هيكلها في الرسم البياني

الآتي:

الآيات

دليل الخبر	{	4	{	مقدمة	1
		7			2
		10	{	خبر	3
حكمه	{	5			6
		8			9
		11			

أوضح كل هذا باختصار شديد بالرسومات الآتية:

إنه سبحانه
يخبره
بثلاثة أمور

2

وَأَيُّلَ إِذَا سَجَىٰ

1

وَالضُّحَىٰ

الثالث

الثاني

الأول

وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

5

وَلَا خَيْرَ خَيْرُكَ مِنَ الْأُولَىٰ

3

ويقول له

ثم يقول له

4

ويخبره

كنت فقيراً
فأصبحت غنياً

أصبحت رسولاً
في آخر حياتك

لو ودَّعَكَ و
قلَّيْتَكَ مَا أَوْيَيْتَكَ

8

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ

7

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ

6

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ

فاستغنى عن كل عشاء يا رسول الله

ثم يلقم
لرسوله (ص)
الحبة على
صديق ما
يقوله له

11

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

10

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

9

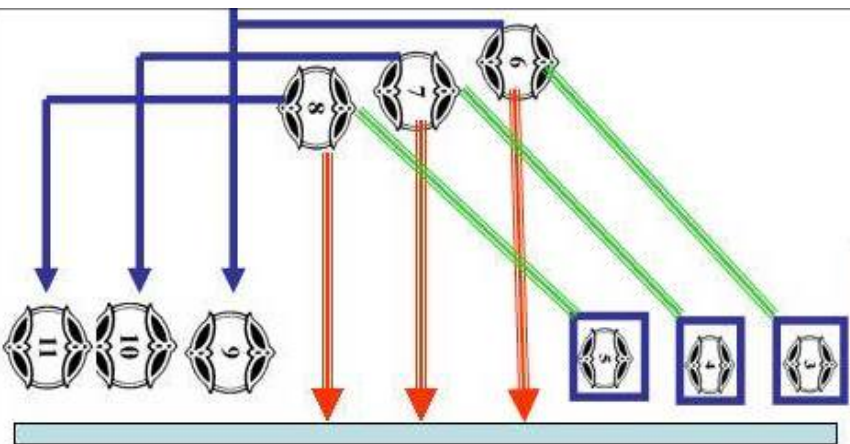
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ



وَأَيُّلَ إِذَا سَجَىٰ



وَالصَّحَىٰ



مَا وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ
وَلَا أَجْرَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولى
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

الظبر

الدليل

الحكم

حكمه

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

حكمه

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

حكمه

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

دليل الخير

الَّذِي يُعَذِّبُكَ بِذُنُوبِكَ أَوْ يَرْحَمُكَ

دليل الخير

وَرَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى

دليل الخير

وَرَجَدَكَ عَالِيًّا فَاَخَذَنِي

الخبر

وَلَا تَحْزَنْ جَعَلَكَ مِنَ الْاُفْوَى

الخبر

رُسُلًا بِغِيَاثِكَ رَبِّكَ فَقَرْخَنِي

الخبر

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى

المحور الثالث

النهج المغربي في ضبط الرسم والقراءة

نظام القراءة والإقراء في الكتاتيب القرآنية بين الأسس واليوم

محمد الفقير التسماني

عضو المجلس العلمي المحلي بطنجة

أهمية الموضوع:

إن قراءة كتاب الله تعالى، وتلاوته كما أنزل، من أجل القربات وأسنائها، وأفضل الطاعات وأسمائها، حث الشارع عليها، ووعد القارئ والمقرئ بالثواب الكبير والأجر الجزيل عليها، كما أمر الشارع الحكيم بالتأسي بالمقرئ الأول ﷺ، والافتداء بهديه واتباع طريقته، فالقراءة سنة متبعة، ورواية محضة. قال العلماء: "إن فائدة مدارس النبي ﷺ لجبريل القرآن كل سنة تعلمه ﷺ تجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سنة في حق الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتهم".¹

وهذا يرشدنا إلى أننا أمام قوانين وأصول تمثل نظاماً محكماً ذا خصائص تجب مراعاتها، وأحكام لا يجوز التفريط فيها. يقول الإمام البغوي في كتابه "معالم التنزيل": "ثم إن الناس كما هم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط مصحف الإمام الذي اتفق الصحابة عليه رضي الله عنهم، وأن لا يجاوزوا فيما وافق الخط ما قرأه القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأمة على اختيارهم".²

1 - انظر: مقدمة تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين للعلامة المقرئ أبي الحسن الصفاقسي، ص: 19-20 / الطبعة الأولى: 1407هـ - 1987م / مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

2 - معالم التنزيل : 13/1-14، طبعة دار الفكر، 1405-1985م.
279

ولا يخفى على المهتمين الغيورين الوضع الذي آل إليه أمر هذا النظام، وما طرأ عليه من خلل وعيب في التحصيل والتلقين والالتزام، والملاحظة العامة هي: أن كثيرين ممن لهم علاقة بالكتاب يجهلون حقيقته ويغيب عن أذهانهم الكثير من خصائصه.

بين يدي الموضوع:

إن من المقتضيات الأساسية: ضبط العنوان وتحديد مفاهيمه، حتى يكون مستوعباً للمضمون، وهذا بيان موجز لمصطلحات العنوان ومفاهيمه.

نظام:

قال ابن فارس: "النون والطاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء وتكثيفه"³ ومن استعمالات الكلمة⁴:

الجمع والضم، يقال: نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك. والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبة منه، ونظام كل أمر ملاكه، والنظام: الطريقة والنهج، يقال: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته. وهو على نظام واحد أي نهج غير مختلف، والتقويم، يقال: نظمت الأمر فانتظم أي أقمته فاستقام.

القراءة:

لغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا بمعنى تلا، والقراءة: الجمع. وكل شيء جمعته فقد قرأته.

اصطلاحاً: جرى إطلاق السلف لفظ القراءة للتعبير عن معنيين، أحدهما:

3 - معجم مقاييس اللغة: 443/4.

4- انظر: الصحاح: 1651/5 و لسان العرب: 578/12 والمصباح المنير: 234.

أن يقرأ القرآن سواء تلاوة، بأن يقرأ متتابعاً.

والثاني- أن يقرأه أداء، بأن يأخذ من المشايخ ويقرأ⁵.

وبالتالي يكون للقارئ مدلولين:

- المدلول العام: التالي لكتاب الله المجود له.

-المدلول الخاص: العالم بكيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها بعزواً والناقلة، وهو مبتدئ ومنته. يقول الإمام ابن الجزري: "والقارئ المبتدئ من شرع في الأفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات. والمنتهي: من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها"⁶.

الإقراء:

لغة: مصدر أقرأه يقرئه إقراء⁷، ومنه الحديث: أقرأني جبريل على حرف فراجعتة، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"⁸.

اصطلاحاً: هو تعليم القراءة تلاوة متتابعة أو أداء منقولاً، ومنه: المقرئ وله مفهومان:

- مفهوم عام هو: المجود المعلم للقراءة السليمة.

- مفهوم خاص هو: العالم بما رواها مشافهة، فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة⁹.

5- كشف اصطلاحات الفنون: 5/1158.

6- منجد المقرئين ومرشد الطالبين : 3.

7- الصحاح : 50/1 و لسان العرب: 1/129.

8- صحيح البخاري، فضائل القرآن كتاب باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: (ح: 4991).

9- منجد المقرئين: 3.

وبعد هذه التوطئة ندخل في صلب الموضوع الذي جعلته في مبحثين:

المبحث الأول- أسس وشروط نظام القراءة والإقراء:

إن كل نظام لا بد له من أسس يستند إليها، ومبادئ وأصول يرجع إليها، وضوابطه وشروطه يتوقف وجوده عليها، وتتحدد من خلالها معاملة وخصائصه، وما ساقدمه الآن ما هو إلا محاولة أولية للكشف عن الحقائق وإبراز الضوابط:

مما هو معلوم فقد عرف المغاربة في التاريخ بحرصهم الشديد في بداية دخول الإسلام إلى هذه الربوع الزكية على التفقه في كتاب الله، فأنشئت مراكز ومدارس تعنى بتلقين كتاب الله وتحفيظه وتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الحنيف، واختاروا منهجاً ونظماً تميزوا به عن غيرهم. يقول الإمام ابن خلدون رحمه الله تعالى في : الفصل الواحد والثلاثون في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه : "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان، واختلفهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات. فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان : الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسوم ومسائله، واختلف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من محالس تعليمهم، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يحذف فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم

بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب، ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا رجع مدارس القرآن يعد طائفة من عمره فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم¹⁰.

وبما أن التعليم دربة وصنعة، فقد تنوعت أساليب نظام القراءة والإقراء، واختلفت طرقه باختلاف العصور والأقطار¹¹ بل وباختلاف الجهات داخل البلد الواحد.

اختلاف الكيفيات في المغرب:

إن طرق التحفيظ والتلقين والإقراء اختلفت من حيث تفاوت ترتيب التعلم في جهات المغرب، وهذا أمر واضح ومعلوم، بل ربما حصل تفاوت بين مقرئ وآخر في اختيار الأساليب والطرائق والمناهج والبرامج¹²، وهذا مما كان يحمد له¹³. يقول العلامة ابن المراز: "وأما بخصوص العمل المأثور بفاس في حال مبادئ التعليم فهو: أن قراءة المتعلمين للقرآن في المكاتب يقارنونها

10- مقدمة ابن خلدون : 538.

11- بين ذلك الإمام ابن خلدون في المقدمة، وعقد مقارنة بين طريقة المغاربة وطريقة أهل تونس وطريقة أهل الأندلس، وطريقة أهل المشرق، وبين أوجه الاتفاق والاختلاف، وأبرز الخصائص والمميزات، ومما قاله: قال رحمه الله عن طريقة أهل الأندلس: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن و الكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه، ومنع الدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب، وتعلق بأذيل العلم في الجملة، لو كان فيها سند لتعليم العلوم، لكنهم ينقطعون عن ذلك لانقطاع سند التعليم في أفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول، وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى، واستعداد إذا وجد المعلم" (ص: 538).

وقال عن طريقة أهل إفريقية: "وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسه قوانين العلوم، وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستنظار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع لذلك، وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس" (ص: 538).

12- انظر: دور القرآن الكريم بالمغرب وأثرها في الإشعاع الديني والحضاري، موضوع: دور القرآن: الواقع والمعوقات الذاتية للفقيه أحمد التوزاني مدير معهد قرآني بطنجة (ص: 107-109).

13- انظر: مذكرات غير شخصية للعلامة عبد الله كنون: 39.

بتعليم الخط غالباً، وإذا ختم الطفل القرآن مرتين فأكثر يكون الأستاذ يكتب له في لوحه جملة صغيرة من متن مختصرات التوحيد وجملة من متن النحو، وجملة من ضروريات العبادة بحيث إذا فرغ الطفل من ضبط القرآن يجده الحال حافظاً لما تيسر من المتون الأولية¹⁴.

والخلاصة أن الأسس والقواعد التي قام عليها هذا النظام وهي باختصار:

- **التلقين:** وهو يختلف باختلاف أطوار التلاميذ والطلبة.
- **التكثيب:** حيث يتولى المدرر الفقيه تكتيب التلاميذ إملاء للحصة القرآنية التي تخص كل واحد منهم مع ما تقتضيه كتابتها من مراعاة لقواعد الرسم والضبط.
- **التصحیح:** يتولى الفقيه تصحيح المكتوب والمقروء للتلاميذ.
- **التأنيس:** يقوم الفقيه دفعاً للملل بتأنيس التلاميذ وترويحهم بكتاب طرف من منظوم كلام البلغاء.
- **التدريج:** يراعي الفقيه مستويات التلاميذ في الحفظ والفهم.
- **التهذيب:** وهو الغاية المرجوة من التعليم كله في الإسلام.

شروط القراءة الرسمية المتبعة في المغرب

للقراءة المتبعة عندنا في نظام القراءة والإقراء في الكتابات القرآنية شروط وضوابط محددة وهي:

أولاً - التسنن بسنته ﷺ في القراءة

إن قراءة كتاب الله تعالى عبادة وطاعة تفتقر إلى المتابعة والتسنن، فواجب

14 - خطوة الأقدام في التعليم والتربية في الإسلام، للعلامة أحمد بن المواز السليماني الحسني: 45-46، مخطوط خاص.

على كل قارئ لكتاب الله تعالى أن يقتني هدي القارئ الأول سيدنا محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، ويتسنى بسنته فيها، إذ هي سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه. واستفاض النقل عنه بذلك. روى الإمام ابن مجاهد في كتاب "السبعة" بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: "القراءة سنة، فاقروه كما تجدوه"¹⁵. وقال عروة بن الزبير: "إنما قراءة القرآن سنة من السنن، فاقروه كما أقرتموه"¹⁶.

ولقد خص الله عز وجل الصحابة الكرام بالأخذ عن الرسول ﷺ مشافهة وحرصوا رضوان الله عليهم على نقل تلاوته وقراءته كما سمعوها للأمة، قالت حفصة رضي الله عنها: "رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها"¹⁷. وكانوا رضي الله عنهم يعملون على تبليغها وتعليمها وتلقينها للناس بعد وفاته ﷺ، فهذا سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ رجلاً فقراً الرجل: «**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**» [التوبة: 60]. مرسلة. فقال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ. فقال: وكيف أقرأها؟ قال: أقرأنيها: «**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**» فمدها.

"فابن مسعود رضي الله عنه أنكر على الرجل أن يقرأ كلمة (الفقراء) من غير مد، ولم يرخص له في تركه، مع أن فعله وتركه سواء في عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها، ولكن لأن القراءة سنة متبعة.. أنكر ابن مسعود عليه أن يقرأ بغير قراءة النبي ﷺ التي أقرأ بها أصحابه رضي الله عنهم جميعاً"¹⁸.

15 - كتاب السبعة في القراءات: 50.

16 - المصدر السابق: 52، ونقل مثله عن جماعة من الصحابة والتابعين.

17 - التذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم للإمام القرطبي: 108.

18 - هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: 40.

وأخرج العلامة أبو بكر الأنباري النحوي بسنده عن سليمان بن يسار أن "عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى على قوم يقرئ بعضهم بعضاً، فلما رأوه سكتوا. فقال: ما كنتم تتراجعون؟ قالوا: كان يقرئ بعضنا بعضاً. قال اقرؤوا ولا تلهنوا"¹⁹.

ولهذا أجمع العلماء وفي مقدمتهم القراء على أن القراءة رواية محضة لا مجال للرأي والنظر والاجتهاد فيها. يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:

وما للقياس في القراءة مدخل²⁰.

ثانياً - التآسي بأهل المدينة في قراءتهم (قراءة الإمام نافع):

دخلت قراءة أهل المدينة إلى المغرب على يد جماعة من تلامذة الإمام نافع من المغاربة كالغازي بن قيس وغيره، وكان ذلك في وقت مبكر وفي عصر الإمام نافع، لكنها لم تكن منتشرة.²¹ ولم تمض فترة طويلة حتى استحسناها الناس وتم اختيارها والالتزام بها في القراءة والإقراء في عموم الكتائب، وفي الإمامة في المساجد كلها. يقول الإمام ابن العربي رحمه الله في "العواصم من القواصم": "ولما ظهرت الأموية على المغرب وأرادت الانفراد عن العباسية وجدت المغرب على مذهب الأوزاعي، فأقامت -في قولها- رسم السنة، وأخذت بمذهب أهل المدينة في فقههم وقراءتهم وكانت أقرب إليهم من قراءة ورش فحملت روايته، وألزم الناس بالمغرب حرف نافع، ومذهب مالك فجروا عليه، وصاروا لا يتعدونه"²².

أسباب الاستحسان والالتزام:

1- لأنها قراءة أهل المدينة مهبط الوحي:

فقد انتهت إلى الإمام نافع رئاسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها. وشدوا

19- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل : 19/1-20.

20- تنمة البيت : فدونك ما فيه الرضا متكفلاً. انظر الشاطبية بشرح الوافي للعلامة عبد الفتاح القاضي :167.

21- القراءات بإفريقيا للدكتورة هند شلبي: 215- 237.

22 -العواصم من القواصم: 483/2-484.

الرحال من أجلها. قال الليث بن سعد: "حججت سنة ثلاث عشرة ومائة وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع"²³.

2- لاختيار إمام المذهب الإمام مالك لها:

لقد أخذ الإمام مالك القراءة عن شيخه الإمام نافع، قال أبو القاسم الهذلي: "سأل مالك نافعاً عن البسمة؟ فقال: السنة الجهر بها، فسلم إليه. وقال: كل علم يسأل عنه أهله"²⁴ وكان رضي الله عنه يثني عليها. قال سعيد بن منصور "سمعت مالك بن أنس يقول: قراءة أهل المدينة سنة. قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم"²⁵.

3- لاستحسان الفقهاء لها:

إن الفقهاء المالكية في عمومهم مجمعون على استحسانها، والدعوة إليها وحمل الناس عليها. يقول ابن سحنون: "ويلزمه (يعني المعلم) أن يعلمهم (يعني الأطفال) ما علم من القراءة الحسنة وهو: مقرأ نافع"²⁶.

4- التزام الحكام بها:

ذكر الإمام القاضي عياض في ترتيب المدارك: أن القاضي عبد الله بن طاهر أمر المقرئ ابن برغوث بجامع القيروان ألا يقرئ الناس إلا بحرف نافع. وذلك أيام توليه القضاء.²⁷

ثالثاً - التقييد بما عليه الجماعة (بما جرى به العمل):

عرف المغاربة كغيرهم مرحلة القراءة غير المنضبطة، ثم مرحلة الاختيار في

23- غاية النهاية في طبقات القراء للإمام الذهبي: 333/2.

24- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: 2.

25- المصدر السابق: 332/2.

26- آداب المعلمين، حققه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني بعنوان "التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي": 358.

27- ترتيب المدارك: 313/4.

تطابق ما يتحمله المصحف العثماني. وكانوا يقرأون بقراءات مختلفة ومتعددة. ثم أرسل سيدنا عمر بن عبد العزيز بعثة من الفقهاء والقراء، الذين وجدوا تنوعاً في القراءات التي كان يقرأ بها. وكانت مهمتهم: حمل أهل المغرب على القراءة المأثورة المعتمدة، وطرح ما عداها من القراءات الشاذة التي كانت منتشرة. جاء في ترجمة جعثل ابن هاعان الرعيبي المصري من كتاب تهذيب التهذيب: "قال ابن يونس كان عمر بن عبد العزيز بعثه إلى المغرب ليقرئهم القرآن، وكان أحد القراء الفقهاء"²⁸ وذكر أن كل فرد من أفراد البعثة اختط كتاباً لتحفيظ القرآن الكريم.

ولقد كان لأئمة المذهب المالكي أثر واضح في ذلك وجهود بارزة لا تنسى. يقول الإمام ابن سحنون رحمه الله تعالى: "ولا بأس إن أقرأهم لغيره (أي نافع) إذا لم يكن مستبشعاً. مثل (يُشْرِك) و(وُلْدَه) و(حَرَمَ عَلَى قَرِيَةٍ). ولكن يقرئها (يُشْرِك) و(وَلَدَه) و(حَرَامَ عَلَى قَرِيَةٍ) وما أشبه هذا"²⁹.

إن الشهرة والاستفاضة من أصول نظام القراءة والإقراء بالمغرب، لذا نجد علماء الفن عنوا بما جرى به العمل، واهتم المصنفون منهم على التنبيه عليه، والتحذير من مخالفته، وساندهم الفقهاء الذين اعتبروا الخروج عما جرى به العمل فتنه.

رابعاً - الالتزام بقواعد التجويد وقوانين الأداء:

لا تستقيم القراءة بدون مراعاة قواعد التجويد والالتزام بها، "فمن قرأ دون أن يراعي قواعد التجويد فكأنه قرأ القرآن بغير لغة، والقرآن منزل بأفصح اللغات، والفرص أنه قرأه على غير وجهه، فيكون في الصورة قارئاً، وهوليس

28- تهذيب التهذيب: 69-68/2.

29- رسالة ابن سحنون: 358.

بقارئ. قال العلماء: وترك القراءة أولى من قراءته³⁰.

ونصوا على أن الأخذ بالتجويد والعمل به فرض عين، واجب على كل من يقرأ القرآن، ومن لم يراع قواعد عند القراءة فهو عاص آثم بتركها، وإلى ذلك أشار الإمام ابن الجزري بقوله:

والأخذ بالتجويد حتم لا زم من لم يجد القرآن آثم

شروط الإقراء:

إن للإقراء في معناه العام شرطاً واحداً هو: الإجادة والإتقان، أما في مفهومه الإصطلاحي الخاص فله شروطٌ وضوابط ينبغي أن تراعى، تحدث علماء الفن عنها بإسهاب³¹. ولخصها لنا الإمام مكي في قوله: "فإذا اجتمع للمقرئ النقل والفظنة والدراية. وجبت له الإمامة وصحت عليه القراءة، إن كان له مع ذلك ديانة"³² فهي إذن باختصار: (-الرواية-الدراية-الفظنة-الديانة-):

أ- الرواية:

إن صحة الرواية عن الأئمة المشهورين مع الاتصاف بالصدق والأمانة والسلامة في النقل والسماع، والتحري والتثبت في الحفظ، أمور لا بد من توفرها في المقرئ، فقد ينسى الحافظ فيضيع السمع وتشتبه عليه الحروف فيقرأ بلحن لا يعرفه، وتدعوه الشبهة أن يرويه عن غيره ويبرئ نفسه، وعسى أن يكون عند الناس مصداقاً فيحمل ذلك عنه وقد نسيه، وأوهم فيه من حبس نفسه على لزومه، والإصرار عليه، وعليه

30- التوضيح والبيان في مقرأ نافع بن عبد الرحمن، لأبي العلاء إدريس الودغيري الحسني: 9.

31- انظر: الرعاية، للإمام مكي بن أبي طالب: باب صفة من يجب أن يقرأ عليه وينقل عنه: 69-71، ومنجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام ابن الجزري: الباب الأول- في القراءات والمقرئ والقارئ وما يلزمهما، وما يتعلق بذلك: 3- 14 والتوضيح والبيان في مقرأ نافع بن عبد الرحمن، للإمام الودغيري: الباب السادس في صفة من يجب أن يقرأ عليه وينقل: 6-8. والفوائد الجميلة على الآيات الجلية، للعلامة أبي علي الشوشاوي: 227-228.

32- الرعاية: 70.

فلا يحتج بنقل من يعرف قراءته، ويصير المعنى، ويعرف اللغات، لكنه لا علم له بالقراءات، واختلاف الناس والآثار، فربما دعاه بصره بالإعراب، إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون مبتدعاً.

وكل من قصر في هذا الشرط: بأن كان غير متصف بالصدق أو الأمانة في النقل والرواية، لا يجوز عليه القرآن ولا يأخذ عنه.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في هذا الصدد:

والعلم لا تأخذه عن صحفي ولا حروف الذكر عن كتيبي
ولا عن الجهول والكذاب ولا عن البدعي والمرتاب
وارفض شيوخ الجهل والغبوة لا تأخذن عنهم التلاوة
لأنهم بالجهل قديأتوننا بغير ما يروى وما يروونا

ب: الدراية:

فلا بد أن يكون المقرئ من أهل الفهم في علوم القرآن، ومن النقاد في علم العربية، والتجويد لآيات ألفاظ القرآن، والسلامة في الفهم. وبها يفضل صاحب الدراية والضبط والفهم السليم على من اقتصر على الرواية فقط، فنقل القرآن دراية أحسن منه سماعاً.. والدراية لها ضبطها وعلمها.

وأهم ضابط: الإعراب فمن المقرئين من يعرب ولا يلحن، ولا علم عنده غير ذلك فذاك الإعرابي الذي يقرأ بلغته فلا يقدر على تحويل لسانه، فهو مطبوع على كلامه. وإن زاد على ذلك فهو الكامل. قال الإمام ابن مجاهد في أوصاف حملة القرآن الذين يقتدى بهم والذين لا يقتدى بهم - قال: "فمن حملة القرآن: العرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات،

العالم البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن من كل مصر من أمصار المسلمين³³.

ويقول العلامة الشوشاوي رحمه الله: "وأما من الذي لا يوجد عليه القرآن؟ فهو غير العارف بأحكام القراءة من التفخيم والترقيق والإظهار، والإدغام، والقلب والإخفاء، والتحقيق والتسهيل، والإعجام، والإهمال وغير ذلك"³⁴.

وفي ذلك يقول الإمام أبو عمرو والداني رحمه الله:

وكل من لا يعرف الإعرابا فرمما قد يترك الصوابا

وربما قد قول الأئمة ما لا يجوز وينال إثمه

ج- الفطنة:

على القارئ أن يتخير أهل الصيانة والتحري، الذين لا يدخل لقراءتهم التحريف والتصحيح، فالمقرئ هو من ينقل القرآن رواية ودراية وفطنة ونباهة، ويكون ذا بصر بالمعاني والألفاظ. لا تدخل الشبهة في أدائه. ومن أهم ما يتعلق بذلك معرفة الوقف والابتداء. قال الإمام الأنباري: "ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه: معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام من الوقف الكافي الذي ليس بتام، والوقف القبيح ليس بتام ولا كاف"³⁵.

د- الديانة:

ينبغي أن يكون المقرئ من أهل الديانة والطاعة والورع: يقول الإمام بن عبد البر

33- كتاب السبعة : 45.

34- الفوائد الجميلة : 227.

35- إيضاح الوقف والابتداء: 108/1.

رحمه الله: "وحملة القرآن هم: العاملون بأحكامه وحلاله وحرامه، والعاملون به"³⁶.
قال الإمام القرطبي تعليقاً عليه: "ما أحسن هذا!! وهذا هو الكمال على ما
تقدم"³⁷.

ولقد نظم الإمام أبو عمرو الداني صفات المقرئ في هذه الأبيات:

واطلب هديت العلم بالوقار	واعقد بأن تطلبه للباري
فإن رغبت العرض للحروف	والضبط للصحيح والمعروف
فاقصد شيوخ العلم والرواية	ومن سما بالفهم والدراية
ممن روى وقيد الأخبار	وانتقد الطرق والآثار
وفهم اللغات والإعراب	وعلم الخطأ والصواب
وحفظ الخلاف والحروف	وميز الواهي والمعروف
وأدرك الجلي والخفي	وما أتى عن ناقل مرويا
وشاهد الأكابر الشيوخ	ودون الناسخ والمنسوخ
وجمع التفسير والأحكام	ولازم الحداق والأعلام
وصحب النساك والأخيار	وجنب الأردال والأشرار
واتبع السنة والجماعة	وقام لله بحسن الطاعة
فذلك العالم والإمام	شكراً به لله لا يقام

المبحث الثاني - واقع نظام القراءة والإقراء بين الأمس واليوم:

تشهد كتب التاريخ أن للمغاربة القدح المعلى في العناية بالقرآن الكريم وفي

36- التذكار...: 37.

37- نفس المصدر السابق.

الإبداع في نظم تحفيظه وتلقينه، وفي الإسهام في الرفع من مستوى تدريس علومه، والتطوير في البرامج والمناهج، وما يقف عليه المتتبع من فيض المعلومات التي دبحها قلم رجال أمناء لهي شهادة حية صادقة عن إنجازات المغاربة عموماً، وما قاموا به من أعمال جليلة في خدمة كتاب الله تعالى، الأمر الذي جعلهم موضع احترام وتقدير وتبجيل.

وهذا النجاح الباهر ما كان أن يتحقق لولا تضافر الجهود، وتوافر الكفاءات العلمية المشهود لها بالإجادة والإخلاص، لذا نجد أنه كان للكتاتيب القرآنية إشعاعها الكبير في تاريخ المغرب، وأثرها الواضح في المحافظة على القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وأداء ورسمًا وضبطاً.

والسر في ذلك يكمن في أن "القائمين بشؤونها أساتذة يحفظون كتاب الله ويفهمونه، ولهم مشاركة في مختلف العلوم، وعلى الأقل الضرورية منها، فكانوا رجالاً يحق لهم أن يعلموا الناس، وأن توكل إليهم تربية النشء الجديد الذي ستكون بيده مقاليد أمور الأمة في الدين والدنيا. ولكن جاء وقت - ويالأسف - ترفع فيه عن هذه المهمة الشريفة رجال العلم والأدب، فتقدم لها أناس إنما سمعوا شيئاً فحفظوه، فهم يبلغونه بإخلاص وحسن نية، وإن كان جلهم كالآلة، تحكي ما سمعت دون فهم ولا إدراك، فصار الشاب بعد أن يقضي سنوات عديدة في جهد عنيف، يخرج من المسيد وقد حفظ القرآن كله أوبعضه، ولكنه لا يعرف شيئاً من واجباته الدينية ولا الاجتماعية، ولا يعرف قواعد اللغة ولا أي شيء يفيد في حياته ومعاشه، فهو لا يحسن حتى وضع الأرقام الحسابية، فضلاً عن كتابة رسالة أو تنظيم دفتر أو إدارة أي عمل من الأعمال، بل قد يبلغ العشرين من عمره وهو لا يحسن قراءة الحروف المطبعية، لأنه لم يرها في حياته بالمسيد، فإذا حاول قراءة العلم فإنه يضطر لتعلم قراءة

الكتب والأرقام، وفي ذلك ضياع وقت وبذل جهود متعبة ...³⁸.

واستمر هذا العطاء فترة من الزمان، وانفتح القراء على العامة في محاولتهم الجادة إلى تقريب أصول القراءة الصحيحة منهم، وتحقيق لهم ذلك، حيث أصبحت قراءة عامة الناس مجودة ومرتلة.

إلى أن وقع المحذور حيث حدث الانحراف عن النظام، أقصد انحرافاً جزئياً نسبياً، مع اختلاف وتباين في المسارات، وتفاوت في حجم التغير الطارئ من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر . مما دفع بكبار القراء المقرئين المصلحين الغيورين إلى معالجة تلك الآفات وتحذير الناس من العيوب والأخطاء، نذكر بالمناسبة نماذج لذلك:

- قول الإمام ابن العربي: "وحدثت قاصمة أخرى تعلم العلم، فصار الصبي عندهم إذا عقل، فإن سلخوا به أمثل طريقة لهم، علموه كتاب الله، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض فيه، حفظوه الموطأ، فإذا لقنه، نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار، ثم يختمون له بأحكام ابن سهل. فقال: " قال فلان الطليطلي، وفلان المجريطي، وابن مغيث لا أغاث الله نداءه، ولا أناله رجاءه، فيرجع القهقري أبداً إلى وراء على أمه الهاوية [...] والذي يجب على الولي في الصبي المسلم، كان أباً أو وصياً أو حاضناً أو إماماً إذا عقل أن يلقيه الإيمان، ويعلمه الكتابة والحساب، ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويعرفه العوامل في الإعراب، وشيئاً من التصريف، ثم يحفظه إذا استقل واشتد في العشر الثاني، كتاب الله وهو أمر وسط بيننا وبين أهل المشرق، ثم يحفظه أصول سنن الرسول، وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب، تضمنها البخاري ومسلم، وهي عماد الدين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن،

38- على رأس الأربعين للعلامة محمد داود: 32، تقديم وتحقيق: حسناء داود / تطوان: 1421- 2001.

ومعاني كلماته³⁹.

- قول الإمام ابن القاضي: "فائدة تجويد: لا بد في النطق بالتاء من أصول الثنايا وطرف اللسان كما قالوا. وقل من يحكم ذلك من المغاربة، فليحذر، فلا تحل تلاوته، وتبطل صلاته، ويحذر في نستعين من السكت بين السين والتاء ومن التحريك، ومن الإدغام، وهذا كله يفعله الناس كما هو مشاهد"⁴⁰.

قال الإمام المجرادي⁴¹ في القصيدة التي خصها بالتاء:

تحفظ رعاك الله في السر والجهر على حرف التاء حين تتلو بلا عسر
إلى الحنك اصعد عند إخراجها بها ولا تنحدر نحو الثنايا تمل شكري
ولا تدغمن السين فيها مسكناً فذلك لحن قاله كل من يقري
فإن تدغمن تبطل صلاتك مفرداً وإن كنت مؤثماً فبطلانها يسري
إلى آخرها أجاد فيه وأفاد"⁴².

- يقول الإمام الودغيري في كتابه التوضيح والبيان في مقرأ نافع بن عبد الرحمن: "وأما ما يفعله بعض الناس ممن يزعم التجويد من الإفراط في المد ومد ما لا مد فيه ولوك الحروف حتى يصير كلامه ككلام السكران والمبالغة في ضغط صوت الحمزة فليس ذلك بشيء وقد نهى عنها ابن عبد الصمد السخاوي في نونيته التي سماها بعمدة المجيد بقوله فيها :

لا تحسب التجويد مدّاً مُفْرطاً أو مد ما لا مد فيه لوان

39 - العواصم من القواصم: 492/2-493 تحقيق الدكتور عمار طالبي.

40-الجامع المفيد لأحكام الرسم والضبط والقراءة والتجويد، للإمام عبد الرحمن بن القاضي، تحقيق الدكتور عبد المنعم التسماني.

41- هو: أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن المجراد صاحب كتاب : إيضاح الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر النوامع في أصل مقرأ نافع، ت : 778هـ.

42- الجامع المفيد لأحكام الرسم والضبط والقراءة والتجويد، للإمام عبد الرحمن بن القاضي/تحقيق الأخ الشقيق الدكتور عبد المنعم التسماني.

أوأن تشدد بعد مد همزة أوأن تلوك الحرف كالسكران

أوأن تفوه بمزة متهوعا فيفر سامعها من الغيثان

للحرف ميزان فلاتك طاغياً فيه ولا تك مخسر الميزان

- جاء في كتاب "الجرباب الجامع" للعلامة عبد الصمد كنون تحت عنوان: "قراءة الحزابين" فائدة : في (بذل المناصحة) للإمام المحقق الورع سيدي أحمد بن علي السوسي أن شيخه سيدي عبد الواحد بن عاشر مات أخوه. فلما كان عند انصراف الناس قام فقال: يَايها الناس إنما منعي اصطناع الحزابين أنهم يفسدون قراءة القرآن.

قال: وقال لي مرة:قراءة الحزابين عذر في التخلف عن الجنائز.

قال في "نشر المثاني": وإنكاره على الحزابين جدير بذلك لما يؤدي إليه من تقطيع القراءة وعدم إمكان وصل آيات القرآن بعضها ببعض، لكلهم مما يراحهم من النفس، ومثله يلزم في غالب ما يقرأ من أحزاب القرآن في المساجد اليوم. والواجب أن يرتلوا حتى تستوي الأصوات قراءة وسكوتا، وهو عسير لا يمكن إلا بالترتيل التام⁴³.

نظام القراءة والإقراء في العصر الحاضر - الواقع والآفاق:

إن المطلع يدرك بسهولة ما وقع من انحراف، وما حصل من تقهقر، وما آلت إليه حال القراءة من ضعف مكشوف، وخلل بين شمل مستوى التحصيل والتلقين. فما أكثر العيوب والنقائص والهفوات لخلل في الممارسة، ويمكن تقسيم العيوب إلى خلقية ومكتسبة. فكل المحذورات موجودة كقصر الممدود، ومد المقصور، وتحريك الساكن، وتسكين المتحرك، وهمز المخفف، وتخفيف المهموز،

43- الجرباب الجامع لأشتات العلوم والآداب: 21-222. تقديم الدكتور محمد أبي الأجفان/ الطبعة الثانية: 1986م/تونس.

وإظهار المدغم، ودغم للمظهر، والافتنان في التلاوة، والإفحاش في القراءة⁴⁴،
والتخطيط وقراءة الأنغام، والتلحين في القراءة تلحين الغناء، والتكتيب من
المصحف، وكثرة الأخطاء الفاحشة في الألواح المصححة، وتنوع في القراءات،
وتعدد في الروايات من غير مراعاة للضوابط والمعايير المتبعة في ذلك، مما أصبح
ينذر بالخطورة.

من أسباب الضعف والخلل الموجود في القراءة والإقراء في العصر الحاضر:

يمكن أن نرجع ذلك إلى عدة أسباب من أبرزها:

– الإهمال الذي لحق المدرسين والفقهاء وعدم حصول الكفاية لهم، فالفقيه
إذا كان منهوكة من جانب ضرورياته، مشغول الفكر بقوت أولاده، وهم
مسكنه، وتعدر شؤونهم، فمن غير شك تعوقه تلك العوائق عن القيام بمهمته على
الوجه الأكمل. يقول الفقيه ابن المواز السليماني: "فلا ضرر أشد على العلم من
أمرين: أحدهما – عدم كفاية أهله المشروعة لهم. والثاني – عدم تخلصهم من

44- وهذا يظهر جلياً لدى بعض الأئمة في بعض المساجد الكبرى في المغرب، وغاب عن أذهانهم أن للمحارب قراءته
يقول العلامة أبو علي الحسن ابن البنا البغدادي في كتابه "بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات
التي بني عليها الإقراء": "باب وصف قراءة المحارب:
الأولى أن يسلك فيها التوسط، ويعدل عن التجافي والشطط، ولهذا كره قوم من العلماء أن يقرأ فيها بقراءة حمزة بن
حبيب الزيات، لما فيها من المد الفاحش والاضجاع، والوقوف على السواكن وغير ذلك مما يباين غيره من القراء، كل
ذلك لطلب التعديل وترك التجافي والتطويل. وليراع في محاربه الوقوف المستحسنة، ولتجنب الفاحشة المستكره،
وإن كان ذلك تجب مراعاته في كل حال، إلا أن المحارب يراعى فيه من يستمع ويثلو أكثر. وليحذر أن يصل ركوعه
وسجوده بنفس التلاوة، مثل أن "يؤخر" ﴿واسجد واقترب﴾ إلى حين سجوده، فإنه لا يجوز عند العلماء، لأنه لا يخلو
إما أن يكبر فيكون قد أتى بالكبيرة في غير محلها، وهي تكبيرة السجود، أولاً يكبر ويخل بها رأساً عامداً، فيكون قد
أخل بمسنون لا بد منه، أو واجب عند بعض العلماء، وتقصد صلاته عندهم إذا تعدد ذلك، وهو مذهب الإمام أبي عبد
الله أحمد بن محمد بن حنبل (رضي الله عنه) وكذلك التكبير الركوع، وهذا يجب أن يراعى أهم مراعاة. وهم على
ثلاثة أضرب، فمنهم من يمضي على سنن واحد بترتيل وهو أكملها، أو يحذر وهو أسهلها، أو يجمع بينهما وهو
أعدلها، بعد أن لا يخل في جميع ذلك بشيء من شرائط القراءة، وليراع ركوعه وسجوده وتشهده وأركان صلاته التي
لا تصح إلا بها، ولا يهمل ذلك فإنه فرض، والتلاوة ما عدا الفاتحة نفل. ولا يقرأ إلا بالمشهور من القراءات
والروايات، ولتجنب الشواذ من ذلك، وإن كانت جائزة في العربية، وما خالف المصحف منها، فهو المجمع على
تركه، وإن كان شهدت العربية بصحته، لأن القراءة سنة لا يجوز مخالفتها ولا العدول عنها: 41/40، تحقيق الدكتور
غانم قدوري / مجلة معهد المخطوطات العربية.

كل ما يمس بحرماتهم، وتمييزهم عن العوام"⁴⁵.

- ضعف العناية بعلوم القرآن وبفن القراءات خاصة:

يقول الفقيه محمد داود تحت عنوان: "الروايات وعلم القرآن": "ثم إن الرواية الوحيدة التي يقرأ بها في مكاتب تطوان إنما هي رواية ورش، ولا يقرأ غيرها في المكاتب عادة. نعم يوجد شيوخ يقرأون بورش وبغيره أيضاً، ولكن مع بعض الطلبة المنتهين، وربما كان ذلك خارج المكتب، وربما قرأ بعضهم بالسبع، وربما قرأ بالعشر، وقد قل ذلك جداً، إن لم يكن قد انعدم في المدة الأخيرة، بل إن علم القراءات نفسه كاد يفقد من تطوان ويا للأسف. وحذا لو خصص له كرسي خاص به في كل معهد من المعاهد الدينية، إما على نفقة المعارف وإما على نفقة الأعباس الإسلامية، لأنه من العلوم الجليلة التي من العار التفریط فيها. ومن السهل فيما أرى إحياء هذا العلم ونشره الآن، ما دام في الجبال قوم يحافظون عليه، وإن كان عددهم في المغرب يقل شيئاً فشيئاً، وهم في طريق الانقراض، أما إذا لم يتدارك الأمر وطال الحال، فإن هذا العلم قد يفقد بالكلية لا قدر الله".

- قلة الاهتمام بقواعد التجويد والأداء: وهذا لا حظناه ووقفنا عليه أثناء زيارتنا لكثير من الكتاتيب القرآنية في أنحاء المملكة. ضمن لجنة جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية - فرع المردودية.

- سكوت أهل العلم وخاصة من أهل الشأن، وعدم التنبيه والتحذير، ومهما يكن فإننا متفائلون خيراً بالصحة القرآنية، وما يبذله الغيورون من جهود مشكورة في سبيل الرفع من مستوى التعليم عموماً في الكتاتيب القرآنية، والنهوض بالنظام المغربي في القراءة والإقراء، سدد الله خطاهم، ووفقهم إلى ما يحبه ويرضاه. والحمد لله رب العالمين.

45- خطوة الأقدام في التعليم والتربية في الإسلام، للعلامة أحمد بن المواز السليمانى الحسنى: 74 مخطوط خاص.

من معالم المنهج المغربي في علمي الرسم والضبط

عبد الرزاق الوزكيتي

رئيس المجلس العلمي المحلي بآسفي

تقديم

لم يحظ كتاب سماوي قط عبر تاريخ البشرية بمثل ما حظي به القرآن الكريم من العناية والاهتمام، رسماً وضبطاً، وفهماً واستنباطاً.

ولقد وجه المغاربة عنايتهم لخدمة الكتاب الكريم، وسيطروا سيطرة تامة على علوم شهد لهم القاصي والداني ببراعتهم وتبريزهم فيها، وذكرت لهم كتب الفهارس والتراجم مؤلفات كثرت وازدادت، ونمت وترعرعت، ومن هذه المؤلفات كتب علمي الرسم والضبط، فما هي يا ترى معالم المنهج المغربي الذي حاز إعجاب المهتمين، المبتدئين منهم والمنتهمين؟

قبل الحديث عن معالم هذا المنهج لابد من التعريف بمصطلحات يكثر ورودها، ويتوقف فهم هذا البحث على فهمها.

أولاً: علم الرسم : الرسم لغة الأثر، ويرادفه الخط والكتابة والزبر والسطر والرقم والرشم (بالشين المعجمة)¹. وهو قسمان قياسي واصطلاحي، فالقياسي هو : "تصوير اللفظ بحروف هجائه على تقدير الابتداء به والوقف عليه"².

1- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، (= سمير الطالبين) لعللي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، 1999: 20.

2- دليل الحيران، شرح مورد الضمان (= دليل الحيران) لإبراهيم بن أحمد المارغيني، تعليق محمد قمحاوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية: 40.

وأصوله خمسة: تعيين نفس حروف الهجاء - عدم التقصان منها - عدم الزيادة عليها- فصل اللفظ عما قبله مع مراعاة الملفوظ به في الابتداء - فصل اللفظ عما بعده مع مراعاة الملفوظ به في الوقف³.

أما الرسم الاصطلاحي (أوالتوقيفي) ويقال له العثماني فهو: "مخالفة الرسم القياسي ببدل أوزيادة أوحذف أو فصل أو وصل للدلالة على ذات الحرف أوأصله أوفرعه أو رفع لبس أو نحوه"⁴.

ثانيا:علم الضبط: الضبط لغة بلوغ الغاية في حفظ الشيء، واصطلاحا: "علم يعرف به ما يعرض للحرف من حركة أوسكون، أوشد أومد أوغير ذلك"، ويرادفه الشكل، يقول الإمام الداني:

"والشكل أصله التقييد والضبط، تقول شكلت الكتاب شكلا أي قيدته وضبطته"⁵.

والنقط ينقسم إلى قسمين: نقط إعراب، ونقط إعجام، فنقط الإعراب هوالعلامات الدالة على ما يعرض للحرف من حركة أوسكون أوشد أومد...إلخ.

ونقط إعجام هوالعلامات التي تميز الحروف بعضها من بعضها كي لا يلتبس معجم بمعمل⁶.

والنقط نوعان: مدور ومستطيل، فالنقط المدور من وضع أبي الأسود

3- الوسيلة إلى كشف العقيلة، (= الوسيلة) لعلم الدين محمد السخاوي، تحقيق الدكتور محمد الإدريسي الطاهري، ط3، مكتبة الرشد 2005: 35-36 وأنظر سميح الطالبين: 20.

4- الوسيلة: 36.

5- المحكم في نقط المصاحف، (=المحكم) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الدكتور عزة حسن، ط2، دار الفكر، 1986: 22.

6- إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين، (= إرشاد الطالبين) للدكتور سالم محسن، المكتبة الأزهرية للتراث، 1989: 4، وأنظر رسم المصحف ونقطه، لعبد الحي الفرماوي، مؤسسة الريان، ط1. بيروت، 2004/1425: 261 وما بعدها.

الدؤلي، وسمي بذلك لكونه على صورة الإعجام الذي يرسم نقطا مدورة⁷.

ونوع مستطيل، ويقال له الشكل المستطيل أيضا، وسمي بالشكل لأنه يزيل ما في الكلام من إبهام وإشكال، وهو من وضع الخليل، وقد أخذ أشكاله من الحروف، فالفتحة ألف صغرى مبطوحة، والضمة واو صغرى أمام الحرف، والكسرة ياء صغرى مردودة تحت الحرف⁸.

ثالثا: خصائص رسم المصحف من خلال كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار:

إن المتصفح لكتاب الله يجد أن أكثر كلماته موافق لقواعد الرسم الإملائي، وهناك كلمات يخالف رسمها القواعد الإملائية المعروفة، وهي كلمات معينة، لا يصعب على أحد إذا لقَّنها أن ينطق بها صحيحة، وعلى هذا فإن الرسم جار على غير قياس، غير متأثر ببعض القواعد الهجائية، لأن رسم المصحف سنة متبعة لا يخضع لضابط باتفاق الأئمة لكونه أمرا توقيفيا، أي يتوقف على السماع من رسول الله وليس للعقل أن يطعن في شيء مما رسمه الصحابة في المصاحف، لأنه طعن في مجمع عليه، ولأن الطعن في الكتابة كالطعن في التلاوة⁹.

وقد حصر علماء الرسم سمات وخصائص مخالفة الرسم القرآني للإملاء العادي في ستة أنواع :

1- الحذف، 2- الزيادة، 3- الهمزة، 4- الإبدال، 5- الوصل والفصل، 6 - ما فيه قراءتان، وقد جمع هذه السمات الشيخ محمد العاقب في منظومته فقال:

الرسم في ست قواعد استقل	حذف زيادة همز وبدل
وما أتى بالوصل أو بالفصل	موافقا للفظ أولأصل

7- المحكم: 27.

8- المحكم: 176-177، رسم المصحف ونقطه: 317-318.

9- دليل الحيران: 41-42، سمير الطالبين: 20-21.

1 - الحذف:

الحذف معناه الإسقاط والإزالة، وقد جاء في المصاحف العثمانية على ثلاثة أقسام:

أ. حذف إشارة: وهو ما يكون موافقا لبعض القراءات نحو (وإذ وعدنا) البقرة 51، فقد قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب واليزيدي بحذف الألف بعد الواو، من الوعد، وقرأ الباقون بالألف من المواعدة¹¹. حذفت الألف في الخط إشارة لقراءة الحذف، على أنه لا يشترط في كونه حذف إشارة أن تكون القراءة المشار إليها متواترة، بل ولو شاذة لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كتبت المصاحف¹².

ب. حذف الاختصار: وهو ما لا يختص بكلمة دون مماثلها ونظائرها، فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها، وذلك كحذف الألف في (العلمين) الفاتحة 1 و(الصبرين) البقرة 154 و(المومنت) النور 23 و(الظلمت) البقرة 256¹³.

ج. حذف الاقتصار: وهو ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها كحذف الألف في ﴿ولوتواعدتم لاختلفتم في الميعد﴾ [الأنفال: 42] و﴿سيعلم الكفر لمن عقى الدار﴾ [الرعد 42]¹⁴.

وجميع أنواع الحذف المذكورة إنما ترجع إلى الاختصار، وذلك إنما

10- رشف اللمی علی كشف العمی فی رسم القرآن وضبطه، (= رشف اللمی) لمحمد العاقب الجكنی، المطبعة الوطنية بموريطانيا، 1416: 34.

11- النشر في القراءات العشر، (= النشر) لشمس الدين بن الجزري، تعليق علي الضباع، طبعة دار الكتاب العربي: 212/2، وانظر المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، (= المقنع) لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور محمد أحمد دهمان، طبعة دار الفكر، 1983: 10.

12- سمير الطالبي، 24.

13- المقنع: 22.

14- نفسه: 19.

هو اصطلاح لهم، والذي يحذف من الحروف الهجائية خمسة أحرف، يكثر الحذف في ثلاثة منها، وهي حروف العلة الثلاثة المعروفة، ويقل في اثنين وهما النون واللام.

د. حذف الألف: وحذف ألف في القرآن جاء على قسمين:

القسم الأول: ما يدخل تحت قاعدة، وهو خمسة أنواع:

- حذف ألف جمع المذكر السالم نحو (العلمين) الفاتحة 1 و(الصلحين) البقرة 130¹⁵.

- حذف ألف المؤنث السالم نحو(المومنت)النور 23 و(الطيبت)النور 26 و(الغرفت) سبأ 37¹⁶.

- حذف ألف ضمير الرفع المتصل نحو(زدنهم) النحل 88 و(ءاتينه) و(وعلمنه) الكهف 65¹⁷.

- حذف ألف التثنية ما لم يكن طرفا نحو (رجلن) المائدة 23 و(أضلنا) فصلت 29¹⁸.

- حذف ألف الأسماء الأعجمية نحو (وإسماعيل)البقرة 127 و (إسحق) البقرة 136 و(لقمن) لقمان 12¹⁹.

القسم الثاني: ما لا يدخل تحت قاعدة، وهو الجزئيات تكررت أولا، نحو (جاءنا) الزخرف 38 و(بجنع) الكهف 6 و(أحبؤه) المائدة 18.

15- المقتع: 22 .

16- نفسه: 23 .

17- نفسه: 17 .

18- نفسه: 17 .

19- نفسه: 21 - 30 .

هـ حذف الياء، والياء إما حرف أصلي من بنية الكلمة أي تقع في مقابلة اللام التي هي ثالثة أصول الكلمة في الميزان الصرفي نحو(الداع) البقرة 186 و(يوت الله) النساء 146.

والياء الزائدة نحو(فارهبون) البقرة 40 و(أكرمن) الفجر 15 و(أهنن) الفجر 16²⁰.

و. حذف الواو: وتحذف اكتفاء بالضمة سواء كانت الكلمة فعلا نحو (ووري) الأعراف 20 أو صفة نحو(الموعودة) التكوين 8، أو اسما مثل داود، كما سقطت من أربعة أفعال(سندع الزبانية) العلق 18 و(ويمح الله البطل) الشورى 24 و(يدع الانسن) الإسراء 11 و(يوم يدع الداع) القمر 6، كما سقطت من (وصلح المومنين)التحریم 4²¹.

ز. حذف النون: تحذف النون من قوله (تامنا) يوسف 11، و(فننحي من نشاء) يوسف 110.

ح. حذف اللام: تحذف اللام في نحو(الذي) و(الذين) و(التي) و(اليل)²².

2 – الزيادة:

الذي يزداد في المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة: الألف والياء والواو:

– **زيادة الألف:** وهي إما أن تزداد في أول الكلمة أو وسطها أو في آخرها، مثال ذلك (لااذبحنه) النمل 21 و(مايتتين) و(مائة) الأنفال 66 و(لكننا هوالله) الكهف 38، و(الظنوننا) الأحزاب 10²³.

20- المقنع: 30 وما بعدها.

21- نفسه: 35.

22- نفسه: 67.

23- نفسه: 39-42.

- زيادة الواو: مثل (ساوريكم) الأنبياء 37 و(أولوا) الرعد 19 وفروعه²⁴.
- زيادة الياء: مثل ذلك (من نبيي المرسلين) الأنعام 34، و(بأييد) الذاريات²⁵ 47.

3- الهمز:

الهمز لغة: الضغط والدفع، واصطلاحاً: النطق بالهمزة، وهي الحرف المعلوم المسمى همزة، لاحتياجه في إخراجها من أقصى الحلق إلى ضغط الصوت ودفعه لثقله²⁶.

وقد فصل فيها الإمام الداني بنوعيتها همزة الوصل وهمزة القطع ، وهي في كل ذلك جارية على قياس مطرد، اللهم في بعض الكلمات نصوا عليها نحو (الضعفوا) إبراهيم 21 و(تفتوا) يوسف 85 و(مايعبؤا) الفرقان 77 و(شركوا) الأنعام²⁷ 94.

4 - البدل:

البدل لغة العوض، واصطلاحاً: جعل حرف مكان آخر، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: إبدال الياء والواو من الألف، مثال ذلك كل ألف منقلبة عن ياء فإنها تكتب بالياء وجواز إمالتها نحو (يتوفيكُم) الأنعام 60 و(بشريكُم) الحديد²⁸ 12.

إبدال الألف واوا نحو (الصلوة) البقرة 3 و(الزكاة) و(الحياة) و(الربوا) البقرة²⁹ 275 حيث وقعن.

24- المقنع: 53.

25- نفسه: 47.

26- سمير الطالبين: 56.

27- المقنع: 57- 58.

28- نفسه: 63.

29- نفسه: 54.

القسم الثاني: إبدال النون ألفا : مثال ذلك إبدال نون التوكيد الخفيفة ألفا في قوله (وليكونا من الصغرين) يوسف³²، و(لنسفعا بالناصية) العلق¹⁵، فإنهما فعلان ونونهما نون التوكيد الخفيفة، وكتبا بالألف في المصحف العثماني، ومثل ذلك (وإذا لايلبثون) الإسراء⁷⁶³⁰.

القسم الثالث: في إبدال هاء التأنيث تاء، مثال ذلك (رحمت) البقرة²¹⁸، و(نعمت الله عليكم) البقرة²³¹، و(امرات) في مواضع³¹.

القسم الرابع: إبدال واو من ألف: ترسم الواو عوضا من الألف في مواضع منها (الربوا) و(الغدوة) الأنعام⁵² و(كمشكوة) النور³⁵ و(النجوة) غافر⁴¹ و(ومنوة) النجم²⁰³².

القسم الخامس: إبدال الصاد من السين في مثل (الصرط) فقد قرئ بالسين على الأصل، لأنه من السرط وهو البلع، و(ييصط) البقرة²⁴⁵، و(بصطة) الأعراف⁶⁹ وغير ذلك ليحتمل القراءات³³.

5 – الوصل والفصل:

ويسمى أيضا الموصول والمقطوع، والمراد بالفصل قطع الكلمة وفصلها عما بعدها في الرسم، وهو الأصل، والوصل مقابله، وتتبع ذلك مما يطول، وكله مقنن مبسوط في مظانه، وعلى سبيل التمثيل فهناك (عما) فهو بغير نون إلا حرفا واحدا في الأعراف فهو بالنون (عن ما نھوا عنه) الأعراف¹⁶⁶³⁴.

و(في) مع (ما) تقطع في الرسم عن (ما) في أحد عشر موضعا منها ﴿في﴾

30- المقنع: 43.

31- نفسه: 77- 78 .

32- نفسه: 54 .

33- نفسه: 85- 91 .

34- نفسه: 69.

فعلن في أنفسهم من معروف» البقرة 240، و(كي) مع (لا) تفصل في ثلاثة مواضع منها: «لكي لا يعلم بعد علم شيئا» النحل 70، «لكي لا يكون بين الأغنياء منكم» المومنين حرج» الأحزاب 37، «لكي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» الحشر 7. وتوصل في أربعة مواضع منها «لكيلا تحزنوا» «لكيلا يعلم من بعد علم شيئا» الحج 5، «لكيلا يكون عليكم حرج» الأحزاب 50، «لكيلا تأسوا على ما فاتكم» الحديد 23.

6- رسم ما فيه قراءتان فكتب على إحدهما ، وهو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما فيه قراءتان فكتب على إحدهما اقتصارا، وذلك مثل (صرط) كيف وقع، كتبت بالصاد اقتصارا عليها وتغليبا لجانبها على القراءات الأخرى، مع أن قراءة ابن كثير من رواية قبل بالسين الخالصة في جميع القرآن، وقرأ خلف بإشمام الصاد زيا³⁵، ومثله (بصطة) في الأعراف 69 و(مصيطر) الغاشية 22، وما أشبه ذلك³⁶.

القسم الثاني : ما فيه قراءتان أو أكثر ورسم واحد صالح للجميع، من ذلك:

أ- (ملك يوم الدين) الفاتحة 4، مع أن فيه قراءتين بالألف على وزن فاعل، وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف.

ب- على وزن سيمع، أي قاضي يوم الدين، وهي قراءة الباقيين³⁷.

ج- مَالِكَ بفتح الكاف، نصبا على القطع أو منادى مضافا توطئة لإياك

35- التيسير في القراءات السبع، (=التيسير) لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه أو توبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.3، 1985/1406: 18-19.

36- المقنع: 85- 91.

37- النشر: 270/1.

نعبد، وقد رويت هذه عن المطوعي³⁸، ورسمها بدون ألف يحتمل هذه القراءات.

د- مَلِكَ يَوْمَ الدين، بنصب اللام والكاف، ونصب (يَوْمَ) جعله فعلا ماضيا، وهي قراءة علي بن أبي طالب³⁹.

هـ- مَلِكَ يَوْمَ الدين، بالنصب على النداء من غير ألف، وهي قراءة شريح بن يزيد الحضرمي⁴⁰.

القسم الثالث: ما فيه قراءتان ورسم بهما، وهذا القسم يقسم قسمين:

أ- ما ورد برسمين على وجه الإبهام ك(الرياح) الحجر 22 حيث كتب في بعض المصاحف بألف، وفي بعضها بحذفها⁴¹ ومثله (فلق الحب) الأنعام 95 في بعضها بالألف، وفي بعضها بالحذف⁴².

ب- ما ورد برسمين على وجه التعيين، ومن ذلك (وقالوا اتخذ البقرة 116 كتب في الشامي بلا واو، وفي البقية بالواو، وبهما قرئ⁴³، وكذا (سارعوا) آل عمران 133 كتب في المصحف المكي والعراقي بواو قبل السين، وفي المدني والشامي بحذفهما، وبهما قرئ⁴⁴.

وهذا القسم هو الذي يسميه أهل الفن بالخلافيات غير المغتفرة التي يلزم على كاتب المصحف أن يرسم لكل قارئ بما يوافق قراءته منهما.

38- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (=إتحاف فضلاء البشر) لأحمد الدمياطي الشهير بالبناء، تعليق علي الضباع، مطبعة المشهد الحسيني بمصر: 151.

39- الإبانة عن معاني القراءات (=الإبانة) لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، طبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1960: 75.

40- الإبانة عن معاني القراءات : 75.

41- المقتع: 94- 95.

42- نفسه: 93- 94.

43- نفسه: 102.

44- نفسه: 102.

رابعا- خصائص المنهج المغربي في علم الضبط:

من أهم ما ألف المغاربة في علم الضبط كتاب "المحكم في نقط المصاحف" لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ) وكتاب "أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار" لأبي داود سليمان بن نجاح (ت496هـ).

ولئن كان لأبي عمرو فضل السبق في هذا المجال، فإن أبا داود امتاز في عمله بأنه يصف نقط المصاحف وإعرابها بالنقط والشكل وكيفية ذلك بطريقة علمية وعملية.

ثم إن أبا داود له مكانة مرموقة، ومن أشهر من ألف في هذا العلم؛ واعتماد نساخ المصاحف إنما يدور على أقواله وآرائه، بل يذهب الرسام وأرباب النقط إلى ترجيحها على مذهب الداني، وقد اعتمد كتابه جل من جاء بعده.

وهكذا اعتمد عليه محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي الشهير بالخراز (ت718هـ) في نظمه "عمدة البيان في ضبط القرآن" هذه المنظومة التي أصابت حظا عظيما في أوساط المهتمين، وسارت الركبان بذكرها، وأصبحت لا يستغني الطالب المبتدئ، بله المنتهي، ولقد لخص العلامة ابن خلدون هذا الإقبال الكبير عليها فقال: "نظم الخراز من المتأخرين أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لناقله، واشتهرت بالمغرب، واقتصر الناس على حفظها، وهجروا بها كتب أبي داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم"⁴⁵.

وقد نبه ابن الجزري على بعض مصادر الخراز فقال: "ونظم في ذلك أرجوزة لطيفة أتى فيها بزوائد على الرائية (يعني عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) والمقنع من التزليل لأبي داود وغيره"⁴⁶.

45- مقدمة ابن خلدون، طبعة تونس: 438.

46- غاية النهاية في طبقات القراء، (=غاية النهاية) لشمس الدين بن الجزري، عني بنشره، ج برجستراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1980/1400: 237/2 ترجمة 3394.

وقد قام حول نظم الخراز الآنف الذكر نشاط علمي ملحوظ ما بين شروح وحواشي وتقييدات عليها، بيانا لمقاصدها واستجلاء لقضاياها ووصلها بمصادرها التي ينقل عنها الناظم. وقد تتبع الدكتور عبد الهادي حميتو أسماء الشروح التي ظهرت عليها، أوصلها إلى 95 شرحا وتقييدا ومختصرا⁴⁷.

ولقد أثنى العلماء الثناء الحسن على صنيع الإمام الخراز، فهذا الإمام الشوشاوي ذهب في كتابه "تنبيه العطشان شرح مورد الظمان" بأن أحسن الكتب المصنفة في علم الرسم هو هذا الكتاب المسمى بمورد الظمان، فإن ناظمه أتقنه غاية الإتقان، واختصره من كتب الأئمة المقتدى بهم في هذا الشأن، لأنه جمع فيه أربعة كتب: اثنين منظومين، واثنين منثورين⁴⁸.

من أهم سمات منهج الإمام الخراز في منظومته "عمدة البيان":

1- اعتماده طريقة الشكل المستطيل المنسوب للخليل الفراهيدي، ورجوعه عن طريقة النقط المدور المنسوب لأبي الأسود الدؤلي، كما يشير إلى ذلك بقوله:

كيما يكون جامعاً مفيداً على الذي ألفيته معهوداً

مستتباً من زمن الخليل مشتهراً في أهل هذا الجيل⁴⁹

2- نظمته مسائل ضبط المصحف وإعرابه بالنقط والشكل وفق قراءة الإمام نافع، القراءة الرسمية للدولة المغربية، وتمييزها عن باقي القراءات. يقول:

47- قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، للدكتور عبد الهادي حميتو، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2003/1424: 508-434/2.

48- تنبيه العطشان على مورد الظمان للحسين بن علي بن طلحة الرجرجي الشوشاوي، مخطوط خاص: لوحة 2، والمنظومتان العقيلة للشاطبي، والمنصف للبلسي، والكتابان المنشوران المقنع للداني، وانظر التنزيل في هجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان، (=التنزيل) لأبي داود سليمان بن نجاح، مخطوط الخزانة الملكية رقم 808 ضمن مجموع.

49- انظر دليل الحيران: 33.

فجئت بذاك في هذا الرجز لخصت منهن بلفظ موجز
 وفق قراءة أبي رويم المدني ابن أبي نعيم
 حسبما اشتهر في البلاد بمغرب لحاضر وبادي⁵⁰

وقد ذكر مسائل الضبط مجردة غير منسوبة إلى أصحابها نظرا لندرة الخلاف فيها، واقتصر على الراجح من الأقوال، وما جرى به العمل في مصاحف بلاد المغرب، وهذه معالم من منهج الضبط:

أ- في أحكام الحركة غير الخالصة: يقسمونها إلى ثلاثة أقسام: مختلصة ومشمة وممالة.

والاختلاس عند القراءة اختطاف الحركة بسرعة حتى يذهب القليل ويبقى الكثير، ويكون في الحركات كلها، وقد رواه قالون عن نافع في عين (نعما) النساء 58 و(لا تعدوا) النساء 154، وفي هاء (يهدي) يونس 35 وخاء (يخصمون) يس 49 تنبيهها على أن أصلها السكون⁵¹.

والإشمام: النطق بحركة تامة مركبة من حركتين ضمة وكسرة، وجزء الضمة مقدم وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر⁵²، وقد قرأ به نافع في سين (سيء) هود 77 و(سيئت) الملك 27، تنبيهها على أن أصلها الضم، وإنما كانت الحركة المختلصة والمشمة غير خالصتين لأن الأولى مشوبة بسكون، والثانية كسرة مشوبة بضمة⁵³.

أما الممالة فهي قسمان: محضة وغير محضة، فالمحضة أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص، ولا إشباع مبالغ فيه، وتسمى

50- دليل الحيران: 29.

51- دليل الحيران : 334 .

52- دليل الحيران : 334 .

53- المحكم 44-45-46 ، دليل الحيران : 334-335 .

بالإمالة الكبرى، وغير المحضة، وهي ما بين الفتح الخالص والإمالة المحضة، ويقال لها بين بين، وبين اللفظين، وتسمى بالإمالة الصغرى، وبالتقليل⁵⁴، وإلى ذلك يشير ميمون الفخار(ت816هـ) بقوله :

القولُ في المخفَى وفي المُرَامِ وذِي اختلاسِ قل وذِي إشْمامِ
أشْكالُها في الوزنِ والحقيقة كالمشبعاتِ اسمعْ وخذْ تحقيقةً
لكنَّ صوتَ تلك لا يُيَمُّ ولفظُها التَمْطِيطُ لا يَعَمُّ
وقد خَفَتْ بِذاكِ حتَّى ظُنَّا بأنَّها عَرَتْ وقد سَكَنَّا
للضَّعْفِ والتَّوهينِ والإسْراعِ ⁵⁵

ب- في باب أحكام التنوين: يتحدث علماء النقط عن الإتيان والتركيب فيه، ويقصد بالإتيان وضع التنوين عرضاً، أما التركيب فهو وضعهما طولاً⁵⁶، فإذا جاء بعد التنوين أحد حروف الحلق الستة، فحكمه التركيب، واحدة فوق الأخرى، فالسفلى منهما الحركة لأنها تلي صورة الحرف ، والعليا التنوين لأنه آت بعد الحركة، هذا في حال النصب والرفع، أما في حال الخفض، فالعليا الحركة، لأنها هي التي تلي الحرف والسفلى التنوين⁵⁷.

وحكمه مع همزة الوصل كما في (حكيم انفروا) التوبة41، أو(رحيما النبيء) الأحزاب 5-6 التركيب، قياساً على ما تحرك بنقل الحركة، ونقل الشوشاوي

54 - دليل الحيران : 335 .
55- الدرة الجلية في نقط المصاحف العالية، (= الدرة الجلية) لأبي وكيل ميمون مساعد المصمودي الفخار الفاسي، مخطوط خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم 8371:الأبيات من 196 إلى 200 .
56- المحكم: 72 .
57- المحكم : 68، أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار(=أصول الضبط)لأبي داود سليمان بن نجاح، مخطوط الخزانة الملكية رقم 808 ضمن مجموع : لوحة 2 .

جواز الوجهين التراكب والإتباع، وذلك من جهة النظر لا من جهة النص⁵⁸،
وإلى ذلك يشير ميمون الفخار بقوله:

وقبل همز القطع ركب مطلقاً	منقول شكل جاء أو مُحَقَّقاً
لأنه مُقَدَّرٌ مَنْوِيٌّ	يقول هذا شيخنا الدَّانِيُّ
كذلك أيضاً قبل همز الوصل	ركبة مجملاً تفز بالعدل
لأن ما بعيد همز الوصل	مسكناً تلفيه عند الكل
ولن ترى مدغماً في ساكن	فمنع الإثباع للتبائن
وفصل همز الوصل أيضاً ما اعتبر	فما بعيد بعد تنوين سطر ⁵⁹

واستثنى أهل الضبط من التنوين مع همزة الوصل قوله تعالى (عادا الأولى) النجم 50، فحكموا فيه بالإتباع لأنه لم يتحرك فيه التنوين، ولذلك أدغم، قال المارغني: "وحكم به المحققون من المتأخرين وهو الذي جرى به العمل عندنا"، والإتباع يكون على قراءة النقل والإدغام من طريق المسيبي وأبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء، والتركيب يكون للباقيين⁶⁰.

وقوله في النَّجْم (عادا الأولى)	عن بعضهم قد جاءنا منقولاً
لكن من بالنقل قد يعتد	يتبع مدغماً ولا يمد ⁶¹

ج- في باب أحكام المظهر والمدغم: يتحدث أهل النقط عن حكم ضبط الإدغام الناقص، وهو ما يدغم فيه لفظ الحرف ويبقى صوته، وذلك مثل قوله

58- الطراز شرح ضبط الخراز، (=الطراز) للإمام أبي عبد الله محمد التنسي، تحقيق أحمد شرشال، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط. 1: 51؛ أنظر حلة الأعيان على عمدة البيان، (=حلة الأعيان) للحسين بن علي بن طلحة الجرجاني الشوشلوي، مخطوط خاص: لوحة 59.

59- الدرة الجلية: الأبيات من 388 إلى 392.

60- دليل الحيران: 325، الطراز: 51، النشر: 410/1.

61- الدرة الجلية: البيتان 394-395.

(أَحْطُتُ) النمل 22، فقد أجمع القراء على إدغام الطاء الساكنة في التاء، وتبقى صوت الطاء مع الإدغام، لئلا يخل بالطاء⁶².

وكيفية ضبط هذا الحرف من وجهين:

الأول: أن يجعل على الطاء علامة السكون، وعلى التاء بعدها علامة التشديد، فيعلم بعلامة السكون أن الطاء لم تنقلب قلباً خالصاً، وأن الإطباق الذي هو صفتها باق على حاله، وبيانه امتنع القلب، ويعلم بعلامة التشديد أن الطاء غير مبينة، وهذا الوجه هو المختار عند الداني وأبي داود.

الثاني: أن تعرى الطاء من السكون، والتاء من التشديد دون الحركة، فيعلم أيضاً بتعرية الطاء من علامة السكون أنها مدغمة في التاء، ويعلم بتعرية التاء من علامة التشديد أن الطاء لم تنقلب إلى لفظها قلباً صحيحاً، وكلا الوجهين حسن عند أبي داود، وبه جرى العمل في المصاحف المشرقية، وبالأول جرى العمل في المصاحف المغربية⁶³، وهو ما يجمله أبو وكيل ميمون في درته:

فصلُ وحكمُ الطاءِ في (أَحْطُتُ) إدغامها لكن يُبْقَى الصَّوْتُ

كَي لا يُخِلُّ مدْغَمٌ بالطاءِ وَكُتِبَتْ كَالنَّوْنِ عند الياءِ

صَوْرُ سَكُونِ الطَّاءِ وَشَدُّ التَّاءِ أَوْعَرُّ مِنْهُمَا بَلَا امْتِرَاءِ

لكنَّ في التَّاءِ تُبْقَى الحُرْكََةُ اسْمِعْ هَذَاكَ اللهُ مَاعَرَفْتُكَ

سَكُونُهَا كَمَا مَضَى دَلِيلُ عَلَى بَقَاءِ الطَّاءِ فَلَا تَبْدِيلُ

لم ينقلب قلباً صحيحاً كاملاً والشَّدُّ يُعْطَى ذَا فَقْدِ تَجَامَلاً

62- المحكم: 80، أصول الضبط: لوحة 16، النقطة بذيّل المقنع: 134.

63- المحكم: 80، أصول الضبط: لوحة 16-17، دليل الحيران: 351.

وعكسُ ذا تقولُ في التجريدِ والأولُ اختيرَ فخذُ تحديد⁶⁴

وحكم الطاء هنا لازم لما يماثلها، وقد ورد ذلك في موضعين آخرين:
(بسطتُ إلي) المائدة 28 و(على ما فرطتُ) الزمر 56.

د- يذكر أرباب النقط عند قوله تعالى : ﴿لَا هَبْ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم 18، وجوها في كيفية نقطتها:

فقد ذهب عبد الغني اللبيب (ق9 هـ) إلى أن في ضبطها وجوها منها : أن تجعل ياء حمراء بعد لام ألف، إما موصولة بالهاء وإما مفصولة.

ومنها: أن يكتب بلام ألف وبياء حمراء متصلة بالهاء، ومنها: أن يكتب بلام ألف وبياء حمراء مردودة منفصلة عن الهاء، وأحسنها عنده جعل ياء حمراء في رأس الألف من لام ألف.

وزاد المحاصي أن تكتب باللام متصلة بالياء بعدها موصولة بالهاء، وهو خرق للإجماع، إذ أجمعت المصاحف على كتبه بلام ألف، وهو الذي ذكره الداني بسنده في المقنع، وجرى عمل المغاربة بما اقتصر عليه أبوداود، وهو الوجه المستحسن عند اللبيب⁶⁵.

هـ- عند ذكرهم أحكام ضبط الهمز المفرد، يتحدثون عن كيفية ضبط (الـ) الأحزاب 40، والمجادلة 2، والطلاق 4، ويوردون في ذلك وجهين:

أحدهما: أن يجعل تحت الياء نقطة بالحمراء، وتجعل على الياء دارة صغرى علامة لتخفيفها أو دلالة على أنها همزة مسهلة.

64- الدرة الجليلة: الأبيات من 462 إلى 468.

65- انظر الدرة الصقيلة شرح العقيلة، (= شرح العقيلة) لعبد الغني اللبيب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، تحقيق عبد العلي أيت زعبول 1992/1412 : 469/2، الطراز: 168-169، المقنع: 42، أصول الضبط: لوحة 21، حلة الأعيان: لوحة 154، التنزيل: لوحة 176، وانظر شرح المجاطي على عمدة البيان، مخطوط المكتبة الوطنية لتونس رقم 10447: لوحة 73.

الثاني: إعراؤها من النقطة ، إذ كسرهما ليس بخالص ، وتجعل الدارة عليها لتدل على التخفيف والتلين⁶⁶ يلخص هذا كله الإمام الفخار بقوله :

وكتبوا (والـ) في المكنون بالياء على إرادة التلين
فهذه الياء خلف عن همزة ولن تراها خلفاً عن كسرة
ضع تحت تلك الياء نقطاً أحمرًا إذ هو كسرُ الهمز حين أظهرًا
ودارة من فوقها دلالة على سُكون الياء لا محالة
من سكونها والشكل أبقوا شطراً فوضعوا سكونها والكسراً
ومن يغلب جانب السكون لا يضعُ النقطَ فخذُ تبين⁶⁷

وفي باب نقط ما نقص هجاؤه: يتحدثون عن قوله تعالى (حتى إذا جاءنا) الزخرف 38، وهو حرف رسم في جميع المصاحف بألف واحدة، وأصل (جاء) جِيًّا على مثال (فَعَلَ) فانقلبت الياء فيه لتحركها وانفتاح ما قبلها، وبعدها همزة هي لام الفعل، ثم انضاف إلى ذلك ألف التثنية بعد تلك الهمزة، ولم تكن الهمزة بالحاجز القوي لخفائها، ولأنها صورة لها، فالتقى الألفان في الحكم، فوجب حذف أحدهما، فكانت الأولى بالحذف أولى في القياس، لأن الثانية علامة التثنية⁶⁸.

وفيها احتمال أن تكون المحذوفة هي علامة التثنية ، وذلك من حيث كانت زائدة، وكأن الثقل والكراهة إنما وجبا لأجلها، فلذلك حذفت الزائدة ، وأثبتت الأصلية.

وكيفية ضبط هذا الحرف على الوجه الأول أن تجعل الهمزة نقطة بالصفراء

66- انظر المحكم : 91، أصول الضبط : لوحة 21، دليل الحيران : 416.

67- الدرة الجليلة: الأبيات من 595 إلى 600 .

68- المحكم :162، أصول الضبط: لوحة 32؛ الوسيلة إلى كشف العقيلة : 299 ؛ التنزيل : لوحة 243.

وحركتها عليها قبل الألف السوداء، وأن ترسم قبل همزة وبعد الجيم ألف بالحمراء عليها مطة.

وكيفيته على الوجه الثاني أن تجعل همزة نقطة بالصفراء، وحركتها عليها بعد الألف السوداء، وأن ترسم بالحمراء ألف بعد همزة⁶⁹.

فَصْلٌ وَ(جَاءَنَا) بَصَّ الزُّخْرُفُ	بِأَلْفٍ وَاحِدَةٍ فِي الْمَصْحَفِ
جِيًّا كَانَ أَصْلُهُ فَانْقَلَبَتْ	الْيَاءُ إِذْ بُعِيدَ فَتَحَّ حُرُكَتْ
ثُمَّ تَلَاهُ أَلْفُ الْإِثْنَيْنِ	وَالْهَمْزُ مُلغًى جَمَعَ الْثَلَاثِينَ
أَوْجَبَ حَذْفَ الْأَوَّلِ السَّبْقِيَّةِ	وَسِمَةَ التَّشْيِيعِ الْجَلِيَّةِ
وَإِنْ تَرَى الْأَوَّلَ أَيْضًا قَدْ أُعْلِيَ	أَثْبَتَهُ وَالثَّانِي بِالْحَذْفِ كُفِّلَ ⁷⁰

ز- أجمعت المصاحف على حذف إحدى الواوين في أربع كلمات وهن: (ليستوا) الإسراء 7 و(تتوي) الأحزاب 51 و(التي تتوي) المعارج 13 و(الموعدة) التكوين 8.

ففي (ليستوا) مثلاً من قرأ ليسواً بالياء ونصب همزة على لفظ الواحد، وهم ابن عامر وحمزة. أو من قرأ (لنساء) بالنون ونصب همزة على لفظ الجمع المتكلمين، وهو الكسائي وحده، فإن كيفية ضبطه أن يجعل همزة نقطة بالصفراء وحركتها نقطة بالحمراء على الألف كما فعل في قوله (أن تبوأ)⁷¹.

ومن قرأ ليستوا بالياء وضم همزة، وبعدها واو الجمع، وهم الجمهور فيجوز أن تكون الواو المحذوفة منهما هي الأولى التي هي عين من الفعل، ويجوز أن تكون الثانية التي هي علامة الجمع. قال أبو عمرو الداني: "والمذهب الأول أوجه"

69- المحكم: 162-163، أصول الضبط: لوحة 32.

70- الدرّة الجلية، الأبيات من 1076 إلى 1080.

71- المحكم: 168؛ أصول الضبط: لوحة 35؛ التنزيل: لوحة 92؛ النشر: 306/2؛ التيسير: 139.

وهو المختار أيضا عند أبي داود، وبه يجري العمل⁷² يقول الفخار في درته:

فَمَنْ قَرَأَ بِالْيَا عَلَى التَّوْحِيدِ وَفَتَحَ الهمزَ فَخُذْ تَقْيِيدِ
فِي (لِيسُئُوا) أَوْ بَنُونِ الْجَمْعِ كَنَحُوا (أَنْ تَبُوءَ) جَا فِي الْوَضْعِ
الهمزُ بَعْدَ الْوَائِي فِي حَرْفِ الْأَلِفِ وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَا عَلَى الْجَمْعِ اخْتِلَفُ
فَالْحَذْفُ لِلأَوَّلِ أَوْ لِلثَّانِي وَالأَوَّلُ الْمَشْهُورُ خَذْ بَيَانِي
مَنْ حَذَفَ الثَّانِي فَبِالزِّيَادَةِ حَجَّ وَحَذَفُ أَوَّلِ أَفَادَةِ
تَقْدِيمُهُ حَالاً عَلَى الْإِدْغَامِ وَالسَّاكِنِينَ انْقُلْ عَنِ الْأَعْلَامِ
أَلْحَقْ بُعِيدَ السَّيْنِ وَأَوَّاهُ حَمْرًا وَالْمَطُّ فَوْقَهَا وَبَعْدُ الصَّفَرِ
مَشْكُولَةٌ قَبِيلَ وَاوِ الْجَمْعِ ثَابِتَةٌ عَرَجٌ بِهَذَا الْوَضْعِ
لِحَذْفِ الْأَوَّلَى وَالْخِيَارُ عِنْدَنَا فِي لَحَقِهَا وَالْمَطُّ حَتْمٌ بَيْنَنَا⁷³

ح- في باب نقط ما تزداد الياء في رسمه: يذكر أهل الضبط أن مصاحف أهل المدينة على ما رواه الغازي بن قيس⁷⁴ في الروم 8 «بلقاء ربه» و«لقاء الآخرة» الروم 16، بالياء في الحرفين، قال أبوداود وكتبوه بياء بعد الألف، وهي صورة الهمزة، وكتبوه في بعض المصاحف بغير ياء، وكلاهما حسن، وعلى الياء جرى عمل المشاركة، وجرى عمل المغاربة على عدم الزيادة⁷⁵.

ط- في ضبط (الرعياء) الإسراء 60 يذكر أرباب النقط أن هذا اللفظ كيفما جاء في القرآن بالسوابق واللواحق، فإن صورة الهمزة منه التي هي

72- المحكم: 169؛ أصول الضبط: لوحة 35؛ المقتع 36؛ الوسيلة 362؛ النشر 306/2؛ دليل الحيران: 388.

73- الدرة الجلية: الأبيات من 1113 إلى 1121.

74- الغازي بن قيس أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس (ت 199هـ) انظر ترجمته في غاية النهاية: 2/2 ترجمة 2534.

75- المقتع: 47؛ المحكم: لوحة 39؛ التنزيل: لوحة 214؛ الوسيلة: 353؛ دليل الحيران: 256.

الواو محذوفة على مراد تحقيقها دون تسهيلها، ولعلماء الضبط في نقطها وجهان: أحدهما وهو المختار الاستغناء بالهمزة لاستقلالها فتجعلها نقطة صفراء في السطر هكذا (الرءيا).

الثاني: أن تلحق واوا حمراء وتجعل عليها الصفراء (الهمزة) هكذا (الرؤيا) قال أبوداود بعد أن ذكر الوجهين في ضبطه: "والأول أختار وبه أنقط" وقال أبو عمرو في الوجه الثاني "وإن صورت الواو بالحمراء وجعلت الهمزة فيه فحسن"⁷⁶ وهذا ما يشير إليه ميمون الفخار بقوله:

وَصُورَةُ الهمْزَةِ فِي (الرُّءْيَا) وَفِي (رُءْيَاي) كَيْفَمَا تَجِيءُ فَاحْذِفِ
إِذْ قَصَدُوا تَحْقِيقَهَا وَقَدْ كَفَتْ بِنَفْسِهَا وَلَحِقُ وَأَوْخِيَرَتْ⁷⁷

هذه إطلالة على ملامح المنهج المغربي في علمي الرسم والضبط اللذين برع فيهما المغاربة، وأبانوا عن قدرات عظيمة، حتى أصبحوا فرسان هذا الميدان لا يدانيهم فيه أحد، فبرزوا تبرزوا منقطع النظير، وبزوا فيه أقرانهم المشاركة، ومازالوا بحمد الله ماسكين بزمام الأمر ماقامت لهذا الدين قائمة، وذلك بفضل العناية الموصولة لأمر المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله الذي يولي للتعليم العتيق وأهله من الرعاية والاهتمام، ما يجعله ينهض بالأمة إلى مصاف الأمم الراقية.

76- المحكم 184؛ أصول الضبط: 33 ؛ دليل الحيران: 221؛ الطراز: 318 .

77- الدرة الجلية: البيتان 1439-1440.

علاقة الرسم بالقراءات

عبد العزيز العمراوي

أستاذ بمعهد الإمام مالك

للتعليم العتيق بسيدي سليمان

هذه مشاركة متواضعة في الندوة التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مشكورة في موضوع: الكتابات القرآنية. وسبب اختياري لهذا الموضوع هو الموجة التي اجتاحت عقول الناشئة من أن هذا الرسم لا فائدة فيه وأن السعي في تحصيله سعي في غير طائل وقد لاحظت أثر هذه الموجة في كثير من أماكن تحفيظ القرآن الكريم عند المدرسين والطلبة على حد سواء.

وتتضمن هذه المشاركة بعد المقدمة محورين اثنين:

المحور الأول في الرسم:

تعريفه وكيفية وآراء العلماء في وجوب اتباعه وجواز مخالفته، وقد اندرج في هذا المحور الحديث باقتضاب عن جمع القرآن ثم مزايا الرسم القرآني.

المحور الثاني: علاقة الرسم بالقراءات، ويشمل هذا المحور

- كلمة مقتضبة عن تعدد القراءات، - وهل يشتمل رسم المصحف على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؟

- نماذج لعلاقة الرسم بالقراءات وتنحصر في:

- دلالة الثابت والمحدوف - دلالة ترك نقط الكلمات - دلالة ترك ضبط الكلمات.

- المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطاهرين وصحابته الخيرة الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أمر هذا القرآن العظيم لعجيب، عجيب! تداعت الأمم إلى معاداته عند نزوله، فما استطاعوا له منعاً، ثم تظاهروا على تحديه، وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، فأفحهم -إذ سمعوه- وما قدرُوا له دفعا، ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَمِيْرًا﴾ [الإسراء: 88]، ثم ناصر بعضهم بعضاً وجمعوا أمرهم لحربه وأعدوا العدة، وزين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فما نفعهم ما أعدوا بل دارت عليهم الدوائر، ثم ولوا مدبرين. هذا هو القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، كل من رام حماه بسوء هلك وكل من اعتصم به نجا، إنه لقول فصل وما هو بالهزل.

لم يحظ كتاب في الدنيا بما حظي به القرآن الكريم من العناية والرعاية، حفظ الناس ألفاظه وعملوا بما علموا من معانيه، وأحصوا حروفه وآياته.

خصه الله تعالى بحمايته فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] ويسر للناس حفظه وهداهم إليه وجعل صدورهم أوعية له فهو مكنون فيها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17] وقال ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58] وبناء على هذا التيسير المعجز حفظه الصغار والكبار والرجال والنساء على مر السنين فلا يمحي ولا

يغسل بالماء كما أخبر النبي الكريم ﷺ عن ربه جل جلاله في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام مسلم -وهو حديث طويل- مما جاء فيه: "وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان". وتلك لعمرى منقبة لا تعدلها منقبة ومكرمة لا تضاهيها مكرمة فالحفظة هم الصفوة المختارة لنقل هذا الكثر الرباني وعليهم المدار في استمرار هذا الفضل النوراني ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْصَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر: 32] فهم في درجة لا يفصلهم فيها عن مقام النبوة إلا عدم مجيء الملك بالوحي إذ من أوتي القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبه غير أنه لا يوحى إليه وهم أهل الله وخاصته كما ورد عن النبي الكريم ﷺ بل إن الحفاظ أعظم وسيلة مادية دالة على حفظ الله لكتابه فهم جزء من المعنى الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

قال ابن الجزري: "إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: "إن ربي قال لي قم في قریش فأنذرهم فقلت له: رب إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: مبتليكم ومبتل بك ومثل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان فابعث جندا أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك".

فأخبر تعالى أن المصحف لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤه في كل حال كما جاء في صفة أمته (أناجيلهم في صدورهم) وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب¹.

1- النشر في القراءات العشر: ج1، ص 6، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

وهل تصح صلاة مسلم فرضا كانت أو نفلا ما لم يكن حافظا للقرآن كلا
أو بعضا، وهل في الدنيا كلام يكرره المرء في أدنى حالاته في اليوم أكثر من سبع
عشرة مرة دون أن يمل، بل ترداده يزداد فيه تجملا

يزيد على مر الجديدين جدة وآياته مهما تلوت عذاب²

إنه حفظ الله لكتابه بتعليمه للناس ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:1]

لذلك بذلت الأمة أموالها ومهجها في خدمة القرآن الكريم حفظا وترتيلا
وتفسيرا وكتابة ورسمًا وترتيلا (عملا)، فقد حول القرآن الكريم حياتها من الغرام
بما كانت تعشقه إلى تدبر الآيات وما بها من معانٍ وتحليلات:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوحيك نور يستضاء به ومن حديثك في أعقابها حاد³

تلك هي الآيات التي غيرت هذا الرجل الذي يقول لمن كانت يوما محبوبته:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى الإسلام شيئا فاستراح العواذل

فأحكام القرآن سياج مانع رقاب الناس أن تصل إلى النار وعظاته دليل
يقودهم إلى دار الأبرار.

أتى النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بعظيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد يزينهن جلال العتق والقدم

بعد هذه المقدمة أنتقل إلى المحور الأول فأقول وبالله التوفيق:

2- البيت للأمير الصنعاني.

3- البيهقي لأبي خراش الهذلي، ذكرهما صاحب التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور في المقدمة الرابعة ص:40.

المحور الأول في الرسم:

الرسم لغة: الأثر وقيل بقية الأثر، ورسم الغيث الدار عفاها وأبقى فيها أثرا لاصقا بالأرض قال الخطيئة:

أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤن وكيف

وترسمت المنزل تأملت رسمه وتفرسته قال ذو الرمة:

أن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم⁴.

وقال الفيروز أبادي : الرسم ركية تدفنها الأرض والأثر أوبقيته.

ويأتي الرسم بمعنى الخط والكتابة.

وأما في الاصطلاح فقال ابن خلدون في المقدمة في فن الرسم : هي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بأييد، وزيادة الألف في لأذبحه ولأوضعوا، والواو في جزاء الظالمين، وحذف الألفات في مواضع دون أخرى، وما رسم فيه من التاءات ممدودا والأصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك⁵.

وقال الإمام الحسن بن مسعود اليوسي: وأما علم الرسم: فهو العلم الباحث عن كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية بتقدير الابتداء به والوقف عليه. ويدخل فيه الألفات والواوات، والياءات وما يثبت منها، وما يحذف وما يزداد، وما يكتب من الألفات المتطرفة ألفا أو ياء، وما تكون له صورة من الهمز وما لا، وما يوصل من الحروف، وما يفصل ونحو ذلك⁶.

4- لسان العرب: ج 12، ص 241 .

5- أنظر مقدمة ابن خلدون: ج 3، ص 1029، تحقيق الدكتور عبد الواحد وافي، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر.

6- القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم : ص 279 تحقيق حميد حماني ط. مطبعة شالة الرباط .

فالرسم إذن هو الكيفية التي ارتضاها الصحابة رضوان الله عليهم في الكتابة الأخيرة للمصحف الشريف في عهد سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وقد جاءت هذه الكتابة مخالفة في بعض صورها للمتعارف عليه من قواعد الكتابة العربية كما قال ابن خلدون في التعريف السابق.

وقال السيوطي في الإتقان: القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد مهد النحاة له أصولاً وقواعد وقد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام⁷.

وكيفية الرسم مستمدة من الكتابة الأولى التي انتهت في عهد الرسول ﷺ ومن هنا يطرح السؤال التالي: هل اتباع هذا الرسم واجب أم تجوز مخالفته؟ خلاصة آراء العلماء في الجواب على هذا السؤال مذهبان:

♦ المذهب الأول:

- وهو مذهب الجمهور - يرى أن الرسم توقيفي ومن ثم فهو واجب الاتباع ولا تجوز مخالفته أو تغييره بزيادة أو نقصان أو بأي نوع من أنواع التبديل. قال الإمام الخراز في منظومته الموسومة بمورد الظمان:

وبعد فاعلم أن أصل الرسم	ثبت عن ذوي النهي والعلم
جمعه في الصحف الصديق	كما أشار عمر الفاروق
وذاك حين قتلوا مسيلمة	وانقلبت جيوشه منهزمه
وبعده جرده الإمام	في مصحف ليقنتدي الأنعام
ولا يكون بعده اضطراب	وكان فيما قد رأى صواب

7- الإتقان في علوم القرآن: ص 166 ط دار الفكر.

فقصة اختلافهم مشهورة كقصة الإمامة العسيرة

فينبغي لأجل ذا أن نقتفي مرسوم ما أصله في المصحف

ونقتدي بفعله وما رأى في جعله لمن يخط ملجأ

فالإمام الخراز يشير هنا إلى أن الرسم ثابت عن الصحابة الكرام منذ عهد النبي ﷺ وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن فقال: باب جمع القرآن وروى فيه بسنده أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتل أهل الإمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم الإمامة بقراء القرآن وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه⁸.

8- كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن رقم الحديث 4986.

قال ابن حجر المراد بالجمع هنا جمع مخصوص وهو جمع متفرقه في صحف
ثم جمعت تلك الصحف في مصحف⁹.

وهذا يدل على أن القرآن كان مكتوبا وأن مهمة الصحابة هي جمعه. ومما
يؤيد هذا قول زيد رضي الله عنه فتبعت القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور
الرجال، بل إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم اتخذ كتابا للقرآن الكريم وكانوا من خيرة
الصحابة يكتبون ما نزل عليه ويدونونه وكان صلى الله عليه وسلم يرشدهم ويوجههم. روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض
من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وعن
زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع¹⁰ كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم الكتابة. قال معاوية -وهو من كتاب الوحي- صلى الله عليه وسلم قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معاوية ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا
تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى
فإنه أذكر لك"¹¹ وعلى فرض أنه لم يكن هناك أمر من النبي صلى الله عليه وسلم لكتاب الوحي
بكفية كتابة القرآن فقد كان سكوته صلى الله عليه وسلم إقرارا منه بصحة ما فعلوا، والإقرار دليل
يحتج به؛ قال إمام الحرمين الجويني في الورقات: وإقرار صاحب الشريعة على القول
الصادر من أحد هو قول صاحب الشريعة وإقراره على الفعل كفعله.

وما فعل في وقته في غير مجلسه وعلم به ولم ينكره فحكمه حكم ما فعل في
مجلسه¹².

9- فتح الباري في شرح البخاري: ج 9، ص 13 ط دار الكتب العلمية.

10- مناهل العرفان: ج 1، ص 182، ط دار الفكر.

11- الوسيلة إلى كشف العقيلة، لأبي الحسن السخاوي تحقيق محمد الإدريسي الطاهري ص 95 ط مكتبة الرشد وذكر
القرطبي عند قوله تعالى: "وما كنت تتلوا من قبله من كتاب... سورة العنكبوت ثم قال قال القاضي وهذا وإن لم تصح
الرواية أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنح القراءة والكتابة وذكره ابن حجر في شرحه فتح الباري: ج 7، ص
504 ولم يشر إلى صحته أو ضعفه.

12- ص 20، ط دار التراث.

وقد جمع القرآن في زمن الصحابة مرتين، الأولى على عهد أبي بكر كما يشير إليه حديث البخاري المذكور وهو الذي أشار إليه الخراز في البيت الثاني .
والجمع الثاني على عهد عثمان رضي الله عنه وهو الجمع الأخير الذي أجمعت عليه الأمة هو الذي يشير إليه الخراز في البيت الرابع.

وقد ورد ذلك أيضا في صحيح البخاري من حديث ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق¹³.

وقد ذكر الإمام الداني قصة جمع المصحف وسبب ذلك في منبهته، ومما جاء فيها:

فاجتمعوا وكتبوا الإماما	واجتهدوا ونصحوا الأناما
ونسخوا من ذلك الإمام	مصاحفا تبقى مع الأيام
ووجهوا بها إلى الآفاق	فحصلت بالشام والعراق

13- باب جمع القرآن رقم الحديث 4987.

وشققوا الصحف والمصاحف بعد وما مرسومهم قد خالفا

فارتفع الخلاف في التلاوة وزالت البغضاء والعداوة

من ذلك العصر إلى ذا العصر بكل قطر وبكل مصر

فهذه القصة في المصاحف كما رواها خالف عن سالف

وقد عدد الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مزايا هذا الجمع الأخير كما يلي:

الأول: الاختصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحادا.

الثاني: إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرصة الأخيرة.

الثالث: ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن. بخلاف صحف أبي بكر رضي الله عنه فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

الرابع: كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن من عدم إعجامها وشكلها ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يتحملها الرسم الواحد.

الخامس: تجريدتها من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أوبيانا لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك¹⁴.

ولم يخالف أبوبكر وعثمان رضي الله عنهما الرسم الذي كتب به القرآن على عهد الرسول صلی الله علیه وسلم بل أقر الصحابة عثمان على ما فعل، فقد روى الإمام الداني عن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقق عثمان رضي الله عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد¹⁵.

14- مناهل العرفان: ج 1، ص 182، ط دار الفكر.

15- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شلحة المقدسي: ص 53، ط دار صادر.

كما أرسل عثمان المصاحف إلى الأمصار وفيها الصحابة والجنود ولم يرو
أن أحدا منهم خالف في هذا الرسم وذلك لموافقة الصواب فيما فعل.

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون
من قراءة رسول الله ﷺ¹⁶.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: إن عثمان أمر بكتب المصحف على ما
أقرأ رسول الله ﷺ وأثبتته كتاب المصحف... ثم قال: "إنما كان فعل عثمان إتماما
لما فعله أبوبكر من جمعه القرآن الذي كان يقرأ في حياة الرسول ﷺ وأن عثمان
نسخه في مصاحف لتوزع على الأمصار"¹⁷.

وعلى هذا نص من يعتد بكلامه من الأئمة وهذه بعض أقوالهم:

قال أشهب: سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من
الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتابة الأولى، رواه الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف
له من علماء الأمة؛ وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل
الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال لا قال
أبو عمرو يعني الواو والألف المزيديتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولوا، وقال
الإمام أحمد: يجرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك:
وقال البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء
الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه لا يغير ما كتبوا شيئا فإنهم كانوا
أكثر الناس علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا
استدراكا عليهم¹⁸.

16- الوسيلة إلى كشف العقيلة: ص 11، ط مكتبة الرشد.

17- التحرير والتنوير، المقدمة السادسة، ج 1، ص 52، ط. دار التونسية للنشر.

18- الإتيان في علوم القرآن: ص 167، ط. دار الفكر ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم:

ص 336، ط. دار الكتب العلمية.

وقال الشيخ التهامي بن الطيب الفلالي:

فواجب على ذوي الأذهان	أن يتبعوا المرسوم في القرآن
ويقتدوا بما رأوه نظرا	إذ جعلوه للأنام الوزرا
وكيف لا يصح الاقتداء	لما أتى نصابه الشفاء
إلى عياض أنه من غيرا	حرفا من القرآن عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو إن بدلا	شيئا من الرسم الذي تأصلا ¹⁹ .

♦ المذهب الثاني:

ويرى أصحابه أن الرسم هو اصطلاح واجتهاد من الذين كتبوا المصحف وعليه فإن مخالفته جائزة لا حرج فيها ولا إثم.

قال الشيخ محمد عبد العظيم ومن تحمس له القاضي أبو بكر في الانتصار إذ يقول ما نصه:

وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم وترك ما عداه إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك ولا دلت عليه القياسات الشرعية²⁰.

ومن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون في المقدمة ، كما مال إليه أيضا صاحب التبيان على ما نقله عنه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني فقد قال: وأما كتابته -أي المصحف- على ما أحدثه الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل

19- مخطوط خاص.

20- مناهل العرفان : ج 1، ص 263، ط دار الفكر.

المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس وتحاماه أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا: إلا على الكتابة الأولى. قال في البرهان: قلت: وهذا كان في الصدر الأول والعلم حي غض، وأما الآن فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة لئلا يوقع في تغيير من الجهال ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤدي إلى دروس العلم وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ولن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة²¹.

المحور الثاني: علاقة الرسم بالقراءات

لا شك أن تعدد القراءات كان معروفاً في العهد النبوي وعليه فهذه القراءات التي بين أيدينا موصولة السند إلى رسول الله ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه: "عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشام فقرأ هشام القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"²².

21- المرجع السابق : ص 266.

22- باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 4992.

وقد قام الدليل القاطع على تواتر القراءات وأن النبي ﷺ قد قرأ بها وأقرأها قولاً وفعلاً روى أبو يعلى في مسنده أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً على المنبر أذكر أن رجلاً سمع النبي ﷺ قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف" لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف فقال عثمان: وأنا أشهد معهم.

وقد ورد معنى هذا الحديث في الصحيح وقد أطبقت كلمة العلماء على أن القراءات السبع المتداولة بين الناس اليوم ليست هي الأحرف السبعة الواردة في الأحاديث النبوية الكريمة.

كما ذهب كثير منهم إلى أن الصحابة اقتصروا على حرف واحد في المصحف الإمام فقد ذكر الشيخ أبو الحسن علي بن علي الرجائي الشوشاوي أن أبا بكر جمع القرآن على السبعة الأوجه ثم جرده عثمان من تلك الأوجه وجعله على وجه واحد ليرتفع الخلاف الكائن في زمانه بين الناس.²³

وقال الإمام أبوشامة: ثم إن الصحابة رضي الله عنهم خافوا كثرة الاختلاف وألهموا وفهموا أن تلك الرخصة قد استغنى عنها بكثرة الحفظ للقرآن ومن نشأ على حفظه صغيراً فحسموا مادة ذلك بنسخ القرآن على اللفظ المتزل غير اللفظ المرادف له وصار الأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين وبقي من الأحرف السبعة التي كان أبيع قراءة القرآن عليها ما لا يخالف المرسوم.²⁴

23- الفوائد الجميلة على الآيات الجلية: ص 186، ط وزارة الأوقاف.
24- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: ص 89، ط دار صادر.

ويفهم من كلام الإمام البغوي الذي نقله عنه أبوشامة أن المجموع في المصحف هو الأحرف كلها²⁵.

وقد صرح بذلك الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني²⁶.

وهنا نطرح سؤالاً آخر هو: هل للرسم علاقة بالقراءات؟ وهل راعى الصحابة رضي الله عنهم في الرسم تعدد القراءات؟

إن هذا الرسم لهو من تمام إعجاز هذا القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه وإن فيه لأسراراً ومعاني تحتاج إلى من ينظر بنور الله ليزيل عنها الحجب ويظهرها للعيان قال ابن المبارك اللمطي نزيل فاس نقلاً عن شيخه العارف بالله عبد العزيز الدباغ ما نصه: رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة²⁷.

وقد حاول الشيخ العلامة أبو العباس المراكشي استكشاف بعض تلك الكنوز وإظهار بعض تلك الأسرار في كتاب سماه "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" قال في مقدمته: وبعد فإنه لما كان خط المصحف الذي هو الإمام الذي يعتمد القارئ في الوقف والتمام ولا يعد ورسومه ولا يتجاوز مرسومه قد خالف خط الأنعام في كثير من الحروف والأعلام ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق بحثت عن وجوه ذلك بمقتضى الميزان ووافي الرجحان ووقفت منه على عجائب ورأيت منه غرائب جمعت منها في هذا الجزء ما تيسر عبرة لمن يتذكر وسميته عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل هو لأولي الأبواب مفتاح تدبر الكتاب بحول الله تعالى وقوته²⁸.

25- انظر المرشد الوجيز: ص 66/67.

26- انظر مناهل العرفان: ج 1، ص 170.

27- مناهل العرفان: ج 1، ص 264 ط. دار الفكر.

28- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق هند شلبي ص 30 ط دار الغرب الإسلامي.

ومن أسرار هذا الرسم العجيب أنه كتب على ما يحتمل أكثر من قراءة فرسم الكلمة واحد وقراءاته متعددة، ولذلك يصح أن نقول إن الرسم هو دليل للقراءة وهاد إليها. قال الشيخ أبو علي الحسين بن علي الرجراجي: وأما سبب الاختلاف في المصاحف بالحذف في بعضها والإثبات في بعضها مثلاً وهلا يكتب الحرف على وجه واحد في جميع المصاحف، أي تكتب الكلمة في جميع المصاحف بالحذف خاصة أو بالإثبات خاصة أو بالقطع خاصة أو بالوصل خاصة أو بالزيادة خاصة أو بالنقصان خاصة أو بغير ذلك فسبب ذلك الإعلام بالوجوه السبعة التي نزل بها القرآن ولإبقاء القراءة بتلك الوجوه السبعة لقوله عليه السلام (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف فاقروا كيف شئتم)²⁹.

فهذا الكلام صريح في أن الصحابة قصدوا من بين ما قصدوه بالرسم بيان أوجه القراءات المتعددة. ثم قال في موضع آخر وأما لماذا لم ينقط أبوبكر وعثمان القرآن حين كتبه في الصحائف والمصاحف فإنما ذلك لإبقاء الفسحة في القراءة بالوجوه السبعة التي أذن الله لعباده في القراءة بها³⁰.

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في حديثه عن كتابة الصحابة على عهد سيدنا عثمان: وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها لأنه قصد اشتمالها على الأحرف السبعة وجعلوها خالية من النقط والشكل تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل³¹.

وقبل أن نمثل لتعدد القراءات بالرسم نقرر ما يلي:

أولاً: إذا كان اللفظ القرآني ليس فيه إلا قراءة واحدة فإنه يرسم بصورة واحدة.

29- الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، تحقيق إدريس عزوزي: ص 202، ط. وزارة الأوقاف.

30- المصدر السابق: ص 204.

31- مناهل العرفان: ج 1، ص 170، ط. دار الفكر.

ثانيا : إذا كان اللفظ فيه قراءتان أو أكثر ولكن الرسم لا يحتملها في صورة واحدة فقد كان الصحابة يكتبون إحدى القراءتين في مصحف ثم يكتبون الأخرى في مصحف آخر لئلا تضيع إحدى القراءتين، ولئلا يتوهم أن اللفظ نزل مكررا فيما لورسمت القراءتان في مصحف واحد.

قال الإمام السخاوي: ووجه رسمه بالإثبات في بعض المصاحف دون بعض أنه لم يمكن إثبات الوجهين في مصحف واحد ففرق ذلك نصا على الوجهين وعملا بالقراءتين³². ومن أمثلة هذا النوع ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ عِلْمٌ﴾ [البقرة:115]، فقد قرأ الشامي بحذف الواو التي بعد قوله: عليم فقرأ هكذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسم عليم قالوا اتخذ الله ولدا﴾.

والآية مكتوبة في مصحف أهل الشام كذلك، بينما كتبت في المصاحف الأخرى بالواو، وإثباتها على العطف وحذفها على الاستئناف .

قال الشاطبي في حزر الأماني: عليم وقالوا الواو الأولى سقوطها

2- ﴿وَأَوْصِي بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ...﴾ [البقرة:132]

قرأ نافع والشامي: أوصى من الإيصاء وهي مرسومة كذلك في مصحف المدينة والشام، وقرأ الباقر وصى من التوصية وهي مرسومة عندهم كذلك. قال الشاطبي في العقيلة:

أوصى الإمام مع الشامي والمديني شام وقالوا بحذف الواو قبل يرى

3- قوله تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ...﴾ [آل عمران:133]

32- الوسيلة إلى كشف العقيلة: ص113، ط. مكتبة الرشد.

قرأ نافع والشامي بدون واو قبل الفعل وهي كذلك في مصحف المدينة
والشام، وقرأ الباقرن بالواو العاطفة هكذا: وسارعوا، وهي كذلك في مصاحفهم.
قال الشاطبي في العقيلة:

وسارعوا مكي عراقية وبالزبر الشامي فشاخبرا

4- قوله تعالى: ﴿وَأَعِدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100] قرأ المكي بزيادة من هكذا: تجري من تحتها
الأنهار، وقرأ الباقرن بحذفها، قال الشاطبي في حرز الأماني:
ومن تحتها المكي يجر وزاد من.....

5- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24]

قرأ نافع والشامي: فإن الله الغني الحميد، وقرأ غيرهما بزيادة هو هكذا: فإن
الله هو الغني الحميد وكل منهم تابع للمرسوم في مصحفه.

قال الشاطبي في حرز الأماني: وقل هو الغني هو احذف عم وصلا موصلا.
فالرسم بصورة واحدة لا يتحمل هذه القراءات، وهي كلها ثابتة صحيحة
لذلك رسمت في مصحف بكيفية وفي مصحف آخر بكيفية أخرى.

ثالثا: إذا كان اللفظ القرآني يحتمل أكثر من قراءة برسم واحد فإنه يرسم
على تلك الصورة فتتعدد قراءاته ورسمه واحد ومن هذا القبيل حذف الألفات
وإثباتها وترك نقط الكلمات وترك الحركات الإعرابية والتشديد والتخفيف.

ومن أمثلة هذا النوع ما يلي:

1- حذف الألفات: قد تحذف الألف من الكلمة رسماً فتقرأ اللفظة القرآنية
قرأتين إحداهما بإثبات الألف والثانية بحذفها وذلك مثل:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9] رسمت بدون ألف فقرأها الكوفيون والشامي كذلك، وقرأها الحرميان والبصري بالألف والرسم يحتمل القراءتين.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] لم يختلف في قراءتها ولذلك رسمت بالألف الثابتة.

ب- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾ [البقرة: 51] ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً...﴾ [الأعراف: 142] قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الصُّورِ الَّذِي مَنَ﴾ [طه: 80] كلها رسمت من دون ألف وهي قراءة البصري، وقراءة غيره بالألف، والرسم يحتمل القراءتين.

ت- لفظ "الريح" جميع ما في القرآن الكريم مما فيه (أل) من هذا اللفظ ثمانية عشر موضعاً وقع الخلاف بين القراء في أحد عشر موضعاً قرئت بالإفراد وبالجمع وهي جميعاً مرسومة بدون ألف وهي كما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ سورة البقرة الآية 164.

- قوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ سورة الجاثية الآية 5.

- قوله تعالى: ﴿فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدر﴾ سورة الكهف الآية 45.

- قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح ينشر بين يدي رحمته حتى إذا أقلبت...﴾ سورة الأعراف الآية 57.

- قوله تعالى: ﴿ومن يرسل الرياح ينشر بين يدي رحمته وإلا له مع الله﴾ سورة النمل الآية 63.

- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ مَحَابِلَهُ فَسَقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ...﴾ سورة فاطر الآية 9 .
- قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ...﴾ سورة الحجر الآية 22.
- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ مَحَابِلَهُ فَيَبْسُكُهُ فِي السَّمَاءِ...﴾ سورة الروم الآية 48.
- قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظِلُّنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ...﴾ سورة الشورى الآية 33.
- قوله تعالى: ﴿كَرَّمَهُ اَشْتَعَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ...﴾ سورة إبراهيم الآية 18.
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُفُثًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّصْهِرًا...﴾ سورة الفرقان الآية 48.
- قرأ نافع بالجمع في الجميع وقرأ عاصم والشامي والبصري بالإفراد في سورتي إبراهيم والشورى وبالجمع في غيرهما.
- وقرأ حمزة بالإفراد في الجميع إلا في سورة الفرقان فقرأ بالجمع.
- وقرأ الكسائي بالإفراد في الجميع إلا في سورتي الحجر والفرقان فقد قرأ فيهما بالجمع.
- وقرأ المكي بالجمع في أربعة مواضع هي: البقرة والجاثية والكهف والحجر وأفرد الباقي.
- وهكذا رسم اللفظ بما يحتمل القراءتين وقد اتفق القراء على الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِبَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الروم: 46، ولذلك رسمت بالألف الثابتة اتفاقاً.

ج- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ...﴾ بالبقرة الآية 251 وبالحج الآية 40. رسمت بالألف المحذوفة لتحتمل القراءات الأخرى وهي: ولولا دفع الله، وهي قراءة غير نافع.

د- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْغِزِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ لُحَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾. سورة الأعراف الآية 201 رسمت بالألف المحذوفة لأن فيها قراءتين هما: طائف، وهي قراءة غير الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، بينما قرأ هؤلاء الثلاثة: طيف، والرسم يحتمل القراءتين؛ ونظير هذه الآية في اللفظ لا في المعنى لفظ "طائفة" حيثما ورد وهو مرسوم بالألف الثابتة لعدم الاختلاف في قراءته، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا نَتُصَدِّقُكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ بِالطَّاغُوتِ﴾ سورة الصف الآية 14 وقوله: ﴿وَلَا تَصْغُرُ عَلَيْهِمُ لُحَائِفُ الْيَوْمِ...﴾ سورة الحجرات الآية 9.

ذ- قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقِبَ الدَّارُ﴾ سورة الرعد الآية 42 رسمت بالألف المحذوفة لأن فيها قراءتين هما: وسيعلم الكافر بالإفراد وهي قراءة الحرمين والبصري .

وسيعلم الكفار وهي قراءة الكوفيين والشامي.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ سورة النبأ الآية 40.

و- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ مُصْمِرًا﴾ سورة الفرقان الآية 55 لم يختلف فيهما ولذلك رسمتا بالألف الثابتة.

ز- قوله تعالى: ﴿بَلْ إِدَارِكْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ...﴾ سورة النمل الآية 66. رسمت بالألف المحذوفة لتحتمل القراءة بالتخفيف هكذا: بل أدرك علمهم، وهي قراءة المكي والبصري، وقراءة غيرهما بالتشديد: بل ادرك، ولم يختلف في نظيره وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَدَارِكُوا فِيهَا...﴾ سورة الأعراف الآية 38 لذلك رسمت بالألف الثابتة.

ز- قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا لِسِحْرَانِ﴾ رسمت هذه اللفظة في المصحف الإمام هكذا: إن هذن، بلا نقط ولا شكل ولا ما يدل على تشديد أو تخفيف وبلا ألف بعد الدال والنون، وهذا الرسم أتاح لهذه الكلمة أن تقرأ كما يلي:

- إن هذان وهي قراءة ابن كثير

- إن هذان وهي قراءة حفص عن عاصم

- إن هذين وهي قراءة البصري

- إن هذان وهي قراءة بقية القراء.

فانظر إلى أثر رحمة الله في هذا الرسم وتسديد الله تعالى لجللة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأكتفي بهذه الأمثلة لأننتقل إلى التمثيل بترك النقط على القراءة.

2- ترك النقط

إن ترك نقط المصحف الشريف قد يكون المراد منه الدلالة على تعدد القراءات في اللفظة الواحدة وهذه أمثلة توضيحية:

❖ قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ سورة البقرة الآية 219 رسمت هكذا فيهما إثم "كر" بدون نقط فاحتمل قراءة إثم كثير وهي قراءة حمزة والكسائي، وإثم كبير وهي قراءة غيرهما ونظيره قوله تعالى: "والعنهم لعنا كثيرا" سورة الأحزاب الآية 68 رسمت بدون نقط فاحتملت: كبيرا وهي قراءة عاصم، وكثيرا وهي قراءة الباقيين.

❖ قوله تعالى: ﴿وَانْصُرْ إِلَى الْعِصَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا﴾ سورة البقرة الآية 259 كتبت في المصحف الإمام بلا نقط هكذا "رها" لذلك قرئت بالزاي وهي قراءة

الكوفيين والشامي وقرئت بالراء وهي قراءة الحرمين والبصري.

❖ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا...كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ سورة النساء الآية 94 ونظيره هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ سورة الحجرات الآية 6 رسمت بلا نقط فاحتملت قراءة فتثبتوا بالتاء والتاء والتاء وهي قراءة حمزة والكسائي واحتملت قراءة: فتبينوا، بالتاء والباء والنون وهي قراءة الباقيين .

❖ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأُمُورُ أَنْ تُقَرَّبَ مِنْكُمْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَىٰ نَفْسِهَا﴾ سورة يونس الآية 30 رسمت بدون نقط هكذا "لوا" فاحتملت تتلوا بالتاء وهي قراءة حمزة والكسائي واحتملت قراءة : تبلوا بالباء وهي قراءة الباقيين.

3- ترك الضبط:

إن عدم ضبط الكلمات هو نتيجة لتعدد قراءاتها، ويدخل في الضبط الحركات الإعرابية والتشديد والتخفيف. وهذا الجانب أيضا روعي فيه تعدد القراءات، ومن أمثلة التخفيف والتشديد:

- قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ سورة البقرة الآية 10 خفف الذال الكوفيون وشددها غيرهم .

- قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ سورة البقرة الآية 102 خفف نون "لكن" الشامي وحمزة والكسائي وشددها غيرهم.

- قوله تعالى: ﴿فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا...﴾ سورة البقرة الآية 126 خفف الشامي التاء وسكن الميم، وشدد غيره التاء وفتح الميم.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ سورة العنكبوت الآية

34 شدد الشامي الزاي وفتح النون، وخفف غيره الزاي وسكن النون.

ومن أمثلة الحركات الإعرابية:

- قوله تعالى: ﴿ادخلوا في السلم﴾ بالبقرة الآية 208 قرأ بفتح السين نافع والكسائي والمكي وقرأ غيرهم بكسرها ..

- قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بالنساء الآية 37 وبالحديد الآية 24 قرأ بفتح الباء والخاء حمزة والكسائي وقرأ غيرهما بضم الباء وإسكان الخاء.

- قوله تعالى: ﴿من يصرف عنه يومئذ رحمه﴾ سورة الأنعام الآية 16 قرأ حمزة والكسائي وشعبة من يَصْرِفُ ببناء الفعل للفاعل وقرأ غيرهم من يُصْرِفُ ببنائه للمفعول.

والرسم يحتمل كل هذه الأوجه وكلها ثابتة صحيحة.

خاتمة:

لا بد من الإشارة في الختام إلى أن هناك من طعن في رسم القرآن واعتبره سببا للحن في القراءة ومن هؤلاء الزمخشري عند حديثه عن قراءة ابن عامر الشامي عند قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم...﴾ سورة الأنعام الآية 137 وقد رد عليه أبوحيان في بحره وفند حججه وسفه رأيه.

ومنهم المستشرق جولد تسيهر وقد تصدى له الدكتور عبد الحليم النجار وأبطل مزاعمه في كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي. فهل يشك أحد بعد هذا في أن إعجاز هذا القرآن يتجاوز الزمان والمكان فهو معجز بالإطلاق.

أَمْعُ الصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلُّلٌ أَمْعُ الشَّمْسِ لِلظُّلَامِ بَقَاءٌ

أما الذين نقلوه وكتبوه فما بينهم وبين منزلة النبوة إلا درجة واحدة وهذا وسامهم الذي انفردوا به وكفاهم فخرا، روى الترمذي وابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: "اللَّهُ اللَّهُ في أصحابي اللَّهُ اللَّهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"³³.

وروى البزار في مسنده برجال كلهم موثقون أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين". وجاء في صحيح البخاري أنه ﷺ قال في شأن أصحابه: "لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه". وتواتر عنه ﷺ قال: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم....".

فهؤلاء هم عدول الله في أرضه ونواب رسوله ﷺ جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء.

نوازل القرآن الكريم في الرسم والضبط والتجويد وما جرى به العمل في المغرب

عبد العزيز العيادي

عضو المجلس العلمي المحلي بطنجة

تمهيد

فمن المعلوم أن الفتوى في الأمور الشرعية والدينية منوطة بأهل الاختصاص، الذين يملكون ناصية الشريعة الإسلامية والآلات المساعدة على فهمها واستنباط الأحكام.

والفتوى هي باب من أبواب الاجتهاد الذي سيظل قائما معمولا به ما تطورت المجتمعات، وتجددت الوقائع والأحداث.

تلك الفتاوى في التطورات والوقائع المتجددة هي ما يطلق عليها علماء الشريعة بـ"النوازل"، فكما اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم في القضايا التي كانوا يفاجئون بها، ولم يجدوا لها نصوصا صريحة في الكتاب ولا في السنة النبوية.

اجتهدوا كذلك في تطوير مناهج التعليم، وأبدعوا وسائل القراءة والكتابة حتى يتمكن أبناء المسلمين من ولوج المدرسة وتعليم القراءة والكتابة وحفظ كتاب الله عز وجل...

وفي زمن الصحابة خرج أبو الأسود الدؤلي بطريقه تعصم قارئ القرآن من الوقوع في اللحن الإعرابي المفضي إلى تغيير معنى الكلمة القرآنية...

ثم ابتكر نصر بن عاصم ومن معه منهجية جديدة تمكن أطفال الأمة الإسلامية من التحكم في الحروف المتشابهة من أجل القراءة السليمة والكتابة الصحيحة.

وعلى مرأى ومسمع من كبار علماء الأمة وفقهاء الأمصار، انفرد الخليل بن أحمد الفراهدي بابتكار الحركات المتولدة من أمهات حروف المد واللين، وجعلها علامات الضبط والتجويد حتى يقرأ القرآن الكريم غضا طريا كما أنزل على رسول الله ﷺ.

وكانت هذه الالتفاتات معالم الطريق لكبار المربين والفقهاء والمدرسين ليجددوا مناهج التعليم وطرائق التربية كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

فكانت "النوازل القرآنية" على غرار "النوازل الفقهية".

وكما أن النوازل الفقهية تعكس حالة الأمة الإسلامية: اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعلميا وحضاريا.

فإن النوازل القرآنية تعكس بدورها:

1-مدى اهتمام شريحة المقرئين والطلبة بالجزئيات الدقيقة التي كانت تواجههم وهم يكتبون ألواحهم، ويحفظون أسوارهم ويجودون قراءتهم.

2-عمق التفكير وسلامة التعبير ودقة التحليل في أمور سكت عنها علماء أصول القراءة والرسم، فأصبحت تشكل "الخلاف العالي" في علوم القرآن.

3-تقيد الأئمة بما تم الاتفاق عليه بين علماء القراءة، والأخذ به وتطبيقه.

4-احترام الاختلاف، وأدبيات الحوار فيما جرى به العمل.

إلا أن نوازل القراءة -عكس نوازل الأحكام- ظلت في الذاكرة الشفوية، مهمشة معزولة، مبعثرة في طرر المخطوطات، وفي أوراق تتقاذفها الأيدي، ولا تفهم من هو مسطر بها.

وفي هذا البحث المتواضع، حاولت جهد المستطاع، أن أساهم في ترميم

هذه الذاكرة، فحاولت احتواء جمع بعض هذا الشتات من نوازل القراء، التي يكثر الجدل حول مواضيعها، والنقاش في مضمونها بين الفقهاء المتخصصين في النوادر من أصول رواية ورش بالمغرب.

وخلال تجوالي بين الفقهاء المشارطين اليوم، والاحتكاك اليومي بهم قلما كنت أجد من يفهم هذه المواضيع، ويسترسل معك في الحوار حتى في أبسط الكلمات المختلف فيها.

وهذا، إن دل على شيء فإنما يدل على سطحية المعرفة بأمور هذه الرواية في المغرب المعاصر، بعد أن كان هذا الوطن العزيز قلعة القراء والقراءات والحصن الحصين لرواية ورش والعلوم المؤطرة لها.

- نوازل التجويد المختلف حولها:

وكما أن للمغاربة حضورا بارزا في الرسم والضبط والنقط، فلهم شخصيتهم كذلك في تقعيد التجويد وتوجيه القراءة برواية ورش عن نافع، وتقريب ذلك للمتعلمين في الكتابات القرآنية (المعاصرة). دون الجنوح إلى الخروج عن الأصول العامة للرواية التي اختاروها وتميزوا بها منذ دخولها إلى المغرب، القلعة الحصينة للإسلام والقراءان.

والكتاب المدرسي الذي أطر التجويد، ونال عندهم الحظوة والقبول هو منظومة "الدرر اللوامع في مقراء الإمام نافع" لعلي بن بري التازي (ت. 730هـ) ولها من الشروح والاستدراكات والمحاذيات ما لا يعد ولا يحصى.

1- نوازل البسملة:

وأول ما يفتح به القارئ بعد التعوذ: "البسملة"

والكلام عن "البسملة" يتطلب التعرض لما جرى به العمل في رسمها ثم تلاوتها.

1-1- كتابتها:

تكتب البسملة بباء طويلة في "بسم الله" متصلة بالسین المميز بثلاث "ضروس" موصولة بالميم المخوفة والمعركة إلى الخلف. وبعدها إسم "الله" وعادة ما يكون بلون مغاير في المصاحف القديمة، أو بخط تشكيلي مخالف للمعتاد. وبعده "الرحمن" بحذف الألف بعد الميم حيث يرسم بشق القلم أو بلون أحمر بين الميم والنون غير واصل للسطر. ونون معرق إلى الأمام بدون نقط. وبعده الرحيم.

وتضبط البسملة كما سبق عند تعلم أشكال الضبط مع المبتدئين.

وللمغاربة سند في طريقة الرسم القرآني، لحديث يرويه معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه يقول: كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ فقال لي وأنا أكتب "البسملة":

"ألق الدواة وحرف القلم. وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم. وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم. وضع قلمك على أذنك، فإنه أذكر لك".¹

وعلى هذا الأثر، كانت عناية المغاربة بـ"البسملة" يفتتحون بها الكتابة في ألواحهم ورسائلهم وكتبهم وإلى جانبها الأيسر: الصلاة على رسول الله ﷺ. ثم "وقل رب زدني علما".

فهم يكتبونها على هذه الطريقة: يقول صاحب الأنصاف:²

وطول الباء في "بسم الله"	تعظيما وتشريفا لله
وقيل طولت لأنها	مبدلة من ألف في رسمها
ويستحب الجر بعد السين	وقبله مكروه يا فطين

1- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان : 370/1.

2- أحمد الفتوي، مفتاح الأمان : 53.

1-2- ويكتبون البسملة بين السورتين في ألواحهم، وفي مصاحفهم ما عدا بين الانفال والتوبة. فإنهم يتركون بياضا قدر كتابتها لأنها نزلت بالسيف³ بينما البسملة عنوان الرحمة : يقول صاحب الأنصاف:

ونزل الوحي بكتب البسملة أول كل سورة منزلة
إلا براءة فيض سطرها إذ نزلت بالسيف خذ تعليلها
نص عليه الجعبري في شرحه على العقيلة فشق بقوله

وكثير من المصاحف المطبوعة لا تلتزم بهذه الخصوصية (ترك بياض بين الانفال وبراءة)

1-3- قراءتها

الاختلاف حول قراءة البسملة بين السورتين للقراء السبعة مدون في الأصول والفروع.

أما عند ورش من طريق يوسف الأزرق فله الجمع بين السكت والوصل. ووافقه في ذلك مقرئ الشام وأبو عمرو البصري: يقول الشاطبي:

وبسمل بين السورتين (ب-)سنة (ر)جال (ن-)موها (د)ريسة وتحملا
ووصلك بين السورتين (ف-)صاحا وصل واسكتن (ك-)ل(ج-)لاياه (ح-)ملا
وكيفية ذلك عند ورش بطريقة الأزرق:

الوقف عند آخر كلمة من السورة. فالانتقال إلى السورة الموالية بدون بسملة. ثم الرجوع إلى آخر السورة السابقة مع إعراب الحرف الأخير ووصله بأول السورة الموالية...

3- امحمد بن عبد السلام الفاسي، فتاوى في الرسم والضبط والقراءة: 1 خاص.

مثل : و"لا الضالين". "ألم". "ولا الضالين ألم. ذلك الكتب لا ريب..."

أما في الأربع الزهر، فله حالتان:

1- ما بين المدثر والقيامة

ما بين الانفطار والمطففين

ما بين الفجر والبلد

ففيها: الوقف على آخر السورة ثم البسمة بالوقف. افتتاح السورة الموالية.
الرجوع إلى آخر السورة السابقة بالوقف. الانتقال إلى أول السورة الموالية...

مثال: و"أهل المغفرة". "بسم الله الرحمن الرحيم". "لا أقسم" وأهل المغفرة". "لا أقسم بيوم القيامة..."

2- ما بين العصر والهمزة، فيعكس مثال :

"وتواصوا بالصبر" - "ويل لكل همزة" - "وتواصوا بالصبر" - "بسم الله الرحمن الرحيم. ويل لكل همزة..."

1-4- أما في حالة:

بين الفلق والناس، فجرى العمل عند المغاربة بالوصل بدون توقف بين السورتين ثم الرجوع إلى آخر الفلق وبالوقف، والانتقال إلى الناس بدون بسمة
مثال لـ: "إذا حسد" "قل أعوذ برب الناس". "إذا حسد قل أعوذ برب الناس..."

يقول صاحب تحفة القراء :

بسم في سكت. واسكت في الوصل في الأربع الزهر تفز بالخصل

ويقول صاحب الأنصاف:

وصدر السكت بين السورتين للشامي والبصري وورش دون مين

إلا عند الفلق مع الناس أعكسهما هديت للقياس

وقدم البسمة التي لهم في الأربع الزهر وليس غيرهم

في أول البلد مع القيامة والمطففين واعكسهم في لمزة

وتضع الوقف على الرحيم في الأربع الزهر لدى التعليم

1-5- وجري عمل المغاربة كذلك عن طريق الشاطبي، وابن بري في قراءة

البسمة دون كتابتها عند ابتداء القراءة بالأجزاء المبدوءة باسم الجلالة أو بضمير يعود عليه. عند ابتداء قراءة الحزب الراتب في الأماكن التالية :

- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الله لا إله إلا هوليجمعنكم" (النساء:87).

- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إليه يرد علم الساعة..." (فصلت:47).

يقول الشاطبي في حرز الأماني:

"وفي الأحزاب خير مرتلا".

ويقول ابن بري التازي في الدرر اللوامع:

واختارها بعض أولوا الأداء لفضلها في أول الأجزاء

ويقول صاحب تحفة القراء وهو آخر ما جرى به العمل:

وتجتبى في الجزء لا محالة مفتتحا بلفظ الجلالة

أو مضمراً عاد له نحو إليه يرد تنفي القبح بالفصل لديه

2- نوازل المدود:

2-1- الإطار العام:

يتعلم الأطفال القراءة بالمد عند الشروع في القراءة بالوقف، بعد أن يكونوا قد تدربوا على القراءة بالدرج (الوصل) أو بـ "السراية" في المصطلح التربوي.

وأول عمل يتعلمه الطفل عند الشروع بالقراءة بالوقف : أسباب المد وأنواعه وطريقة تحقيقه على اللوح وتطبيقه في القراءة النموذجية بمصاحبة الفقيه (قراءة : النفدة)

ب- أسباب المد : ثلاثة. يجمعها النص التالي :

ثلاثة فاعلم تسوق المد الهمز والسكون ثم الشد

وكان المتعلم قد سبق له في المرحلة الأولى التكيف مع علامات الضبط وحروف اللين عندما كان يجاوب الفقيه وهو يسأله :

أش تجيب الشدة ؟ ... تجيب اللام والمدة

بمعنى أن الشدة تكون السبب في "أل" الشمسية، وتكون السبب كذلك في تمديد الصوت بالحركة قبلها. مثل: "وحاجّه قومه" (الأنعام:80): "الذّكرين حرم" (الأنعام:144) ومن أسباب المد: وجود الهمزة قبل أو بعد حروف اللين الساكنة متصلة كانت أو منفصلة : مثل: أولئك-هاؤهم-جاء: بما أنزل... ءامنوا-ومن أسباب المد كذلك : وجود الساكن بعد حروف اللين مثل: ءانذرهم - ءاشفقتهم...

أنواعه : ما جرى به العمل في المغرب نوعان من المدود حسب درجة امتداد الصوت وطوله:

1- المد الطبيعي وهو ما ينتج عن امتداد الحركة ليتولد عنها حرف اللين المناسب وقدره حركتان

2- المد الطويل وهو ثلاثة أقسام:

أ- ما مقداره 6 حركات وعلامته (مر).ميم مطموسة ودال صغيرة.

ب- ما مقداره 4 حركات ويعبرون عنه بـ "التوسط" وعلامته عند التعلم فقط (ت) ترف الأول من كلمة "توسط" ولا وجود له في المصاحف.

ج- ما مقداره 3 حركات ويعبرون عنه بالمد الصيغي ويكون في كلمتين فقط هما: (آله وآلته) جمع (الاء-والتي) إذ كان المفروض أن يرسم ألف محذوف بعد اللام فيهما، كما هو الحال في المصاحف الشرقية، ولكن المغاربة لا يفعلون ذلك، ويعوضونه بحرف الصاد ص المعرق فوق اللام للدلالة على هذا النوع (آله وآلته).

يقول صاحب الأنصاف في تأطير المد الصيغي مع طريقة الضبط:

وإلى قل أربع كالقمر تبع ألف واللام يسمع بلا شدة جلا

ودارة فوق الياء ونقطة تحتهها والإشباع قبلها وكن متأملا

والصيغة

اختلف في مكان وضعه، هل تنتهي علامة المد الطويل (مو) عند الحرف الممدود عليه مثل: السماء أم تبتدئ عنده مثل: السماء أم تكون وسطا فوقه مثل: السَّمَاء. يقول صاحب الأنصاف:

مع مطة على حروف المد و اترك يياضا بينها كالشد
للحافظ : يمال للشمال والعكس للتجيبي ذي المعالي
وابن نجاح : كقبة الميزان والعمل عندنا ما قال الداني

2-2- بعض النماذج من نوازل المدود المختلف حولها

عند اجتماع همزة الوصل بهمزة قطع ساكنة هي فاء الكلمة:
وذلك في المواضع التالية:

- ﴿فليؤدّ الذي أوتمن أمانته﴾: البقرة 283؛
- ﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدى آيتنا﴾: الأنعام 71؛
- ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ليت بقراءن غير هذا﴾: يونس 15؛
- ﴿وقال الملك إيتوني به﴾: يوسف 54.

فالتجويد الصحيح لمثل هذه الكلمات هو أن تحمل على الحركة ما قبل ألف الوصل وتنتقل بها إلى الحركة بعدها دون إبراز صوت ألف الوصل في الصوت بالنبرة على حركته عند الابتداء به. مثال:

الذيتومن-الهداتنا- لقاءنا-الملكوتوني

وكثير من المقرئين اليوم ينحرفون عن الصواب في تجويد هذه الكلمات يقول صاحب الأنصاف:

يسائلا نريك حكم الألف إن كان وصليا قبل همز فاعرف
 في الاتصال احذفه لا تقرأه واحمل على الحركة قبله
 نحو: قال ايتوني إلى الهدى ايتنا الملك ايتوني والذ اوتن
 ومده مد الطبيعي يا فتى هذا الذي عند الشيوخ ثبنا
 نص آخر في نفس الموضوع :

وما أتى من بعد همز الوصل مسكنا من بعد فاء الفعل
 فمد لورش طبيعي من جنس ما أشكله الحرف الذي تقدما

2-3- عند اجتماع همزتين في كلمتين متحدثي الحركة: مثل:

- ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا﴾ هود: 66؛
- ﴿لستن كأحد من النساء إن اتقين﴾ الأحزاب: 32؛
- ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم﴾: النساء: 5؛
- ﴿فإذا جاء أجلهم﴾: فاطر: 45.

فالذي جرى به العمل هو:

- 1- إبدال الهمزة الثانية من جنس حركة ما قبلها؛
- 2- ضبط الهمزة في الكلمة الأولى؛
- 3- عدم ضبط الهمزة في الكلمة الثانية (وهو ما يسمونه بـ: الألف العزري)؛
- 4- المد الطويل (الإشباع) في حالة الساكن بعد الهمزة الثانية؛
- 5- التوسط في حالة حركة ما بعد الهمزة الثانية.

نص:

وإبدال أخرى الهمزتين لورشهم بهذا جرى التجويد في الغرب مسجلا
فإن جاء الحرف المسكن بعدها فلا بد من إشباعها عنه قد جلا
وإن وقع التحريك بعد فتحهما بفاس له التوسيط أخذا محصلا
فخلف أهل الشرق مع بعض غربنا وفي نشرهم والكتر فانظر معللا

2-4- اجتماع سببين للمد

عند اجتماع سببين للمد، أحدهما يستلزم التوسط والآخر يستلزم المد الطويل فالقاعدة هي:

إذا اجتمع سببان، فالحكم للأقوى

ومن أمثلة ذلك:

- ﴿قُلْ اسْتَغْنُوا إِنَّ اللَّهَ مَخْرَجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ التوبة : 64؛
- ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ﴾ هود : 70؛
- ﴿وَجَاءَ وَأَبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ﴾ يوسف : 16.

ففي المثال الثاني مثلا : اجتماع

- 1- مد البدل الممثل في تقديم الهمزة على الألف الساكن. مثل: "راء"؛
- 2- وسبب المد الطويل الممثل في: الهمزة القطعية بعد الألف الساكن: مثل: "راء أيديهم"؛

فيقدم المد الطويل على التوسط، فتوضع المدة (آ) على ألف "راء" دون وضع التا (تـ) علامة التوسط عليها.

ونفس الحكم في باقي الأمثلة:

يقول صاحب الأنصاف:

فاعتبر القراء بالإجماع السبب الأقوى بلا نزاع
نحو: رثاء ورثاء أيديهم جاء وأباهم دون خلف بينهم
في الوصل والوقف لما تقررا بالمد والقصر وتوسط جرا

3- نوازل ترقيق الرء:

ترقق الرء عند ورش في الحالات التالية:

- 1- إذا كانت مكسورة بنفسها وهويشارك غيره من القراء في هذه الحالة؛
- 2- إذا كانت مسبوقة بكسرة لازمة متصلة ما لم يكن بعدها حرف استعلاء مباشرة؛
- 3- مسبوقة بياء ساكنة سكونا حيا أو ميتا؛
- 4- ترقق من أجل الإمالة؛
- 5- إذا تكررت ما لم تكن لاصقة بحرف استعلاء؛
- 6- إذا كانت مسبوقة بكسرة لازمة مفصولة عنها بساكن ما لم يكن حرف استعلاء.

ويدخل في الحالة الأخيرة ست كلمات هي:

- ذكر: في 11 موضعا: منها: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الطلاق: 10.
- سترا: في موضع واحد: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا مَسْرًا﴾، الكهف: 90.
- وزرا: في موضع واحد: ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ﴾، طه : 100 و 101.

صهرا: في موضع واحد: ﴿فجعلله نسبا وصهر﴾، الفرقان: 54.

إمرا: في موضع واحد: ﴿لقد جئت شيئا إمرا﴾، الكهف: 71.

حجرا: في موضعين: ﴿ويقولون حجرا﴾، الفرقان : 22. ﴿برزخا وحجرا محجورا﴾، الفرقان: 53.

اختلف قراء رواية ورش بطريق يوسف الأزرق بين ترقيق وتفخيم هذه الكلمات حالة الوقف عليها وبالترقيق حالة درج القراءة (القراءة بالسراية).⁴ وبالتفخيم حالة الوقف عليها قرأت وجودت على كبار مشايخ ورش شمال المغرب.⁵

يقول أبو وكيل ميمون الفخار في "تحفة المنافع":

وعنه في "ذكرا" و"سرا" خلـف وبابه والفتح فيه العرف

من رقق الباب القياس طلبا ومن يفخمه لأصل وجبا

ويقول صاحب الأنصاف:

ذكرا وسترا ثم صهرا حجرا وقرا ووزرا ليس منهم "سرا"

ففخم للسته ثم رقق ليوسف الأزرق ثم حقق

أما في حالة الضم، فبالترقيق دون خلاف، يقول صاحب الأنصاف:

ورقق لورش كل راء في الوصل والوقف لذا "ذكر" و"بكر" و"حجر" يا من تلا

ومن قال بالتفخيم لا حجة له وخالف أهل العلم في الغرب مجملا

ويجمع ابن القاضي في "الفجر الساطع" الكلمات التي اختلف في ترقيق

4- فتاوى في الرسم والضبط والقراءة، مصدر مذكور : 9-10.

5- علي الضباع، المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عند أبي يعقوب : 10.

رائها فقال:

ففخيم لدى "قرية" ثم "مريم" ورقق لك والإمام كما النقل
و"حيران" و"إجرامي" و"عشيرتكم" فخذ بترقيقها الداني نجيت من الهول
وللغير بالوجهين فاحفظ نصوصهم فكل رجال صالون ذوي عدل
و"ذكرا" وبابه لك بتفخيم وصهرا بوجهين له بلا محل
ولكن بتفخيم قرأت جميعها وهذا اختيار الداني ماضل ذو عقل

4- نوازل الإدغام:

القاعدة العامة للإدغام عند ورش:

إذا تجاور حرف مجزوم (ساكن) مع مماثله المتحرك وجب إدغامه عند جميع القراء. ومنهم نافع برواية ورش. ومن أمثلة ذلك :

- 1- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ النساء: 78
 - 2- ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ النحل: 76
 - 3- ﴿وَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ النساء: 75
 - 4- ﴿مَلِكًا نَا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ الإسراء : 33
 - 5- ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ عَنِّي مَلِكَانِيَّةٌ﴾ الحاقة : 28 و 29
- يقول صاحب تحفة القراء :

- فكل حرفين جاءا مماثلين وقدم السكت ادغم دون مين
مثاله : "يدر ككم وما سلك مسلكه نحو" ماله هلك"
6- ويربط علماء التجويد كلمة "ماله هلك" بكلمة قبلها وهي:

﴿كتابه إنبي﴾ الحاقة:19

- فمن اعتبر أن الهاء في "كتبه" هي في حكم الهمزة الأصلية، طبق قاعدة النقل لورش "كتبه إنبي" وحينها يكون الإدغام في "ماله هلك".
- ومن اعتبر أن الهاء فيهما : هي هاء السكت زائدة طبق القطع في همزة "كتبه إنبي" والإظهار في "ماله هلك".⁶ وهذا الرأي هو ما يقول به المنتوري شارح الدرر اللوامع.

وبالإدغام أخذنا عملاً يقول الداني في المنبهة :⁷

فإن أردت الوصل دون وقف أدغمت هاء السكت دون خلف
في ماله هلك للتماثل كذا رويناه عن الأفاضل

يقول صاحب الأنصاف مستعرضاً الآراء السابقة مرجحاً ما عليه العمل :

يسألا عن حكم "ماله" ليوسف الأزرق مع كتبه
لا نقل في "إنبي" هاء الوقف عنه على طريقة "ابن سيف"
وفكها يلزم في ماله وعاكس لمن شبهها بالأصلية
إذ قد توفرت شروط النقل في ذاك والإدغام ذا في الأصل
لكنهم ما قرءوا للمعتد بالأصل وهو ما أرى عن قصد

وتفاصيل ذلك في شرح الدرر اللوامع للمنتوري⁸.

6- علي الضياع، المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عند أبي يعقوب:12.

7- المنبهة في علوم القرآن : منظومة للداني من 2600 بيت أولها :

الحمد لله العلي الفرد أهل المعالي والسنا والمجد
آخرها

واستر عيوي واعتقر زلاتي واغفر ذنوباً هي من هناتي

وحققها الأستاذ حسن وجاج.

8 - المنتوري : شرح الدرر اللوامع ، أكبر موسوعة في قراءة نافع، مطبوع في جزئين.

الخاتمة

1-رواية ورش إحدى الثوابت الأربع للأمة:

خص الله سبحانه وتعالى الشعب المغربي بالتعقل والتروي والرزانة، قبل اتخاذ أي قرار يهم مستقبل الأمة ومصيرها. فهو قبل أن يتبنى رواية ورش على نافع في القرن الثالث الهجري كان على قراءة حمزة.

واختار رواية ورش على نافع لعدة حيثيات منها :

1- أن عثمان بن سعيد ورش المصري القبطي (ت. 197هـ) خنش إلى المدينة المنورة للقراءة على قارئها نافع بن عبد الرحمن (ت. 169هـ) حيث لاحظ الشيخ ملامح النجابة على طالبه المصري الإفريقي، واستشف منه أنه ربما سيحمل عنه إحدى اختياراته للساكنة الإفريقية التي تتميز بأصوات غير مألوفة لساكنة الجزيرة العربية.

• كان ورش رحمه الله يفضل القراءة بالإعراب في المرحلة التعليمية (القراءة بالسراية).

• كما تتميز رواية ورش بتسهيل الهمز في الأماكن التي اختار فيها التسهيل. وهو العامل الذي شجع المغاربة على الإقبال عليها لسهولة استخدامها أثناء الصلاة وتراويح رمضان.

• وعندما يحقق الهمز المسبوق بحروف المد، يتيح الفرصة لتمديد الصوت بمقدار يختلف ومكان الهمزة من حروف المد واللين.

تراعي خصوصية المغاربة في تعدد الأصوات المختلفة حسب أصول الساكنة والمناخ الجغرافي، فهي:

• ترقق الراء إذا توفرت شروط ذلك؛

- وتغلظ اللام إذا توفرت شروط ذلك؛
- ويميل بالفتحة نحو الكسرة في أماكن معينة.

من أجل كل ذلك:

اهتم قراء الغرب الإسلامي بهذه الرواية، وصححوا مصاحفهم عليها، ونقطنوا الحروف الهجائية لتسهيل تناولها، وضبطوا الكلمات القرآنية وفق قواعدها وأصولها، وألفوا في ذلك كتباً: منظومة للتعليم، ومنشورة للتخصص وإغناء الحوار. وهم بذلك يقدمون خدمة لكتاب الله امتثالاً لحديث رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

وظل ملوك الدولة المغربية أوفياء لاختيار المغاربة، وشجعوا على الإقبال على التعليم والقراءة وحفظ كتاب الله عز وجل. وكانوا بدورهم فقهاء وعلماء ومحاضرين، ومشاركين في النقاشات العلمية التي كانت تعقد بقصورهم بحضور كبار العلماء والمقرئين.

وهم بذلك جعلوا من رواية ورش إحدى الثوابت الوطنية للأمة، والتي أسسوا عليها شعار الوحدة الترابية للمغرب:

2- وحدة المذهب

3- وحدة العقيدة

4- وحدة السلوك

5- وحدة القراءة

وساهمت هذه الثوابت في الحفاظ على عوامل الاستقرار، والالتفاف حول العلماء، وتلبية نداء الأمراء عندما تقتضي الضرورة للدفاع عن الأمة والدين.

2- رواية ورش في عصر العولمة:

ولم يكن دور ملوك الدولة العلوية بمنأى من ظاهرة التشجيع على الإقبال

على التعليم وحفظ كتاب الله عز وجل. بل ما إن ظهرت المطبعة في المغرب حتى بادر الملك محمد الرابع إلى طبع المصحف الشريف بالمطبعة الفاسية لأول مرة عام 1296هـ⁹.

وبعده، توالى المصاحف المطبوعة بالمطبعة الفاسية المحلاة بالألوان المصطلح عليها قديماً، وجاء المصحف الحسيني (الحسن الأول) عام 1305هـ.

وجاء المصحف المطبوع في عهد محمد الخامس عام 1930.

وفي عهد الحسن الثاني كان المصحف الحسيني المطبوع 1967.

المنجزات القرائية في عهد محمد السادس:

وفي عهد محمد السادس كان المصحف المسبوع من أجل ما أنتجته يد الخطاطين بالمغرب.

ومن مفاخر ملكنا الشاب محمد السادس، أن أعطى دماً جديداً وتشجيعاً رفيعاً لكتاب الله عز وجل، وذلك بأن أحدث حفظه الله :

1- جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية، من أجل تحسين الجودة والمردودية وإشعار هذه الطبقة من الأمة بالاهتمام بها وعدم إقصائها وتهميشها.

2- المباراة الوطنية والدولية لحفظ وتجويد القرآن الكريم خلال شهر رمضان من كل عام مع إحداث جائزة محمد السادس للفائزين الثلاثة ولأصغر حافظ لكتاب الله.

3- إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم.

4- الفضائية السادسة.

9 - محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

5- إحداث مديرية للتعليم العتيق تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك من أجل النهوض بهذا القطاع التعليمي.

6- إنشاء متحف للتعليم العتيق في كل من تطوان ومراكش.

7- تخصيص منح سنوية للفقهاء والأئمة المشاركين.

8- العناية بالقراءات القرآنية في سيدي زوين -دار زهيرو-. إلى غير ذلك من الأنشطة الدالة على التطبيق الفعلي والعملي وبالملموس لفلسفة "المفهوم الجديد للسلطة" كما يراها أمير المؤمنين حفظه الله.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على إحداث جبهة لصد زحف الغزو الإعلامي الذي يغزو البيت المغربي دون استئذان ولا إعلام.

إن الدعوة إلى "عولمة القراءة والكتابة" والتي تدعو إلى توحيد المذاهب الفقهية الاجتهادية، ومعها توحيد القراءة في العالم الإسلامي والتي تنادي بها بعض الجهات، وتنفق على ذلك بسخاء لدعوة تستوجب التأمل والتوقف والتوجس والريبة.

فمصر -وإلى عهد قريب- وبالضبط عند فجر القرن الماضي، والتي كانت معقل رواية ورش، اضطرت لإقصاء رواية إبنها البار وخضعت لتيار التغيير، فأبدلت رواية ابن الأسكندرية برواية ابن الكوفة.

والخطر يزحف رويدا رويدا إلى شمال إفريقيا:

فها هي تونس والجزائر يتناوبان على ثلاث روايات في آن واحد: ورش، حفص، قالون. وفي المغرب، أخذت رواية حفص تراوح مكانتها بين المقرئين الشباب بفضل توفر وسائل الإعلام من أجهزة مجانية وسيدات رخيصة وفصائيات مغرصة.

فأخذنا نسمع:

- تحقيق الهمز الذي يخفّفه ورش؛
 - تفخيم الراء التي يرققها ورش؛
 - ترقيق اللام الذي يغلظه ورش؛
 - إهمال الإمالة كلية؛
 - قراءة البسملة بين السورتين في الحزب الراتب والصلاة المفروضة، وإهمال السكت والوصل؛
 - إدغام نون "تامنا"؛
 - عدم الاعتراف بالوقوف الهبطية؛
 - وإهمال ختم القراءة بـ "صدق الله العظيم".
- أما الفقهاء المشارطون، فأغلبهم تنقصهم المعرفة العلمية بالرسم القرآني وضبطه برواية ورش، بالإضافة إلى إهمالهم لكثير من أدبيات التعليم التي تعلمناها في الأربعينات من القرن الماضي.
- كل ذلك يشعّرنّا بدق ناقوس الخطر يهدد "الذاكرة المغربية" أولاً وتجاوز إحدى الثوابت الوطنية ثانياً.

3- الاقتراحات والتوصيات:

- ومن أجل ضخ دم جديد لرواية ورش؛
- ومن أجل الحفاظ على هذه القلعة الأثرية التي قل نظيرها في العالم الإسلامي؛

• ومن أجل تحقيق أمنية أمير المؤمنين في النهوض بالتنمية البشرية لهذه الشريحة من شعبه الوفي في إطار الحفاظ على الثوابت السالفة الذكر؛

يتعين:

1- تشجيع الفقهاء المشارطين، خصوصا المتقنين لرواية ورش، بالتحفيزات المادية والمعنوية، والحرص على بقائهم في البادية؛

2- التكوين المستمر للفقهاء المشارطين، وإعادة تكوينهم بخصوص أصول الرسم والضبط والتجويد، وتزويدهم بما يحتاجون إليه من كتب متخصصة وأشرطة ومصاحف...

3- تشجيع التلاميذ على حفظ القرآن الكريم برواية ورش رسميا وضبطا وتجويدا والأخذ بيدهم لولوج التعليم العتيق. بمنح مشجعة؛

4- طبع المصحف المسبع بطبعة شعبية من أجل توزيعه على أكبر عدد من المستفيدين في البادية؛

5- توسيع نشر الأشرطة الوطنية المسجلة برواية ورش عن نافع وتوزيعها بالمجان على الفقهاء والطلبة. وتخفيف الأشرطة المستوردة من أماكن تسجيلها وبيعها وتوزيعها؛

6- إحداث أشرطة سمعية وبصرية خاصة بأصول الرسم العثماني برواية ورش وتوزيعها مجانا على الفقراء والمهتمين بالتعليم العتيق؛

7- توسيع التسجيل على CD بنفس الطريقة؛

8- تعميم إذاعة محمد السادس وجعلها تذاع على موجة (M.W) لتصل كل مناطق المغرب ليستفيد منها الفقهاء المشارطون؛

9- دعم برنامج "كيف نقرأ القرآن" بالإذاعة الوطنية وإعادة إذاعته كما كان : 8 من صباح يوم الأحد ويعاد على الساعة 9 من ليلة الأربعاء؛

10- تخصيص حصص مهمة من الفضائية السادسة للمقرئين المغاربة من كل جهات المغرب البادية والحاضرة، بالقراءات الجهوية مع قراءة الحزب الراتب صباحا ومساء؛

11- تخصيص حصص بيداغوجية جديدة للتعليم القرآني مع إبراز أصول الرسم والضبط في الفضائية.
وأملنا كبير:

في أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس بصفته حامي الملة والدين، وضامن وحدة الأمة بأن يحقق لشعبه الوفي ما يطمح إليه من دعم لإيمانه، وتقوية رابطة دينه، وتشجيع الإقبال على كتاب ربه، وبأن يلتفت حفظه الله إلى هذه الشريحة من "أهل الله وخاصته" الذين يدينون له بالطاعة والولاء والمحبة والوفاء بكيفية تلقائية تطوعية، دافعهم إلى ذلك محبة جده المصطفى ﷺ ومحبة كتاب الله عز وجل، ويدعون له صباح مساء عقب قراءة الحزب الراتب، وقبل مغادرة التلاميذ للكتاب قبل الظهر وقبل المغرب.

قراءة اللؤلؤ بالمغرب من خلال منظومة الشيخ محمد السريفي الزفري وشرح السير أحمد بن المكي اليرماقي

عبد اللطيف بن أحمد الوزاني التهامي
رئيس المجلس العلمي المحلي بطنجة

الحمد لله الذي أكرمنا بحفظ كتابه وأنعم علينا بإحكام قراءته وتلاوته
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وعلى آله
وأصحابه. أما بعد،

فإن من نعم الله تعالى على بلدنا (المغرب)، ونعم الله جلى لا يحصيها العد
أويحصرها الحد، أن هيا أبناءه للعناية بكتابه المبين (القرآن العظيم) حفظا وتجويدا
ورسما وضبطا وقراءة وتلاوة أفرادا وجمعا، ووضعوا في علم قراءاته مؤلفات عدة
نشهد لهم بعلو كعبهم وحسن ضبطهم وإتقانهم.

وكان مما عنوا به وكتبوا فيه ونشروه تعليما وتديسا في البوادي والخواضر
علم ما يتعلق (بجمع القراءات وإردافها).

وإن المنظومة المشهورة (بالزفرية) لصاحبها السيد محمد السريفي الزفري
تأتي منها، وهي بدوية، في محل الغرة من الكمت والقرحة من الدهم.
وضحها وبينها، وكشف معالمها العالم المقرئ الحجة أبو العباس أحمد
اليرماقي.

وقد اخترناهما للحديث عنهما بإيجاز في هاته الندوة المباركة، لما لهما من
أهمية في الموضوع وما يكشفانه عن المستوى المعرفي الذي كان سائدا في

عصرهما في بوادي المغرب. وذلك في فصلين اثنين، وخاتمة .

الفصل الأول: التعريف بالناظم والشارح والمنظومة والشرح

التعريف بناظم قانون الإرداف:

لم يحصل لنا تعريف به موثق، وإنما يؤخذ من كلامه في منظومته عن قانون الإرداف، أن اسمه محمد، وأنه معروف بلقب (السريفي)، وينتمي إلى (الزفر). وقال شارحه أنه اشتهر بهذا اللقب (السريفي). هذا إلى ما اشتهر على السنة من لهم دراية بالقراءات ممن أدركنا وأخذنا عنهم أنه الفقيه الزفري صاحب المنظومة الزفرية .

ويقال أنه كان معاصراً للعلامة أبي العلاء سيدي إدريس بن عبد الله الودغيري صاحب كتاب (التوضيح والبيان في مقرأ نافع) والذي توفي عام 1257 هـ .

ويقرب هذا الاحتمال أن (الناظم) عندما تحدث عن مصادره قال (حسب إحدى رواياتها):

من أجوبات ومحاذي الفاسي شيخ شيوخنا الامام الأقدس

محمد بن عبد السلام أسكنه الله دار السلام

فجعل العالم الجليل المقرئ أبا عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد الفاسي (صاحب المحاذي على حرز الأمان للشاطبي المقرئ) - شيخ شيوخه. والفاسي هذا عاش بين 1130-1214 هـ.

وأبو العلاء الودغيري هو بدون شك من تلاميذ (الفاسي). ولذلك يقال أن صاحبنا توفي في 1250 هـ، ودفن بمدينة القصر الكبير. والله أعلم.

وعائلة (الزفري) منتشرة في قبائل متعددة وكان منها الفقيه، القائد،

الخطيب عبد السلام بن محمد الزفري من مدشر (الشجيرات) بفحص طنجة. وكان مشارطا في مدشر (صيوقة) بقبيلة ودراس القبيلة التي عين فيها قائدا أيام الحماية الإسبانية ثم انتقل بعد الإعفاء لمدينة طنجة حيث كان خطيبا بمسجد (جامع المقرع) حتى توفاه الله عز وجل، رحمه الله.

وكانت للسيد عبد السلام هذا مشاركة في علم القراءات . كما يتبين من بعض فتاويه في الموضوع والتي لدينا بعض منها أخذناه عن شيخنا الحجة المجاهد سيدي محمد الدحروش رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

التعريف بالشارح:

أما الشارح - حسبما جاء في شرحه للمنظومة - فهو العالم العلامة المقرئ المحقق الحجة الحافظ الولي الصالح، القطب الواضح أبو العباس سيدي أحمد بن المكي بن محمد بن عمر اليرماقي. وهو من قبيلة (سماتة) من مدشر (عين بيضاء) حيث دفن وله ضريح معلوم.

توفي في 1330 أو 1331 هـ. وقبيلة (سماتة) قبيلة صغيرة محاطة بعدة قبائل - بني يسف، وبني عروس وبني كرفط، وأهل سريف.

وتربطني بالشارح رحمه الله رابطة عن طريق أحد تلامذته شيخنا السيد أحمد بن مسعود المعروف بالتطاوي والمتوفى في الستينات من القرن 20 بتطوان. رحمه الله تعالى. كما أن جدي للأمم العالم السيد محمد بن أحمد الوزاني الطاهري كان تلميذا للشيخ أحمد بن يرماق وحدثني السيد الوالد رحمه الله عنه أن الفقيه كان يختصم مختصر الشيخ خليل مع طلبته سنويا.

ولا تزال عندي أجزاء ثلاثة من شرح الدردير بحاشية الدسوقي التي كان يقرأ بها الجدل المذكور.

وقد كان الشيخ اليرماقي عالما مشاركا. قال عنه الوالد رحمه الله أنه كان يقول لطلبته: "أمامكم قفيفة - تصغير قفة تصغيرا للتمليح - مملوءة بالفاكهة، من شاء أن يأكل منها شيئا فهي أمامه". كناية منه رحمه الله، وعرض على الراغبين في الاستفادة من علمه الذي وهبه الله عز وجل له.

وكان مما وقع لنا من تأليفه شرحه على "الأجرومية" أهداه إلينا الفقيه النبيه أحمد الناصر الحوضي، شقيق الفقيه المفتي المدرس المرحوم المختار الناصر. كلاهما من مدشر الحوض، قبيلة ودراس. وقد كان الشيخ ابن يرمق مشاركا ومبرزا في كثير من العلوم. حدثنا شيخنا أحمد بن مسعود التطاوي أنه ذهب لزيارته (ابن يرمق) وبينما هو في طريقه التقى بأحد الفقهاء، فحمله سلامه إلى الشيخ مع سؤال عن إعراب (حسبك به كفيلا) أو مثلها.

قال ابن مسعود رحمه الله فكان جوابه على الفور (عندي مبتدأ لا خبر له). وشرحه على هاته المنظومة دليل على علوكعبه في علم النحو إذ يقول تعليقا على قول الناظم :

الحمد لله الذي قد جمعا نفائس العلى في خير من دعا

الحمد جملة إسمية مركبة من مبتدأ وخبر، خبرية لفظا، إنشائية معنى. والحمد لغة الوصف بالجميل على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل.

ومعنى قد جمعا أي ضم. ونفائس جمع نفيسة قال ابن مالك وبفعائل اجمعن فعالة إلخ. و"العلی" جمع عليا قال ابن مالك و"فعل جمعا لفعله عرف ... ونحو كبرى إلخ".

أي جمع الله الخصال الحميدة في نبينا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

و"خير". بمعنى أخير . قال ابن مالك في الكافية

وغالبا أغناهم خير وشر عن قولهم أخير منه وأشر

وله علم بالسيرة النبوية فقد عرف الصحابي من هو، وأتى بأسماء أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن أجمعين واحدة واحدة إسما واسم أب ونسبة.

كما كان له علم بالفلك حيث قال عند قول الناظم:

ما سلك الكوكب في الأبراج

أي ما مشى الكوكب. والمراد به هنا الدرّي لأنه هو الذي يسلك ويمر في الأبراج. وأما النجوم فتأبته في محلها. والبرج قطعة من اثنتي عشرة قطعة من قطعة البروج المحتوية على المنازل، الخ.

وكان حسن العقيدة قال معلقا على قول الناظم:

والعون في ذاك بمناح السؤل

"وإنما طلب العون من الله تعالى لأن من أعانه الله تعالى تيسرت عليه المطالب. وفي الحديث اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا. وفي الحكم: ما تعسر مطلب أنت طالبه ببرك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك. وقد قيل:

إذا كان عون الله للمرء ناصرا قهيا له من كل صعب مراده

وإن لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهداه

وبالجملة فإن الرجل كما كان يقول عن نفسه -رحمه الله تعالى- حثا على الانتفاع منه (قفيفة ذ الفاكية).

إنه كان مدرسة امتد إشعاعها لما حولها وما وراءها من القبائل. يكفي دلالة على ذلك دراسة جدنا للأُم عليه، وهومن مدشر (المصلى دار الشريف) بقبيلة ودراس. وكذلك كتابة شرحه - كما نرى - من قارئ حافظ بقبيلة الأحماس قرب الشرافات.

ولا ننسى المعطيات الثقافية التي تؤخذ من محصول علم الرجلين فهودال على ما كانت عليه البوادي من معرفة وتضلع بالعلوم السائدة وقتها ... نحواً، وفقها، وقراءات، وأصولاً، وبلاغة، وتصوفاً وغير ذلك.

التعريف بالقصيدة:

وصلتنا ثلاث نسخ من هذه المنظومة إحداها هي المضمنة في شرح السيد أحمد ابن يرماق (اليرماقي) والثانية في صفحتين ونصف الصفحة. والثالثة أخذناها من مجموع للأستاذ / عبد العزيز العيادي ونسخناها بخطنا.

1) نسخة السيد العيادي مكتوبة بخط واضح عادي، تحتوي على مائتين واثنين عشر بيتاً. بدون ذكر التاريخ والناسخ .

2) أما نسخة الشرح فإنها وإن اتفقت في مطلعها مع النسخة الأولى فقد اختلفت عنها في كثير من الأمور المهمة كما سنوضح. وناسخها هوناسخ الشرح الذي سنتحدث عنه.

3) أما النسخة الثالثة فإنها خالفت الاثنتين في البدء، وفي بعض الآيات وليس فيها ما يدل على ناسخها إلا أنه يبدو مثقفاً، وخطه جميل مقروء .

4) ابتدأت نسخة السيد العيادي ونسخة الشارح بـ :

الحمد لله الذي قد جمعاً نفائس العلا في خير من دعا

لخير¹ ما به الإله يعبد بخير منزل به مؤيد
محمد سيد من قد ساد صلى عليه الله تترى أبدا
والآل والأصحاب والأزواج ما سلك الكوكب في الأبراج
وبعد فالقصد بيان الجمع وصنع إرداف بطرق السبع
والعون في ذاك بمانح السؤل² ذي المنة العظمى الكريم فأقول
الجمع للبدر في معربنا

بينما النسخة الثالثة مبدوءة ب

بمحمد رب أبتدي نظامتي مبتغيه من ذوي الإسلام
وصل ربي أبدا وسلم على النبي المصطفى المعظم
محمد سيد خلق الله وآله ذوى الشنا والجاه
وبعد فالعون بمانح السؤل ذي المنة العظمى الكريم فأقول

لكن ناسخها استدرك وقال:

ووجدت في نسخة لعلها مؤخرة عن هذه ما نصه:

الحمد لله الذي قد جمعنا الخ وأتى بالأبيات حسبما هو مذكور في
النسختين.

وهذا يعطينا أن ناظمها رحمه الله كان يعدل فيها من حين لآخر، ويدل على
ذلك قول ناسخ النسخة الثالثة (ووجدت في نسخة لعلها مؤخرة عن هذه) حتى
استقرت على ما هي عليه في الشرح الذي شرحها به السيد/أحمد بن يرماق.

1- في نسخة العيادي (بخير) بالياء.

2- (السؤل) قال الشارح: على وزن فعول، جمع سؤل بمعنى مسؤل.

ولذلك نجد حتى في الختام فرقا بين النسخ الثلاث. من حيث الزيادة، أو النقصان، أو التوضيح والتعريف كما سيتبين فيما بعد.

موضوع المنظومة ومصادرها:

حدد الناظم رحمه الله قصده وغرضه فقال مبتدئا بالحمد والصلاة على النبي ﷺ وآله وسلم.

وبعد فالفصد بيان الجمع وصنع إرداف بطرق السبع

ثم قال في أواخر منظومته

هذا قانون الجمع والإرداف والضابط المحكم للأسلاف

فجعل نظمه في بيان طرق الجمع وصنع الإرداف في المغرب في القراءات السبع للبدور السبعة المشار إليهم كما قال الشارح في حرز الأمانى للشاطبي رحمه الله.

فمنهم بدور سبعة قد توسطت سماء العلا والعدل زهرا وكملا

وجعل ذلك قانونا مرشدا، وضابطا هاديا يتبع ويهتدى به في جمع القراءات والروايات والطرق، بل والأوجه كذلك.

فالمنظومة ضابط محكم متقن، مبين لما كان عليه الأسلاف من المقرئين الموجودين بالمغرب.

– أما مصادره فقد أشار إليها بقوله:

جمعه العبد الضعيف المفتقر لعفومولاه الغني المقتدر

من أجوبات ومحاذي الفاسي شيخ شيوخنا الإمام الأقدسي

فجعل مصدره المباشر أجوبة السيد/ محمد بن عبد السلام الفاسي، ومحاذيه³ وهو تعليقه الذي حاذى به نثرا (نظم) حرز الأمانى ووجه التهاني، المشهور بالشاطبية للإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ (538 - 590 هـ) .

وفي رواية الشرح بدل الشطر الثاني جاء

مع توجيهات صحت في القياس

مما يفيدنا عدم اقتصار الناظم على ما عند الفاسي، بل أضاف إلى ذلك من مخزونات علمه وتوجيهاته وقياساته. وذلك ظاهر لمتتبع المنظومة.

التعريف بالشرح:

سمى الشارح كتابه ب (التوضيح والانكشاف في حل قانون الجمع والإرداف) مفتتحا شرحه بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ والقول.

قال الشيخ العالم العلامة المقرئ المدرس المحقق الحجة الحافظ الولي الصالح القطب الواضح أبو العباس سيدي أحمد بن المكي بن محمد بن عمر اليرماقي نفعا الله به آمين.

الحمد لله الذي منحنا كتابه الحكيم وأوجب علينا القيام بأعباء النصيحة... سبحانه مفرج الكرب بعد الإشراف على العطب والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين هذا بحول الله (التوضيح والانكشاف في حل قانون الجمع والإرداف والضابط المحكم للأسلاف) نظم الشيخ سيدي محمد الزفري.

3- اسمه الكامل (إتحاف الأخ الأود المتداني لمحاذاي حرز الأمانى ووجه التهاني) مخطوط نسخة منه بالمكتبة العامة بتطوان، وأخرى بوزان (خزانة وزان). وكان الفقيه محمد الصغير من مدشر (بني عقاب) بقبيلة أنجرة أهدى نسخة جميلة للزعيم محمد علال الفاسي رحم الله الجميع. والإمام محمد الفاسي هو : أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن أبي عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (1130-1214 هـ) تلميذ أبي زيد عبد الرحمان المنجرة (1179هـ).

قال رحمه الله ورضي عنه: الحمد لله الذي قد جمع ... الخ

والنسخة في تسع وثلاثين (39) صفحة كل صفحة فيها ما بين 23 و 21 سطرا، كل سطر به ما بين 23 و 24 كلمة. والكتابة دقيقة وختمت بشرح قول الناظم: "واغفر لنا ولجميع المومنين. والحمد لله رب العالمين". إذ قال: ختم هذا الكتاب بالدعاء بالمغفرة وهي الستر لجميع الزلل، ولجميع المومنين. امثالاً لقوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي وللمومنين والمومنات﴾ ولذا بدأ بنفسه ثم عمم لأن الدعاء مهما كان أعم كان للإجابة أقرب ثم قال: ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ امثالاً لقول أهل الجنة ﴿واخرجه عوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾. اللهم صل على سيدنا محمد النبي الكامل وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكمالك وعد كماله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين انتهى.

قال وكان الفراغ من شرح هذه القصيدة في الرابع من صفر الخير عند صلاة العصر يوم الثلاثاء عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. وكتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده محمد بن محمد عزوز الخمسي الفلواطي الماثني دارا ومنشأ عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف.

يا ناظرا في الخط كيف صورا فادع لنا يا سيدي بالمغفرة

إذا رأيت عيبا أو تصحيفا فاصلحه يا أخي وكن ظريفا

والناسخ هذا قد توفي حسب أحد أبنائه الذين وصلت إلينا من طريقهم هاته النسخة، التي كان من سببها أن الأخ الأود سيدي محمد بن الأمين بوخبزة الحسيني التطواني البحاثة المعروف سألني عن هاته المنظومة التي سأله عنها أحد الباحثين من (تونس) وقال لي هل تعرف منظومة تسمى الزفرية. فقلت له نعم

أعرفها وأعرف أن لها شرحا لسيدي أحمد بن يرماق. وأن الشرح يوجد عند (ابن الناسخ) بالمدشر المذكور أعلاه بالشرافات.

وبعد مدة أتاني (السيد) بوخبزة بمصورة من الشرح.

مصادر الشرح:

أما مصادر الشارح فهي متعددة تفصح عن مشاركته في مختلف العلوم، فهناك ألفية ابن مالك وشروحها وهناك الكافية له وغيرهما من كتب النحو، إلى كتب القراءات المتعددة من (حرز الأمان) للشاطبي وشروحه إلى (تكملة القيجاطي)⁴ (ت723هـ)، و(نشر) ابن الجزري و(إتقان) السيوطي وما كتبه (جموع)⁵ و(اللجائي)⁶ وابن القاضي⁷ وابن غازي⁸ ونصوص أخرى (الأنصاف) عديدة من محفوظاته، إلى درايته بالرسمية والرمزية التي كثيرا ما عبر بها عن بعض الردفات الجائزة أو التي ينبغي اجتنابها.

فهو كشكول معلومات في باب، إن دل على شيء فإنما يدل على هذا الكم من المعارف والمعلومات التي كانت سائدة في البداية في عصره وقبلة. جزاهم الله عنا خير الجزاء.

الفصل الثاني: قراءة الإراداف وما عليه العمل عندنا في المغرب

قبل التعرض لما عليه العمل عندنا في صنع الإراداف نقدم بيانا عن أهمية

4- أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم القيجاطي (ت 723 هـ) وهو غير القيجاطي شيخ المتنوري. أما التكملة فاسمها الكامل (التكملة المفيدة لحافظ القصيدة) على وزن الشاطبية ورويا نظم فيها ما زاد على الشاطبية من (التبصرة) لمكي، والكافي لابن شريح والوجيز للأهوزي.

5- أبو الفضل، وأبو سرحان مسعود بن محمد جموع السجلماسي الفاسي (ت 1119 هـ) له (كفاية التحصيل في شرح التفصيل) نظم بن غازي في التعريف برواة الإمام نافع.

6- محمد بن علي العاجي اللجائي من تلاميذ أبي زيد عبد الرحمان المنجرة.

7- أبو زيد عبد الرحمان بن أبي القاسم بن محمد بن القاضي المكناسي (999 - 1082 هـ) نسبة إلى قبيلة مكناسة وليس إلى مدينة مكناس (انظر النبوغ المغربي لعبد الله كنون).

8- أبو عبد الله بن أحمد بن محمد ابن غازي العثماني المكناسي (841 - 919 هـ).

الموضوع، ومتى وقع جمع القراءات، ولماذا، ومن يسمح له بالجمع مطلقا، ومن يسمح له عندنا، ومذاهب وكيفيات الجمع، ثم المذهب والكيفية المتبعة عندنا في المغرب في صنع الإرداف، وأركان هذا الجمع وشروطه.

أهمية موضوع أداء القراءات أفرادا وجمعا:

حسب الإمام ابن الجزري "النشر" فإن أئمة القراءة لم يتعرضوا في تأليفهم لهذا الباب، باب جمع القراءات، ماعدا إشارات وردت لصاحب كتاب "الإعلان"⁹، الذي قال عنه أنه لم يأت فيه بطائل ثم قال عن الموضوع أنه باب عظيم الفائدة كثير النفع، جليل الخطر، بل هو ثمرة ما تقدم في أبواب هذا الكتاب "النشر" من الأصول، ونتيجة تلك المقدمات والفصول.

وقال الشارح إن جمع القراءات بالكيفيات المعلومة لم يكن على عهد الرسول ﷺ. وهذا الأمر يحتاج لتوضيح يكون له موضع آخر يضيق عنه وقت هاته المشاركة.

ثم نقل الشرح كلام صاحب الإتقان الذي نقله بدوره عن ابن الجزري مما يفيد أن العلماء المقرئين كانوا شديدي الحرص على الإكثار من تعلم قراءات القرآن الكريم، فكانوا يتتبعونها قراءة قراءة، ورواية رواية، وطريقا طريقا، ووجها وجها. ويختمون الختمات العدة لكل واحد من أولئك.

متى وقع جمع القراءات:

ولم يقع جمع القراءات في ختمة واحدة إلا في وسط المائة الخامسة، عصر الأئمة: الداني، وابن شيطا (445هـ)، والاهوازي (446هـ)، ومن بعدهم. واستمر الحال على ذلك إلى زمن ابن الجزري وإلى عصر الناظم والشارح

9- هو أبو القاسم عبد الرحمان بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف الصفراوي الإسكندري (ت 636 هـ).

واستقر العمل عليه، وتلقاه العلماء بالقبول والتسليم.

جمع القراءات لماذا ؟

دعا العلماء القراء لجمع القراءات (سبعة أو عشرية أو غيرها) لاعتبارات عدة، فمن جهة فإن المؤمنين مطالبون بقراءة القرآن الكريم ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ (النمل: 91-92) وذلك يستدعي قراءته بجميع ما ورد عليه من تنوع لفظ، وزيادة أو نقصان حرف. وهذا يستغرق وقتاً طويلاً. ولئن كانت المهم لدى الأولين عالية لا يصددها أو يصرفها ما تستغرق من وقت في ذلك. فإنها بعدهم قد فترت وضعفت. لكن الرغبة في الترقى برفع الدرجات بكثرة التلاوات ظلت قائمة فتوسلوا لذلك بطريق جمع القراءات. فالإيجاز والتبرك هما الداعيان لذلك كما قال الناظم :

دعا لذا الإجاز والتبرك بكل مقراً عداك الهلك

لكن وضعوا لذلك ضوابط يجب اتباعها وشروطا يتعين احترامها وأودعوا ذلك في تأليفهم ضماناً لأداء التلاوة على حقها، وصيانة لنظم القرآن وإعجازه أن يناله تحريف أو تضييع، أو تخليط غير مسموح به.

من يسمح له بالجمع :

فلذلك كان عملهم يسير على عدم السماح بالجمع للقراءات في ختمة واحدة إلا للذي أفرد القراءات، وأتقن معرفة الطرق والروايات، وأفرد السبعة في إحدى وعشرين ختمة على الأقل.

ثم وقع التساهل نوعاً ما، واكتفوا بختمة واحدة لكل (قارئ) من السبعة، سوى نافع وحزمة فإنهم كانوا يأخذون ختمة لقالون، ثم ختمة لورش، ثم ختمة لخلف، ثم ختمة لخالد، ولا يسمح أحد من القراء لتلامذتهم بالجمع إلا بعد ذلك.

العمل عندنا فيمن يسمح له بالجمع ومتى وقع ذلك :

وتطور الأمر بعد ذلك شرقا ومغربا. وكان ذلك عندنا بالصورة التي ذكرها الشارح نقلا عن الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي حيث قال:

قال الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي في بعض كتبه: "اطلعنا عليه في كتاب المحاذي - والذي عليه أهل المغرب، فاس، ومراكش، ونواحيهما بدوًا وحضرًا من لدن الشيخ أبي زيد بن القاضي وأظن ذلك من لدن شيخ الجماعة أبي محمد عبد الله محمد بن غازي، وأشيأخه-، هوأن الطالب إذا حفظ القراءة برواية ورش جمع إليه قراءة قالون في ختمة أو أكثر مما يتأتى له حفظه فيه. فإذا حفظ حرف نافع جمع إليه عبد الله بن كثير من روايته في ختمة أو أكثر مما يتأتى له حفظه فيه. فإذا حفظ حرفيهما جمع إليهما حرف أبي عمرو والبصري من روايته أيضا في ختمة أو أكثر كذلك. فإذا حفظ الأحرف الثلاثة جمع إليها الأحرف الأربعة الباقية من رواياتهما الثمان دفعة واحدة. ولا يزال يوالي الختمات إلى أن يستمكن حفظه.

وينتهي إلى حال يرضى بها (في) نفسه. أويرضى له بها شيخه ويأذن له في الاقتصار أو في التعلم إن رآه أهلا لذلك" انتهى.

(قلت) وقد ذكر في المحاذي عقب هذا النص الذي ذكره الشارح قوله:

"وربما جمع بعض قراء أهل سوس إلى الأحرف الثلاثة حرف (ابن عامر) الشامي من روايته كذلك. ثم جمع الثلاثة الباقية إلى الأربعة على ما سبق. وقد قرأ على شيوخ¹⁰ بعض طلبتهم بجامع القرويين كذلك وأنا أسمع. وأقرأت أنا بعضهم كذلك مرات لأفراد منهم".

10- هو أبو زيد عبد الرحمان بن ادريس المنجرة (ت 1179 هـ) .

ثم قال صاحب المحاذي بأثر هذا الكلام: "هذا صنيع أهل المغرب في القراءات السبع".

ومن هذا النص يتبين لنا صنيع علمائنا مع من يريد جمع القراءات في ختمة واحدة .

مذاهب وكيفيات الجمع لدى العلماء:

وللعلماء القراء مذاهب وكيفيات متعددة لجمع القراءات، فهناك من يجمع على الحرف، ومن يجمع على الوقف، ومن يجمع على رؤوس الآي، ومن يجمع مراعيًا للتناسب.

- فالجمع بالحرف أو على الحرف يكون بإعادة الكلمة التي فيها خلف، يعيدها بمفردها إن كان الخلاف يتعلق بها وحدها، حتى يستوفي ما فيها من الخلاف؛ أصولي، أوفرشي، مع مراعاة من دخل من الموافق فلا يعيده لكن إن كان الخلاف ناشئًا من اقتران كلمتين كالمذموم المنفصل فإنه يعيد الكلمتين معًا.

فإذا استوفى الخلاف انتقل إلى ما بعد ذلك. وهذا الجمع الحرفي كان مذهب المصريين.

- أما الجمع الوقفي فيكون بأن يقرأ القارئ حتى يصل إلى الوقف التام أو الكافي أو الحسن فيقف ثم يعود إلى قارئ وأصلاً إلى محل ذلك الوقف مع مراعاة من دخل فلا يعيده، ويستمر حتى يتم الخلف. وهذا كان مذهب الشاميين حسبما ذكر.

- أما مذهب من يجمع على الآي فإنه لا يقف إلا عند تمام الآية التي فيها خلاف، ثم يعيد من لم يدخل معه من الموافق للقارئ الذي ابتداءً به.

وهكذا حتى يستوعب الخلاف.

- وهناك من كان يرى الجمع بمراعاة التناسب، وهو متعدد، فتارة يراعي التناسب في المد وتارة يراعي التناسب في الإمالة والفتح وتارة في النقل والتحقيق. فإذا ابتدأ مثلاً بالقصر أدخل فيه من مذهبه ذلك، ثم ينتقل إلى مذهب التوسط فيستوفي أصحابه، ثم إلى الطويل كذلك. وله أن يعكس فيبدأ بالطويل فالمتوسط، فالقصير.

وإذا راعى التناسب بين الفتح والإمالة فإنه إذا ابتدأ بالفتح أتى بعده بالصغرى، ثم بالكبرى مستوعبا الكل ومراعاة التناسب لا يقدر عليها والعمل بها إلا من قوي استحضاره حسبما ذكر الشارح نقلاً عن (جموع).

المذهب والكيفية المتبعة عندنا بالمغرب في الجمع والإرداف:

قال الناظم رحمه الله تعالى:

الجمع للبدور في مغربنا مركب من مذهبين فافطنا

حرفي ووقفني

بين رحمه الله أن الجمع بالمغرب للبدور ويقصد بهم القراء السبعة المذكورين في حرز الأمان عند قوله (فمنهم بدور) يخالف الكيفيات السابقة بل هو مركب من الجمع بالحرف، والجمع بالوقف في دفعة واحدة ودون إهمال أو إخلال. قال الشارح بعد ذكره الكيفيات السابقة:

"ثم أعلم أنه لا عمل لأهل المغرب في هذا الزمان على شيء من هذه الكيفيات السابقة في الجمع. وإنما العمل عندهم على ما ركبه ابن الجزري رحمه الله".

وهونص منقول عن (المحاذي) ما عدا أن (المحاذي) تحدث عن الكيفيات الثلاث دون الرابعة ولذلك قال (المحاذي) "الكيفيات الثلاث السابقة".

ثم قال المحاذي من بعد.

- ثم اعلم أن هذه الكيفيات التي ركب الحافظ بن الجزري رحمه الله جمع القراءات عليها هي مركبة من الجمع الحرفي والوقفي معا.

وهذا القول دليل للناظم على أن العمل عندنا في الجمع وكيفيته هو جمع مركب من الحرفي والوقفي وإنه أخذه حقا من محاذي العلامة محمد بن عبد السلام الفاسي كما قال:

من أجوبات ومحاذي الفاسي.....

هذا، ويشهد لما في (المحاذي) من كون الجمع عندنا مركبا من الحرفي والوقفي قول العلامة المقرئ سيدي ادريس بن محمد بن أحمد الحسني المعروف (بالمنجرة 1076-1137هـ) في تأليفه المعنون:

"نزهة الناظر والسامع في إتقان الإرداف والأداء للجامع" فقد قال فيه بعد عرضه للجمع الحرفي والوقفي:

"اعلم أن الجمع المعتمد عليه والمأخوذ عندنا هو جمع مركب من الجمعين المذكورين".

ولقد قال ابن الجزري المنقول عنه هذا الجمع في حقه ما نصه:

- لكنني ركبت من المذهبين مذهبا فجاء في محاسن الجمع طرازا مذهبا وتحدث عن كيفيته. ولذلك فجمعنا مأخوذ عن ابن الجزري رحمه الله وهو مركب من الجمع الحرفي والوقفي دفعة واحدة كما سنرى من بعد.

قول سيدي علي النوري الصفاقصي :

وهذا الذي ذكره الناظم وقاله ابن عبد السلام الفاسي ومن قبله العلامة

أبو العلاء ادريس المنجرة من أن جمعنا مركب يخالف ما أورده سيدي علي النوري الصفاقصي في كتابه "غيث النفع" من أن الجمع عند المغاربة كالمصريين هو جمع حرفي.

بل إن الذي يفهم من كلام (المنجرة) في "نزهة الناظر" أنه حتى ما ينسب للمصريين من الجمع الحرفي إنما كان قبل المحقق ابن الجزري أما بعده فلم يبقوا عليه.

هذا مع العلم أن السيد علي النوري قرأ على الشيخ محمد بن محمد الافرائي السوسي المغربي (ت 1081هـ) وهو قرأ على الشيخ عبد الرحمان بن القاضي (999-1082).

ولعل الشيخ النوري استند إلى (التكملة للقيجاطي ت 727هـ) فإنه نص فيها على أن الجمع في عهده بالحرف كما سيأتي بعد. لكن القيجاطي كما هو واضح توفي قبل الإمام ابن الجزري. وهذا النوع من الجمع المركب أحدثه ابن الجزري واستقر عليه عملنا بالمغرب من بعده.

أركان الجمع الحرفي والوقفى :

بين الناظم رحمه الله ذلك بقوله

..... وله أركان عطف، تداخل لاح البيان

كذلك إحراز لأوجه الخلاف من غير تركيب أعني بالائتلاف

وغير إهمال لوجه معتمد ولا إعادة له بلا مفاد

قال الشارح إن الضمير في قوله (وله) راجع إلى الجمع الحرفي والوقفى الذي له أركان جمع ركن. والركن ما دخل في الماهية والشرط ما خرج.

ثم نقل الشارح أبيات القيجاطي التي أوردتها في (تكملته) لحرز الأمان عند باب كيفية الجمع وشروطه فقال:

على الجمع بالحرف اعتماد شيوخنا فلم أر منهم من رأى عنه معدلا

لأن أبا عمرو ترقاه سلما فصار له مرقى إلى سلم العلا

ولكن شروط سبعة قد وفواها فحلوا من الإحسان والحسن مولا

فذكر الشروط السبعة (وهي كذلك منقولة في النشر لابن الجزري ومنقولة في المحاذي للفاسي). كما ذكر ما قيل فيها، ثم حدد الأركان التي أتى بها الناظم وجعلها خمسة عطفًا ثم تداخلًا ثم إحرازًا ثم عدم إهمال ثم عدم إعادة بلا فائدة.

فالعطف يقصدون به إعادة موضع الخلاف وحده (سواء كان الخلاف في لفظة أولفظتين)، أما التداخل فيقصد به مراعاة الوفاق للقارئ أو القارئون الذين تتحد قراءتهم يكفي فيها تلاوتها مرة واحدة واعتبار الباقي داخلا.

ولكن يشترط أن ينوي القارئ إدخال كل موافق، حتى يحرز فضيلة الجمع وإلا فسيكون قارئًا بالإفراد لا بالجمع.

ويثرون هنا قضية حصول القارئ على الأجر الموعود به لقارئ القرآن من أن له بكل حرف كذا درجة. هل ينال القارئ الجامع غير المتلفظ بجميع القراءات أجر المتلفظ؟ لم يستبعدوا ذلك لأن رحمة الله واسعة.

أما الركن الثالث وهو الإحراز فهو الحفظ والجمع لأوجه الخلاف، بدون تركيب بحيث تكون القراءة مركبة بتدئ بقارئ وتنتهي بآخر، إلى جانب ركن آخر وهو عدم إهمال لأي خلاف، وأخيرًا عدم إعادة ما لا فائدة تحصل بإعادته.

ثم نقل الشارح مضمن كلام النشر ومضمن كلام المحاذي واقتصر على

أربعة شروط: الوقف، والابتداء، وحسن الأداء، وعدم التركيب.

ونقل عن المحاذي مثالا يبين منه كيفية الجمع المركب وهو قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يرءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مغضبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾. [النساء: 142-143].

فقال إذا قرأت بهذه الكيفية (الجمع الحرفي والوقفي) قرأت (لورش) إلى هؤلاء الثاني ثم تردف (حمزة) من قوله (الصلوة) وتسير إلى (هؤلاء) الثاني وهو جمع وقفي.

لاحظوا أنه لم يقل نبدأ لحمزة من (وإذا قاموا إلى) لأن (حمزة) موافق لورش في ذلك فهو داخل معه، وأدخله القارئ بنيته عندما قرأ لورش فلذلك لا يكرره لأنه موافق إنما خلافاً (ورش وحمزة) يبدأ من كلمة الصلاة إلى النهاية.

ثم قال الشارح متمما الكلام عن المثال: - ثم إذا وقفت لحمزة وقفت له بأوجهه¹¹ (أي أنك تكرر مع الوقف الانتظاري).

فهو جمع حرفي، ثم تقرأ لقالون والدوري فتقرأ لهما بوجهي المد والقصر (لاحظوا تقديم المد على القصر) في (قاموا إلى) جمعا حرفيا (تتمة من المحاذي) ثم تتدرج إلى قوله (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء).

فتقرأ لهما (قالون والدوري) بالقصر والمد (لاحظوا تقديم القصر هنا على المد) فتكون رواية القصر في الموضعين من الخلاف متصلة من باب الجمع الوقفي، وتكون قراءة راوي المد في موضعي الخلاف منفصلة من باب الجمع الحرفي. وهنا يبين الشارح تتممة لنقله عن المحاذي -الفائدة من الابتداء أولا لقالون

11 - إنك إذا تتبعتها تصل إلى خمسة عشرة وجها لكن القراء لا يلزمون الإتيان بها كلها إلا من باب الحرص على الأجر بالإعادة و على المران و الدربة للطالب . (انظر المحاذي في باب المد) .

والدوري بتقديم المد على القصر في المرة الأولى ، والابتداء الثاني بعكس ذلك بتقديم القصر على المد فيقول:

"لأنك استوفيت في الموضع الأول خلافهم، ثم لما جئت إلى الموضع الثاني استوفيتهم أيضا (وهنا بيت القصيد) وإن كنت فصلت بين الإشباعين وهو أسهل من تقديمك الإشباع في الموضع الثاني لأنه يلزم عليه فصل الإشباعين بالقصر، وفصل القصرين بالإشباع. وفصل واحد أهون من فصلين. نظير قولهم في باب الحال في مثل (لقي زيد عمرا مصعدا منحدرًا) إن الحال الأولى من المفعول به لتتصل به ويقل الفصل لأنه على خلاف الأصل وهذا الكلام أورده الناظم، بعد ذكر القواعد والأركان والاستثناءات حيث قال آتيا بمثال آخر من القرآن:

فعمل الفصل بيانه خذا يا أيها الذين آمنوا إذا

في الموضع الأول مد، واقصرا واعكس لدى الثاني على ما قررا

في علم نحونا، وفي الحال يرى لقيت زيدا مصعدا منحدرًا

فأول للثاني والثاني لـ إذ فصل، من فصلين أولى يا فتى

ثم أكمل الشارح المثال بالقول باندراج ابن كثير والسوسي في سابقه ثم تقرأ الكسائي (إلى كسالى) بالإمالة جمعا حرفيا ثم تعيدها بالفتح لابن دكوان وموافقيه جمعا وقفيا ونستمر إلى هؤلاء الثانية جمعا وقفيا أيضا، ثم تعطف هشاما مستوعبا وجوهه جمعا حرفيا وينتهي الخلاف.

وحض على استيعاب خلاف القراء، والرواة والطرق لأنه خلاف عندهم واجب مراعاته، وعلى ضرورة إتقان مواطن الوقف والابتداء. والعمل عندنا على وقف الهبطي ثم أورد مستثنيات تبعا للناظم من تلك القواعد، فمن المستثنيات من ركني (العطف) و(التداخل) ما إذا أدى الأمر إلى سوء أدب

أوعدم تترية لله تعالى وعدم احترام لرسله عليهم الصلاة والسلام مثال: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ [التوبة:30]. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فإن قاعدة التداخل والولوج تقتضي أن ما دخل في الردفة الأولى من القراء لا يعاد، كما أن قاعدة العطف تقتضي الإتيان لمحل الخلاف فقط.

والقراء غير مختلفين في قوله تعالى (وقالت اليهود) إنما الخلاف يبدأ من (عزير ابن) فمنهم من نون (عزير) ومنهم من لم ينون. ومقتضى السابق أنك تبدأ من عزير لأنه محل الخلاف ولا تبدأ من (وقالت اليهود) إذ لا خلاف فيها وقد دخلت في الردفة.

لكن إن فعلت ذلك وقعت في محذور. وقد نبه الناظم على هذا ومثله بالقول:

بحسب الإمكان، مع رعي الأدب في الوقف والبدء بتقديس وجب

ك: الله لا إله إلا هو فلا تقف على الإله بادئا بلا

وعزير ابن الله لا تبدأ به لشدة القبح الذي بدأ به

وهكذا سار الناظم والشارح متآزرين في عرض قانون الإرداف والجمع عندنا. عرضا يستفيد منه كل راغب في ضمان حسن الجمع للقراء بلا تخليط ولا إهمال مزودا بقواعد كلييات ومستثنيات ضروريات في نظم واضح، وشرح متتبع مفصح معزز بنقول العلماء مغاربة وسواهم .

خاتمة

إننا لم نقصد عرض المنظومة كلها أو استقصاء مباحث الشرح فإنهما كافيان في باهما لكن قصدنا هو التنبيه إلى ضرورة المحافظة (على الأقل فيما بقي) وإحياء المدرسة المغربية في القراءات. وهذا ليس من باب حب الذات، وإنما من

باب المحافظة على الأصالة، فإن قراءتنا، والله الحمد ليست بدعا، أو بدعة مقطوعة الجذور عن سنة القراءة. وإذا لم نحافظ عليها نحن فإن كثيرا من إخواننا في العالم الإسلامي يجهلون أوضاعنا حتى أن الإمام ابن الجزري رحمه الله على كثرة اطلاعه، وعلى تمكنه من الفن، حتى أصبح قدوة يقتدى به — فاته الشيء الكثير عنا، فإذا كان قد تحدث عن القيحاوي صاحب التكملة ، فإنه لم يتحدث في كتابه الجامع "النشر في القراءات العشر" عن عصره أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري نزيل فاس والمتوفى بها سنة 736 هجرية، صاحب تأليف "ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء"، كما لم يتحدث عن عصرهما أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن التازي الشهير بابن بري (ت731هـ) صاحب المنظومة الشهيرة "الدرر اللوامع في مقراء الإمام نافع".

ولذلك لا نستغرب إذا تساءل في أحد كتبه "المنجد" عما إذا كان في المغرب من يعرف القراءات.

والشأن نفسه يقال عن ولي الله سيدي علي النوري الذي وصف طريقتنا في الجمع، كما سبق بيانه ، بأنها جمع حرفي وهي غير ذلك. وابن الجزري والشيخ النوري هما مما لا يشك أحد في حسن نيتهما وإخلاصهما.

ولا شك أن مثل هاته المنظومة وشرحها إذا ما درست ودرست ستعطينا ليس فقط تعريفا بما كنا عليه بل ستسهم بإذن الله في أقرب الآجال في إثمار نتائج محمودة في تكوين قراء يحسنون ما كان عليه أسلافهم من خدمة كتاب الله والعناية به ويوصلون الخلف بالسلف وليس ذلك على همم العاملين المخلصين بعزیز والله ولي القصد والحمد لله رب العالمين .

التلاوة والتدبر وتمثل المضامين القرآنية لهرق مثلى لتحسين مروية الكتابات القرآنية

عبد الحي عمور

رئيس المجلس العلمي المحلي بفاس

مقدمة

انطلاقاً من أن الكتابات القرآنية ودور القرآن ومؤسساته الدينية كانت رافداً للمعرفة ومبعثاً للقيم والأخلاق الإسلامية، والحصانة الروحية والدعامة الأساسية للحفاظ على الهوية المغربية الإسلامية، وحرصاً على أن نعيد لمؤسسات القرآن أدوارها الريادية وقيمتها الدينية والعلمية في تكوين الناشئة والأجيال، كنت أتمنى على منظمي هذه الندوة العلمية - الذين نشكر لهم هذه المبادرة الطيبة - أن يوسعوا من محاورها بما يتجاوز آليات إتقان الرسم والضبط وتقنيات الحفظ وضرورة استمرار التواتر والمشاهدة، إلى محاور رئيسة تفتح عبرها نوافذ تعالج القصور الذي نشكّيه من الاستفادة من القرآن: مرجعية أولى وأساسية في ثقافتنا ومعارفنا وعلومنا وتصحيح تعاملنا مع خطابنا الديني: القرآن الكريم، في تصويب ما أصابنا من إضلالات وإصابات وغش، حتى نستعيد للقرآن - عبر مؤسساته ومعاهده - دوره الريادي في نفوسنا وأفكارنا وعقولنا ويعصمنا من السقوط الحضاري لنسترجع موقفنا من الشهود الحضاري.

ولعل محور "إيجاد الطرق المثلى لتحسين مردودية الكتابات القرآنية" فيه ما يسمح لبعض المشاركين من المفكرين والباحثين بتوسيع آفاق المشاركة وإغناء الندوة بتناولهم لجوانب أساسية ومناحي فكرية وثقافية تحتاج دور القرآن ومؤسساته إليها لتطوير أدائها بما يحسن مردودها.

بين تقنيات الحفاظ والفهم والتدبر

انصب الاهتمام - وما زال - خلال حقب من التاريخ الإسلامي - في قراءة القرآن الكريم والتعامل معه، على الحفظ والاستظهار القلبي، واستفراغ جهد المقرئين/ المدررين والمتلقين على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم - في التركيز على ضوابط الشكل في القراءة من أحكام التجويد ومخارج الحروف، حيث أصبح هم دور تحفيظ القرآن الكريم ومؤسسات الكتابات حسن النطق والأداء والقراءة المجودة عملاً بقوله تعالى في مخاطبته للنبي الأمين ﷺ ﴿وَرَقِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:4] دوغما استحضار واصطحاب للتدبر والتذكر والفهم والنظر وإدراك المعاني وتمثل المضامين القرآنية - في حدود مدارك المتلقين ومستوياتهم واحتياجاتهم من التوجيه القرآني - التي جعلها الله تعالى من أهداف القراءة القرآنية ومقاصدها وغاياتها حين قال سبحانه:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالِ الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29] وقوله عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24] حتى ليتمكن القول بأن التعبد المطلوب يكون بالتلاوة والتدبر وتفهم المعاني والعمل بمحكم الكتاب والإيمان بمتشابهه.

- هذا الاهتمام بحسن الأداء والترتيل الذي لا ينبغي أن نقلل من أهميته، بل علينا أن نحصر على استمراره لأنه مطلوب في حد ذاته لما لصاحبه من أجر دنيوي وثواب أخروي، يقال لصاحب القرآن : " اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها" (رواه الترمذي في سننه)، ولكن هذا الاهتمام مع توالي السنين- أصبح غاية وحيدة وأخذ يحول دون الاهتمام بتدبر آيات القرآن والتأمل فيها وفهمها، حتى صار القرآن في بعض المجالس، كما يقول دعاة تجديد منهج التعامل مع القرآن- ترانيم وتناغيم وتراتيل يستدعى في حالات الاحتضار والنزوع والوفاة ورسوما تزين به المجالس والمكاتب ويتهادى به الناس- مما يجعلها أحيانا قراءة لا تتجاوز الشفاه وقلما تنفذ إلى القلوب وتتأثر بها النفوس، الأمر الذي ترتب عنه ما يمكن أن نعتبره إشكالية يجب البحث لها عن حل بما يضمن العودة إلى منهج السلف الصالح الذين كانوا يزاوجون بين التلاوة والفهم والترتيل والتدبر، فأحسنوا بذلك التعامل مع كتاب الله حيث كانوا لا ينتقلون من العشر آيات إلى العشر الأخرى حتى يروا ما فيها من القول والعمل وصارو بذلك قرآنا يمشي على الأرض، يقرأونه وينتفعون به.

-إن ما عليه حال الكتاتيب ودور القرآن ومؤسساته يكرس الأمية العقلية والثقافية التي صرنا إليها مع كتاب الله وأصبحت تعيشها دور القرآن والقائمون عليها والحفاظ الذين يقبلون عليها من مختلف الأعمار والمستويات حتى ليصدق علينا ما رواه الإمام أحمد رحمه الله، قال: ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: "وذاك عند ذهاب العلم" فقلنا يا رسول الله: كيف يذهب العلم ونحن قرأنا القرآن ونقرئه

أبناءنا، وأبناءؤنا يقرؤونه أبناءهم"؟ فقال: تكلتك أمك يا ابن لبيد، إن كنت لأراك من أفتقه رجل في المدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء؟" (أحمد في مسنده وابن ماجة والترمذي في السنن) وما قاله ابن تيمية رحمه الله: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: 78] في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظاً وقراءة لا فهماً، لا يدرون ما فيها" وقوله: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ أي تلاوة لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يتلى عليهم".

- خلاصة القول في هذا المبحث-الذي يحتاج إلى مزيد من التحليل والدراسة - أنه لا بد من الحفاظ على التلاوة والاستمرار فيها، لأنها تساعد على الحفظ، وهي التي جعلت القراء والحفظة لا ينقطعون على مر الدهور والعصور، وكانت المشافهة في الحفظ وتواترها إلى جانب كتابة الآيات والسور في الألواح، ضمان استمرار حضور القرآن في المجتمعات والمنتديات الدينية، وحمايته من الغياب عن سماعنا وقلوبنا وصدق الله القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

المزاوجة بين الحفظ والفهم

إن دور القرآن والكتاتيب القرآنية والقائمين على شؤونها ورعايتها - والنية تتجه إلى تطوير أدائها وإيجاد الطرق المثلى لتحسين مردوديتها - بما يصحح مسارها ويرشد عملها، أن يعيدوا النظر في منهج التعامل مع كتاب الله تعالى ويعملوا الفكر في مهمتها النبيلة بما يجعلها تمضي قدماً في

الاستظهار والحفظ عن طريق التواتر والمشافهة أو غيرها من الأساليب والوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك، دونما إغفال لجانب التدبر والفهم، ذلك أن الحفظ إذا كان مطلوباً وهو كذلك، فإن التمثل والاستيعاب وتدبر المعاني الذي يحدث تفاعلاً بين القارئ ونفسه وعقله، مما ينعكس على حياته وسلوكه -تبقى هدفاً أساسياً وغاية مرجوة من كل قراءة قرآنية باعتبار أن الفصل- ولو كان غير مقصود- بين القراءة والفهم، والسماع والتدبر، لا يستقيم لما فيه من الفصل بين المعاني والمباني، كما أن ترديد الألفاظ والآيات القرآنية دون استيعاب لمعانيها وإدراك لمقاصدها لا يتفق مع أول ما نزل من القرآن "اقرأ" ولا مع الآيات التي تعني التلطف والقراءة الشفهية والوعي والتدبر، كما أنه لا يتفق مع قوله ﷺ : "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" فالخيرية مرهونة بالتعلم الذي يعني الفهم والتدبر والعمل.

ولعل مما ساعد على استمرار ظاهرة الاختصار على الحفظ والاستظهار في دور القرآن ومؤسساته دون إيلاء اهتمام الفهم والتدبر" ما ركز عليه عدد لا يستهان به من العلماء من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم باعتبار أنه معجزة الرسول الكريم الذي أرسل في قوم أخص خصائصهم البلاغة وأقوى صفاتهم الفصاحة، ومع أن الله سبحانه وتعالى يصف هذا الكتاب المعجز بقوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فمّل من مدكر﴾ [القمر: 17] إلا أنه تعاقب على المسلمين أزمان طوروا فيها طرائق ومناهج التعامل مع القرآن جعلته عسيراً على فهم أكثر المسلمين، ووضع بعض علماء المسلمين شروطاً تعجيزية ترهيبية اضطرت أكثر

المسلمين للابتعاد عن القرآن، وعدم تلاوته للفهم والتطبيق، باعتبار أن فهمه لا يستطيعه إلا من كان محيطاً باللغة العربية وبالناسخ والمنسوخ والعام والخاص وأسباب التزول وغير ذلك من الشروط، وأدى هذا في واقع الحال، لا في ظاهر المقال، إلى ظهور طبقة من "رجال الدين" أسهمت في التعامل مع القرآن بلفظه ورسمه لا بفهمه والالتزام بتعاليمه وأخلاقه، وهكذا أقيم حاجز كبير بين المسلمين والفهم السليم للقرآن الكريم باسم العلم والدين وهما من ذلك براء¹.

من الاختلالات الناشئة عن انفصال التلاوة عن التدبر:

- إن هذا المنحى الذي سلكته عدد من المجتمعات الإسلامية وتجدر في دور القرآن وامتد إلى المؤسسات التربوية في خطابها الديني القائم على القرآن الكريم، أحدث شرخاً عميقاً في ثقافتنا وإصابات وإضلالات في عقولنا وإخلالات في مختلف مناحي حياتنا الدينية والدينيوية بسبب الاقتصار على حسن الأداء وسلامة المشافهة دونما تفكير أو تدبر، الذين هما سبيل التمثل والتطبيق والفعل.

وإني أسوق بعضاً من الاختلالات التي حدثت بسبب هذا المنحى في التعامل مع القرآن الكريم الذي اختزل في التلاوة والمشافهة والحفظ في مقاربة، لمعرفة ماذا كان يحدثه الفهم والتدبر في نفس القارئ وعقله، وإعانة التالين لكتاب ربه على التزود بمقاصده ونفوذ سلطانه على النفوس، وردهم إلى الاستمسك بالوحي وتعاليمه والإذعان لحكمه وتحصيل المقاصد فيه: اعتقاداً وعبادة وعملاً وتبصرة.

1 - محمود عابد الرشدان "إسلامية المعرفة" العدد العاشر 1997.

1- فالذي يقرأ قوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمَ الْغِيثُ أَتَوَاتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:54] قراءة تأمل واستيعاب، يدرك عن طريق الفهم والتدبر أن العلم يترتب عليه الإيمان، والإيمان يترتب عليه الاخبات، باعتبار أن الإيمان عندنا -نحن المسلمين- لا يعارض العلم، بل الدين عندنا علم والعلم عندنا دين².

2- وقراءة قول الله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْغِيثُ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْغِيثُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:55] تجعل القارئ المتأمل الذي يعرف أن العبادة الحقبة التي هي الجانب العملي للاعتقاد، والتعبير الواقعي عما يكنه قلب المسلم من إيمان، لا يقتصر فيها على الشعائر التعبدية دون تفعيلها في حياة المسلم العامة وممارستها في سلوكه عمليا وأخلاقيا، ذلك أن سنة الله تعالى قضت ألا يكون هناك تمكين واستخلاف في الأرض إلا عن طريق العبادة الحقبة الخالصة التي تنتج لأهلها كل هذه المميزات والمكارم، ومتى تم إفراغ العبادة من مفهومها الحقيقي فلن يكون هناك تمكين أو استخلاف ولكن ضعف وتخلف وسقوط حضاري.

3- ومثل ذلك قراءة الآيات البينات من كتاب الله:

أ- ﴿فَلْيَنْصُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خَلَقَ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:5-7].

ب- ﴿أَفَلَا يَنْصُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَتْ،

2- الدكتور يوسف القرضاوي-السياسة الشرعية ص:308.

والى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف ملّحت» [الغاشية: 17-20].

إن قراءة هذه الآيات بتدبر وتأمل من شأنها أن تعلم قارئها ما تشتمل عليه من حقائق عن النفس والخلق والظواهر الطبيعية، وتنمي في فكره دواعي التدبر والتفكر والتبصر والتأمل مما يستثير هذه القدرات العقلية التي بنى عليها المتكلمون قاعدتهم المشهورة "إن أول الواجبات الدينية المفروضة على المسلم النظر" حتى ذهب عامتهم إلى القول: "ليس مومنا من لم يستدل".

- مثل هذه المعاني والأحكام الإلهية التي ينطق بها القرآن لا ينبغي أن تغيب عمن يقرأ كتاب الله تعالى القراءة الحقة بمفهومها الصحيح الذي يزاوج بين الاستظهار والتدبر والاستحضار والممارسة.

فإذا أضفنا إلى هذا ما تؤكده الدراسات النفسية والعلوم التربوية من ضرورة استغلال مرحلة الطفولة الأولى لتفكيح وتنمية القدرات العقلية لدى الأطفال باعتبار أن السنوات الأولى من أعمارهم تبقى حاسمة في هذا المجال المصيري الذي يكونون فيه بدور القرآن ومؤسسات التحفيظ، علمنا ماذا يعني الحرص على الفهم والتدبر وإعمال النظر في تكوين مستقبل أطفالنا وضمان أكبر قسط من النجاح والتفوق والنبوغ في دراستهم ومستقبلهم العلمي والثقافي.

4- إن استثمار هذا السن المبكر لاستظهار القرآن وحفظه، مع تقريب المعاني وعدم الاقتصار على الاشتغال بالحفظ فقط، قد يكون فيه بعضاً من الحلول لما نشتكي منه من نقص في إعمال العقل وإحكام النظر.

سبيل الحفظ والتدبر:

تأسيساً على ما سبق، وباعتبار أن تلاوة كتاب الله وحفظه وتدبر آياته سنة ماضية في حياة المسلمين، وتأثيره مؤكد في الذين يتلونه حق تلاوته، حتى قال ابن جرير رحمه الله: "أني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته؟" فإن الحاجة تدعو إلى إعانة الحفاظ والتالين لكتاب الله تعالى في دور القرآن ومؤسساته بخاصة، على فهم ما يتلون والاستفادة مما يقرأون بما يجعل آيات القرآن تؤثر في النفوس وتدعن لحكمها العقول اعتقاداً وقولاً وعملاً لتثبيت الإسلام في القلوب وذلك بإعداد تفسير ميسر مختصر من لدن طائفة من المختصين، يعين المدررين والحفاظ والتالين لكتاب الله تعالى على الفهم والتدبر استهداء بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَمْدِي لِلَّهِ هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9] يورد معاني القرآن ويبرز مقصدها الشرعي بما يفهم منها كل قارئ على قدر نصيبه من المعرفة وطاقته من الإدراك، فيقبل على العمل بشريعة الله، وهو راسخ الإيمان ثابت العقيدة مطمئن النفس مرتاح الضمير، ذلك أن سلطان القرآن محقق في الذين يفهمونه لا الذين يستظهرونه.

ولمزيد من التيسير نرى أن يكون التفسير في حاشية المصحف الذي سيكون بين أيدي المدررين والحفاظ والتالين - بعبارة مختصرة مع بيان معاني الألفاظ التي تحتاج إلى شرح في سياق التفسير - دون ذكر لمسائل النحو والصرف والمصطلحات وأسباب النزول والنسخ والتاويل - والاقتصار على ما هو ضروري للفهم والتدبر، كل ذلك انطلاقاً مما صح من التفسير بالمأثور والقول الصحيح دون إغفال روح التجديد في الفهم بما يتفق مع سنة التجديد ومفهومها الإسلامي، وهذا فضلاً عن ضرورة توفر شروط علمية وثقافية فيمن يتولون

مهمة العمل في مؤسسات دور القرآن من مدررين ومقرئين بحيث يكون مستواهم المعرفي والثقافي مما يهيئهم لهذه الرسالة النبيلة التي تحتاج إلى ثقافة قرآنية وإلمام بالعلوم القرآنية والشرعية ودراية بالأساليب والمناهج المناسبة لمختلف المستويات التي تريد حفظ القرآن وتدبره.



دار أبي رقرق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

الهاتف : 037 20 75 83 الفاكس: 037 20 75 89